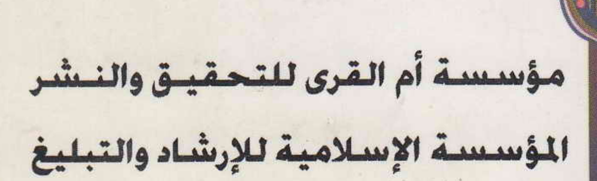
العلاّمة السيد عادل العلوي

حقيقة القلوب في القرآن الكريم



مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

المؤسسة الإسلامية للإرشاد والتبليغ

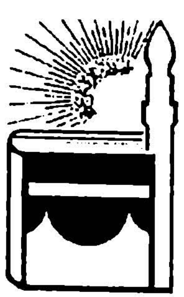
حقيقة القلوب في القرآن الكريم

العلامة السيد عادل العلوي

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

المؤسسة الإسلامية للتبليغ والإرشاد





مؤسسة أُم القرى للتحقيق والنشر

المؤسسة الإسلامية للتبليغ والإرشاد

اسم الكتاب: حقيقة القلوب في القرآن الكريم

تأليف: العلامة السيد عادل العلوي

الناشـــــر: مؤسسة أُم القرى للتحقيق والنشر ـ المؤسسة الإسلامية للتبليغ والإرشاد

الطبعة الأولى: رجب / ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م

عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة

لبنان / بيروت / الغبيري ص ـ ب ٢٥/٢٧٨

info@Omalqora.com

الإهداء :

إلى رسول الرحمة محمّد المصطفى ﷺ...

إلى منقذ البشريّة من الضلالة والجهالة...

إلى خاتم الأنبياء والمرسلين...

إلى حفيده الإمام الناطق جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام...

إلى القلوب الولائية المؤمنة، المطمئنّة بذكر الله.

في ليلة ميلادكما المبارك (١٧ ربيع الأوّل)...

أُهدي هذا الجهد المتواضع برجاء القبول والشفاعة والدعاء...

العبد

عادل العلوي

الحوزة العلمية ـ قم المقدّسة

بسم الله الرحمن الرحيم

حقيقة القلوب في القرآن الكريم[1]

مقدّمة

الحمد لله مقلّب القلوب والأبصار، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمّد النبيّ المختار، وآله الطيّبين الأبرار، واللعن الدائم على أعدائهم الكفّار ومنكري فضائلهم الأشرار.

من الواضح والمعلوم أنّ الحديث عن القلب إنّما هو حديث ذو شجون، فإنّ القلب أصل الإنسان ومنشأ حياته، وأساس كرامته وعظمته وشرافته.

أجل؛ إنّ القلب ذلك العضو الصنوبري الشكل الذي يضخّ منه الدم بعد تصفيته ليعطي الإنسان حياةً وقوّة، وعيشاً جديداً، وإذا توقّف عن العمل فإنّه يعني أنّ المرء قد جاء أجله وعليه أن يودّع الحياة الدنيوية، لينتقل إلى عالم آخر، فما دام القلب ينبض ويتحرّك فإنّه حيّ، وإنّ الحياة الدنيوية لا زالت تواكب أشواطها

---

(١) مجموعة دروس أخلاقية ألقاها الكاتب في مدرسة الحجّتية بقم المقدّسة في جمعٍ غفير من طلبة العلوم الدينية غير الإيرانيين من مختلف البلاد الإسلامية وغيرها، كما ألقاها محاضرات إسلامية في مسجد الإمام الرضا (موكب النجف الأشرف) في ليالي شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٩ ـ الناشر.

وتطوي مسيرتها حتّى الموت الذي يعدّ رحلة ونقلة من عالم إلى آخر، ومن محيط ضيّق إلى دار أوسع.

نعم؛ هذا القلب الصغير الذي أودعه الله سبحانه من اليوم الأوّل في القفص الصدري من الجانب الأيسر، قد شبّه بالخير والشرّ والصلاح والفساد، فيقال: لفلان قلب صالح خيّر ونظيف، ولفلان قلب طالح شرور قاسي كالحجارة، كما ينسب إليه إدراك الحقائق والمعارف والعلوم والفنون. وهذا يعني أنّ هناك قلب آخر معنوي وراء هذا القلب المادّي.

والقرآن الكريم كتاب الله الحكيم فيه بيان وتبيان لكلّ شيء، فرقان وهدى، وإنّه كتاب حياة وسعادة، قد اهتمّ بالقلب غاية الاهتمام، وإنّك لتجد في آياته الكريمة ما يفتح لك آفاقاً جديدة في الحياة، بأنّك كيف تعيش وكيف تموت؟ وما هي العوامل التي تسعدك في الحياة، وتضمن لك النجاح والفوز في الدارين؟ وذلك من خلال إصلاح القلب.

إنّ الإنسان ليسعد، وإنّ البشرية لتصل إلى ذروة كمالها وقمّة سعادتها لو طبّقنا القرآن الكريم في واقع الحياة، إلّا أنّ القوم اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً، فأصابهم الذلّ والانحطاط والخذلان، ولا نعود إلى عزّتنا ومجدنا وأصالتنا إلّا إذا رجعنا إلى القرآن الكريم وترجمانه (العترة الطاهرة) في واقعنا وجميع حقول حياتنا، فيكون القرآن (حكومة الله) هو الحاكم والسائد في كلّ أبعاد الحياة وجوانبها على الصعيدين: الفردي والاجتماعي.

فهلمّ لنعرض قلوبنا وأعمالنا وحياتنا على القرآن الكريم (الصامت والناطق)، فإنّه الميزان وإنّه الفرقان لا ريب فيه هدىً للمتّقين، واضح في ذاته، وبيان في نفسه، وتبيان لكلّ شيء.

وهلمّ يا إخوان الصفا وخلّان الوفا لنرجع إلى إسلامنا العزيز وكتابه المجيد، فإنّه المهيمن على كلّ الكتب السماوية والأرضية، وإنّه العلم الحاكم على كلّ العلوم والفنون، فإنّه نزل من العليّ العليم، القدير الحكيم، العزيز الكريم.

وعلى كلّ مسلم ومسلمة أن يفهم الدين، ويفقه القرآن المبين، ويدرك السنّة الشريفة كما هي، فإنّهما مصدر المعارف الإلهية والإنسانية، وأساس التشريع الإسلامي الحنيف.

ومن المؤسف أنّ أعظم داء المسلمين وأكبر مصيبتهم، أنّهم بعدما كانوا أعزّة العالم، وأنّ حضارتهم الإسلامية غزت الدنيا وانتشرت العلوم الإسلامية وفنونها في ربوع الأرض، أصابهم الانحطاط وكسرت شوكتهم وبان الذلّ عليهم، وما ذلك إلّا نتيجة جهلهم بدينهم وقرآنهم.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[١].

وفي الحديث الشريف: «فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنّه شافع مشفع، وماحل مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة»[٢].

---

(١) القمر: ١٧.

(٢) حديث نبوي شريف في البحار ٩٢: ١٧، و ٧٧: ١٣٤، وكنز العمّال ـ حديث ٤٠٢٧.

وعن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أُمّتك ستفتتن، فسئل ما المخرج من ذلك؟ فقال: كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، من ابتغى العلم في غيره أضلّه الله.

وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في وصف القرآن: جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاج تطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة.

اعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ، والهادي الذي لا يضلّ، والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، ونقصان من عمى.

إنّه سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن، فإنّه حبل الله المتين وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره.

فالقرآن آمر زاجر وصامت ناطق، حجّة الله على خلقه، آخذ عليهم ميثاقه، وارتهن عليهم أنفسهم.

أفضل الذكر القرآن به تشرح الصدور، وتستنير السرائر.

وقال عليه السلام: إنّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه أخفى من الحقّ، ولا أظهر من الباطل، فالكتاب وأهله في الناس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم، لأنّ الضلالة لا توافق الهدى، وإن اجتمعا فاجتمع القوم على الفرقة، وافترقوا على الجماعة، كأنّهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، فلم يبقَ عندهم منه إلّا اسمه، ولا يعرفون إلّا خطّه وزبره[1].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧.

وقد ورد في الحديث الشريف: سيكثر في آخر الزمان قرّاء القرآن، إلّا أنّه رُبّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه، لأنّه لا يعمل بآياته التي يقرأها ويتلوها، فالعمدة هو العمل بالقرآن الكريم كما أوصى بذلك أمير المؤمنين آخر وصيّته قائلاً:

«الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم»[١].

وإنّ هذا القرآن غضّ جديد لا يُبلى، وإنّه كتاب حياة لكلّ الأزمان والأجيال، ولكلّ الأمصار والأعصار، فهو أصدق القول، وأبلغ الموعظة، وأحسن القصص، وخير الهدى، والدواء النافع، وشفاء الصدور، ومصابيح النور، لا تخلقه كثرة الردّ وولوج السمع.

عن الإمام الصادق عليه السلام لمّا سئل: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلّا غضاضة؟ قال: لأنّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غضّ إلى يوم القيامة.

قال الإمام الرضا عليه السلام في وصفه: هو حبل الله المتين وعروته الوثق، وطريقته المثلى، المؤدّي إلى الجنّة، والمنجي من النار، لا يخلق على الأزمنة، ولا يغثّ على الألسنة، لأنّه لم يجعل لزمان دون زمان، بل جعل دليل البرهان والحجّة على كلّ إنسان، لأنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد[٢].

فأهل القرآن أهل الله وخاصّته، وهم عرفاء أهل الجنّة يوم القيامة، وأشراف أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله المحفوفون برحمة الله، الملبوسون بنور الله عزّ وجلّ.

---

(١) ميزان الحكمة ١ : ٦٧، عن نهج البلاغة في خطب عديدة.

(٢) عيون أخبار الرضا ١ : ١٣٠.

فعليكم بكتاب الله، فإنّه الحبل المتين والنور المبين، من قال به صدق، ومن عمل به سبق.

هذا والمقصود من هذه الرسالة أن نعرف ـ ولو إجمالاً ـ حقيقة القلوب من خلال القرآن الكريم، وترجمانه أهل البيت عليهم السلام، فإنّهم القرآن الناطق، ولسان الله الصادق.

ويقع الكلام بعد المقدّمة في فصول وخاتمة.

وما توفيقنا إلّا بالله، إنّه خير ناصر ومعين، وإنّه المسدّد للخير والصواب.

الفصل الأوّل

القلب لغةً واصطلاحاً

لا يخفى أنّه إذا أردنا أن نعرف الشيء بحدوده وماهيّته وبرسمه ومعانيه، لا بدّ أن نعرف ذلك باعتبار اللغة والمعنى المصطلح، ومن الواضح أنّ المتكفّل لبيان المعنى اللغوي هو معاجم اللغة وقواميسها، وقد ذكر فيها للقلب معانٍ عديدة، منها:

١ ـ التحويل: ومنه قلب قلباً الشيء حوّله عن وجهه أو حالته، وجعل أعلاه أسفله.

٢ ـ الصرف: ومنه قلّب القوم صرفهم، وقلّب المعلّم الصبيان إذا صرفهم إلى بيوتهم.

٣ ـ الاختبار: ومنه قلب الأمر ظهراً لبطن، إذا اختبره وامتحنه.

٤ ـ الوسط: ومنه قلب الجيش وسطه.

٥ ـ اللبّ: ومنه قلب كلّ شيء لبّه.

٦ ـ المحض: ومنه يقال: جئتك بهذا الأمر قلباً أي محضاً.

٨ ـ الخالص: ومنه يقال: رجل قلْب، أي خالص النسب.

واصطلاحاً:

في علم الطبّ والتشريع: القلب عضو فعّال صنوبري الشكل، مودع في

الجانب الأيسر من الصدر، وهو أهمّ أعضاء الحركة الدموية والجهاز الدموي.

وهناك قلب معنوي وراء هذا القلب المادّي الصنوبري، وذلك القلب هو المخاطب في حقيقة الإنسان، وهو الأصيل الذي يترتّب عليه الثواب والعقاب شرعاً، والمدح والذمّ عقلاً، وهو الذي ورد في الآيات الكريمة والروايات الشريفة، وهو موضوع رسالتنا، وإنّه حرم الله وبيته الحرام في الإنسان المؤمن، كما أنّه عشّ الشيطان يفرّخ فيه ويبيّض، في الإنسان الكافر والفاسق.

والمادّيات إنّما تحكي المعنويات، وأنّ الظاهر عنوان الباطن، والدنيا مزرعة الآخرة، وأنّ النزعة المادّية والجسدية ورائها النزعة المثالية والروحية، والروحانيّات تنزل من السماء، وإنّ الجسد ليفنى وتبقى الروح، لتعود إلى البدن تارةً أُخرى، ليتنعّما في الجنّة خالدين فيها أبداً.

فالقلب المادّي الجسمي الناري، يحكي ذلك القلب المعنوي النوري المجرّد في جوهريّته، والمتعلّق بهذا القلب في فعله وتأثيره، فبينهما علاقة وعلقة وثيقة.

ولولا الحجب الظلمانية من المعاصي والآثام على ذلك القلب الأصيل، ولولا ظلمته وانتكاسه بالذنوب والفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولولا هيام الشياطين حوله، لكان حرم الله وبيته، وإنّ السماوات والأرض لا تسع الله، ولكن ذلك القلب يسعه، فهو عرش الرحمن، وإنّه بين إصبعي الرحمن يقلّبه كيف ما يشاء، وهو قلب المؤمن العارف بالله سبحانه وتعالى، وبقلبه هذا يرى الله سبحانه كما ورد في الأحاديث الشريفة.

ومثل هذا القلب الطاهر بعد صيقلته وتهذيبه يكون مرآةً للحقائق الكونية، وتنعكس فيه أسرار الكون وما فيه، وتنطبع فيه ما وراء الطبيعة من المجرّدات، وتظهر فيه أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، حتّى ينطوي فيه العالم الأكبر، ويكون

منبع الحِكَم، ومعادن العلوم الإلهية، ومخازن المعارف الربّانية، وتتفجّر منه ينابيع الحكمة، وتجري على لسانه من ذلك القلب الطاهر والنيّر بعد أن يخلص لله أربعين صباحاً، فيستأنس بالله عزّ وجلّ، ويكون هو الحاكم فيه.

فقلب يستحقّ المدح والثناء، وإنّه يثاب المرء على إصلاحه وتقواه، ويكون سبباً لإصلاح جميع الجوارح، إذ أنّه سلطان البدن، والناس على دين ملوكهم، فإذا صلح القلب صلحت الجوارح والجوانح، وإذا فسد القلب فسدت الجوارح، كما تفسد الرعيّة بفساد الراعي، وهناك قلب يستحقّ الذمّ عقلاً والعقاب شرعاً، وهو القلب الفاسد.

فعمران البلاد والمجتمعات الإنسانية إنّما هو بحكومة القلوب الصالحة والسليمة، وخرابها إنّما هو بحكومة القلوب العليلة والسقيمة.

فمن القلوب ما تستحقّ العذاب واللعن والذمّ، ومنها ما تستحقّ المدح والثواب والأجر.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: عجبت لمن يحتمي من ضرر الأكل، كيف لا يحتمي من ضرر الذنوب.

أقول: سيّدي ومولاي، العجب كلّ العجب في عصرنا الراهن، فما أعجب الإنسان في عصر الذرّة والفضاء وهذا التقدم التكنولوجي الهائل، قد اهتمّ بقلبه الصنوبري غاية الاهتمام، فما أكثر المستشفيات في العالم التي أُعدّت لمعالجة القلب؟ وما أعظم العمليات الجراحية على القلب؟ وما أكثر موت الفجأة بالسكتة القلبية؟ وما أضخم التطوّر العلمي في الأجهزة الألكترونية لمعالجة القلب؟ وما أكثر الأطباء الأخصائيين لمعالجة القلب؟ وما أكثر الأموال الطائلة التي تصرف من أجل القلب؟ كلّ هذا ليبقى القلب لأيام معدودة ليس إلّا، والكلّ يعلم أنّ عاقبته الفناء،

وإنّه أخيراً من حظّ التراب وديدان القبر، ومع هذا فما أن أحسّوا بوجع في قلوبهم، سرعان ما ذهبوا إلى الأطباء وبذلوا ما بذلوا، والمؤمنون منهم يتوجّهون إلى الدعاء، والأُسر والعوائل تبالغ بالاهتمام وبالبكاء والنحيب، ورعاية حال المريض المبتلى بالجلطة أو السكتة القلبية التي هي ترسّبات في شرايين القلب، فكلّ هذا الاهتمام لقلب صنوبري ميّت، ولكن ومع كلّ الأسف قد غفلوا عن القلب المعنوي الباقي، الساكن في الجنّة أو النار، وهذا من العَجب العجاب.

عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام، قال: اعلم يا فلان إنّ منزلة القلب من الجسد بمنزلة الإمام من الناس الواجب الطاعة عليهم، ألا ترى أنّ جميع جوارح الجسد شُرط للقلب وتراجمة له مؤدّية عنه: الأُذنان والعينان والأنف والفم واليدان والرجلان والفرج، فإنّ القلب إذا همّ بالنظر فتح الرجل عينه، وإذا همّ بالاستماع حرّك أُذنيه وفتح مسامعه فسمع، وإذا همّ القلب بالشمّ استنشق بأنفه فأدّى تلك الرائحة إلى القلب، وإذا همّ بالنطق تكلّم باللسان، وإذا همّ بالحركة سعت الرجلان، وإذا همّ بالشهوة تحرّك الذكر، فهذه كلّها مؤدّية عن القلب بالتحريك، وكذلك ينبغي للإمام أن يطاع للأمر به[1].

قال أمير المؤمنين في نهج البلاغة: لقد علّق بنياط هذا الإنسان بضعة، وهي أعجب ما فيه، وذلك القلب وله موادّ من الحكمة، وأضداد من خلافها، فإن سنح له الرجا أذلّه الطمع، وإن أسعده الرضا نسي التحفّظ، وإن ناله الخوف شغله الحذر، وإن اتّسع له الأمن (استلبته الغرَّة، وإن جُدّدت له النعمة أخذته العزّة) وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضّته الفاقة شغله البلاء، وإن

---

(١) البحار ٦٧ : ٥٢، عن علل الشرائع ١ : ١٠٣.

جهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط به الشبع كظّته البطنة، فكلّ تقصير به مضرّ، وكلّ إفراط له مفسد[١].

روى أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: ناجى داود ربّه فقال: إلهي، لكلّ ملك خزانة، فأين خزانتك؟ قال جلّ جلاله: لي خزانة أعظم من العرش وأوسع من الكرسي وأطيب من الجنّة وأزين من الملكوت: أرضها المعرفة، وسماؤها الإيمان، وشمسها الشوق، وقمرها المحبّة، ونجومها الخواطر، وسحابها العقل، ومطرها الرحمة، وأثمارها الطاعة، وثمرها الحكمة، ولها أربعة أبواب: العلم والحلم والصبر والرضا، ألا وهي القلب[٢].

ممّا جاء في أدعية سحر شهر رمضان المبارك: اللهمّ املأ قلبي حبّاً لك وخشيةً منك وتصديقاً لك وإيماناً بك وفرقاً منك وشوقاً إليك يا ذا الجلال والإكرام[٣].

«وبالجملة الذي يجب على العبد بذل غاية الطاقة فيه هو عبادة القلب بالمعرفة والذكر والشكر وغيرها من عباداته، وأمّا العبادة البدنية فالمرغوب شرعاً فيها الاقتصاد لا الجهد الشديد، وأمّا تلطيف القلب بالمعرفة وما يتبعها من كرائم صفاتها فالمرغوب فيه الإدمان بقدر الوسع والطاقة، حتّى يصير حاله كما قال الصادق عليه السلام في حقّ العارف: «لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه»، وإذا انكشف عن قلبه أغشية الأوهام، وارتفعت عنه الحجب الظلمانية، وتجلّى فيه

---

(١) البحار ٦٧: ٦٠، عن نهج البلاغة تحت الرقم ١٠٨ من الحكم.

(٢) المصدر: ٥٩.

(٣) مفاتيح الجنان: ٢٠١.

أنوار جمال الصفات، وسبحات جلال الذات، وبرق له لامع كثير البرق، لا يمكنه الغفلة والسهو، وينقلب أحوال قلبه بتجلّيات خصوص الصفات الجمالية والجلالية. والله جلّ جلاله يتولّى رياضة قلبه بالخوف والرجاء من هذا الطريق حتّى يورده مقعد الصدق في جواره، ويسكنه في الفردوس الأعلى جنّة النور مع النبيّين والشهداء والصدّيقين، وحسن أُولئك رفيقاً»[١].

فاقبل على القلب يستكمل فضائله ... فأنت بالقلب لا بالجسم إنسانُ

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... وتطلب الربح فيما فيه خسرانُ

وحبّذا أن نذكر الصفة التشريحية للقلب في القرآن الكريم كما جاء ذلك في كتاب (الطبّ في القرآن والسنّة)[٢]:

«أوّلاً ـ أوّل ما يخلق من أجزاء الإنسان:

للعلماء في ذلك ثلاثة آراء:

الرأي الأوّل: قال فريق من العلماء: إنّ أوّل ما يخلق من أجزاء الإنسان هو الرأس، واستدلّوا في ذلك على أنّه هو أوّل شيء يخرج من الإنسان إلى حيّز الوجود حال الوضع.

الرأي الثاني: وقيل: إنّه الكبد، واستدلّوا في ذلك على أنّه هو الذي يقوم بعملية هضم الطعام، وتحويل عصارته إلى كرات الدم بيضاء وحمراء، ثمّ يمدّ القلب بها، فوظيفته سابقة على وظيفة القلب.

الرأي الثالث: إنّه القلب، واستدلّوا على ذلك على أنّه عماد الجسم وقالبه

---

(١) المراقبات: ٤٥.

(٢) الطبّ في القرآن والسنّة؛ محمّد محمود عبد الله: ١٠.

(٢) الطبّ في القرآن والسنّة؛ محمّد محمود عبد الله: ١٠.

وينبوع حياته بما أودع الله تعالى فيه من سرّ الحياة والحركة، وإنّه سلطان الجسم والملك المسلّط على مملكته، وباقي الأعضاء خادمة له. وهذا الرأي هو الراجح، لأنّ الحقّ تعالى حين عاب على من جحدوا النعمة وأنكروا وجوده قال:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[١].

فجاء القلب في المرتبة الأُولى لما له من أهمّيّة حيث إنّه مقرّ العقل والتعقّل، ومقرّ البصيرة التي هي أرقى من البصر...

ثمّ يقول المؤلّف: وقد جاءت الصفة التشريحيّة للقلب في القرآن الكريم ستّة أجزاء مقسّمة على ستّ مراتب دقيقة متتالية:

١ ـ المرتبة الأُولى: القلب بوجه عامّ كدائرة كبرى بداخل الصدر، وظيفته العامّة: هو ينبوع الحياة ومضخّة الدم التي لا تكلّ عن العمل، عدد ضرباته من ٦٠ إلى ٨٠ ضخّة في الدقيقة الواحدة، وينبض يومياً ما يزيد على مائة ألف مرّة يضخّ خلالها (٨٠٠٠ ليتر من الدم توزّع على جميع أعضاء الجسم بالتساوي في آن واحد، وحوالي ٥٦ مليون جالون على مدى حياة إنسان وسطاً)، وقد ورد في الحديث القدسي في قوله تعالى: (لم تسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن)، إنّ القلب يقوم بكتابة الاسم الأعظم (الله) أثناء عملية ضخّ الدم هذه، ومن داخل القلب دائرة أصغر منه تسمّى الفؤاد.

٢ ـ المرتبة الثانية: الفؤاد، ووظيفته إدراك الأُمور الظاهرية، أي الفهم العادي. وقد تحدّث الحقّ تعالى عنه في تعدّد الحواسّ المسؤولة عن حركة الإنسان،

---

(١) الحجّ: ٤٦.

فقال:

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾[١].

٣ ـ المرتبة الثالثة: اللباب، وهو دائرة أصغر بداخل الفؤاد، وظيفته فهم الأُمور الخفيّة الدقيقة، أي الفهم فوق العادة، وقد خصّ الحقّ تعالى أصحاب الألباب بميزة التدبّر، وسرعة الإدراك في الاستدلال على عظمة الخلّاق دون غيرهم فقال عزّ ثناؤه:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾[٢].

أي أنّ هذه الأجرام العظام وما فيها من صنعة دقيقة تدلّ على عظمة الصانع وقدرته، واختلاف الليل والنهار أي تعاقبهما، الأوّل بالظلمة والثاني بالضياء، لعلامات دالّة على وحدانية الله لا يعرفها إلّا أصحاب العقول الرشيدة، كما خصّهم الحقّ جلّ شأنه بميزة التذكّر، فقال سبحانه:

﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[٣].

كما استحقّوا أن يكونوا أهل التمييز بين الأشياء صالحها وطالحها.

٤ ـ المرتبة الرابعة: العقل، وهو دائرة أصغر بداخل اللباب وظيفته الترجيح والفصل والتعقّل، الترجيح بين ما يجب وما لا يجب، والفصل بين القضايا، والتعقّل في وضع الأُمور في نصابها، وهو ميزان الجسم وموضع التكليف إذ لا تكليف إلّا

---

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) آل عمران: ١٩٠.

(٣) الرعد: ١٩.

على العقلاء، وقد أشار الحقّ تعالى إلى ذلك بقوله:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾[1].

فبيّن سبحانه أنّ موطن العقل في القلب ومدى أهمّيته للإنسان.

أمّا الصفة التشريحية الطبّية للعقل فالسادة علماء الطب يعتبرونه في الرأس، ولا خلاف بين الطبّ والنصّ القرآني، إذ أنّ الرأس به المخّ، وهو يمثّل المجموعة الفكرية للإنسان، التي تتعامل مع العقل بداخل القلب في طريق الإشارات العصبية، حيث يوجد في الدماغ (١٣ مليار خليّة عصبية) و (١٠٠ مليار خلية دبقية)، استنادية تشكّل سدّاً مانعاً لحراسة الخلايا العصبية من التأثّر بأيّ مادة. فكأنّ المجموعة الفكرية هي العقل، إذا بغير الفكر لا عقل.

٥ ـ المرتبة الخامسة: الوجدان، وهو دائرة أصغر بداخل العقل، ووظيفته الحزن والعاطفة، وقد نبّهنا الحقّ تعالى إلى خطر الإفراط في الحزن أو العاطفة فقال:

﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾[2].

٦ ـ المرتبة السادسة: الجنان من داخل الوجدان دائرة أصغر تسمّى الجنان، ووظيفة الجنان الذكر الصامت لله ربّ العالمين، لأنّ الذكر نوعان:

١ ـ منطوق باللسان.

٢ ـ صامت بالجنان...

ثمّ يقول المؤلّف: بعد أن بيّنا أنواع الداء، إليك أنواع الدواء، فيذكر أوّلاً الدواء في القرآن وأنّه نوعان:

---

(١) الحجّ: ٤٦.

(٢) الحديد: ٢٣.

١ ـ حسّي، وهو ما يعالج البدن والأعضاء.

٢ ـ معنوي، وهو ما يعالج الروح والقلب والبدن.

أمّا الجانب الحسّي الذي يعالج علل الجسم فيتمثّل في الأشياء التي جاء التنزيل بها صراحة، وهي:

١ ـ الماء بوجه عامّ. ٢ ـ ماء السماء. ٣ ـ ماء الأرض بوجه عامّ. ٤ ـ ماء الأرض في حالات خاصّة. ٥ ـ البقول والخضروات. ٦ ـ الحبّ والنوى. ٧ ـ الزيتون والرمّان. ٨ ـ اللحوم. ٩ ـ اللبن. ١٠ ـ ثمرات النخيل والأعناب. ١١ ـ عسل النحل. ١٢ ـ زيت الزيتون. ١٣ ـ السمك. ١٤ ـ الخردل. ١٥ ـ القرع، وهو اليقطين. ١٦ ـ الموز. ١٧ ـ لحم الطيور. ١٨ ـ الكافور. ١٩ ـ الزنجبيل. ٢٠ ـ المسك. ٢١ ـ التين والزيتون.

ثمّ يذكر آيات هذه الأطعمة وما فيها من الآثار الطبّية والمعالجات الصحّية، ثمّ يذكر الشفاء المعنوي كالإيمان وصدق الاعتقاد واليقين في من بلّغ عن ربّه وهو الرسول الأعظم ﷺ، والذكر والتوكّل والقرآن وأنّه شفاء لما في الصدور من كلّ داء إلّا الموت، والرحمة العامّة والخاصّة. فراجع إذا أردت التفصيل.

الفصل الثاني

القلب في رحاب القرآن الكريم

لو رجعنا إلى القرآن الكريم في معرفة القلب، فإنّا نجد قد شُبّه القلب بأُمور، منها:

١ ـ شُبّه بالعقل الدرّاك لما فيه الخير والصلاح، والذي تنفعه الذكرى والموعظة كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[1].

٢ ـ وإنّه مركز الخوف والرعب، كما في قوله سبحانه:

﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾[2].

٣ ـ وإنّه بمعنى الروح، كما في قوله عزّ وجلّ:

﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الحَنَاجِرَ ﴾[3].

٤ ـ وإنّه منطلق العواطف والأحاسيس، كما في قوله جلّ جلاله:

---

(١) ق: ٣٧.

(٢) الأنفال: ١٢.

(٣) الأحزاب: ١٠.

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ ﴾[١].

ثمّ إنّ في الإنسان لقوّة تسيّره في الحياة، وتواكبه منذ نعومة أظفاره وإلى يوم رحلته، وهذه القوّة التي تعطيه الحيوية والنشاط إنّما تنطلق من مركزين :

١ ـ مركز الإدراكات.

٢ ـ مركز العواطف.

وكلاهما نسب في القرآن الكريم إلى القلب. فمركز الإدراكات والمدركات الحسّية وغيرها، إنّما هو الدماغ والمخّ، وهو من خدّام الروح، ومركز العواطف هو القلب الصنوبري، فإنّ الحزن والسرور يؤثّران عليه. والجامع لمركزي القوّة في الواقع والحقيقة إنّما هو روح الإنسان، إلّا أنّ الآثار الجسمية مختلفة ومتفاوتة، فإنّ الإدراك الفهمي تظهر آثاره ابتداءً على الدماغ، كما أنّ المحبّة والعداوة والخوف والأمن والسرور والحزن، إنّما تظهر آثارها أوّلاً على القلب.

ولا مانع أن تنسب القضايا الفكرية والعاطفية إلى القلب بعدما كان سلطان البدن وأميره، وإنّه من أهمّ الجوارح والجوانح[٢] التي تؤثّر في بقاء الإنسان حيّاً في الحياة الأُولى.

ثمّ القرآن كتاب الله الحكيم يذكر حالات مختلفة للقلب مثلاً :

١ ـ يران كما يران الحديد :

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٣] من المعاصي والآثام.

---

(١) آل عمران : ١٥٩.

(٢) الجوارح : الأعضاء الظاهرة التي يصدر منها الجروح، والجوانح : البواطن.

(٣) المطفّفين : ١٤.

٢ ـ وإنّه يقسو ويكون كالحجارة أو أشدّ :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[١].

٣ ـ وإنّه يغلظ :

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٢].

٤ ـ وإنّه يمرض بأمراض معنوية، كعدم استقرار الإيمان :

﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾[٣].

فيتبع خطوات الشيطان، ويتّخذ إلهه هواه.

٥ ـ وإنّه يختم على القلب، فلا يفقه شيئاً ولا يشعر :

﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾[٤].

٦ ـ وربما يكون ظرفاً للخوف والرعب :

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾[٥].

٧ ـ وربما يكون آثماً بمعصية الله، كمن يكتم الشهادة :

﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾[٦].

٨ ـ ومن القلوب تجهل ولا تفهم ولا تفقه الحقّ :

---

(١) البقرة : ٧٤.

(٢) آل عمران : ١٥٩.

(٣) الأحزاب : ٣٢.

(٤) البقرة : ٧.

(٥) آل عمران : ١٥١.

(٦) البقرة : ٢٨٣.

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾[١].

٩ ـ والله سبحانه يختبر ويمتحن القلوب :

﴿ إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً ﴾[٢].

١٠ ـ ويكون القلب موضع رحمة الله ورأفته وسكينته :

﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾[٣].

كما هناك حالات كثيرة للقلب ـ كما ستقف عليها ـ وتعلم أنّ القلب في القرآن الكريم ليس بمجرّد لحمة صنوبرية تصفّي الدم، بل يأتي بمعانٍ عديدة كالروح والصدر، ويحمل معاني متضادّة كالخير والشرّ.

والقرآن يفسّر بعضه بعضاً، والتفسير هو كشف القناع عن الظاهر والباطن، وربط الآيات الشريفة في المحتوى العامّ في كلّ القرآن في الظواهر والبواطن.

فلو رجعنا إلى القلوب الواردة في القرآن ومقايستها بعضها مع بعض، لرأينا هناك ألفاظ قريبة المعنى، كالقلب والنفس والصدر والفؤاد، كما في قوله تعالى :

﴿ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[٤].

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾[٥].

﴿ أَوَ لَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ العَالَمِينَ ﴾[٦].

---

(١) الأعراف : ١٧٩.

(٢) الأنفال : ٧٠.

(٣) الحديد : ٢٧.

(٤) الأحزاب : ٥١.

(٥) الإسراء : ٢٥.

(٦) العنكبوت : ١٠.

فالقلب والنفس والصدر كلٌّ قد صار متعلّقاً لعلم الله سبحانه، فإمّا أن يكون بمعنى واحد، وأنّها ألفاظ مترادفة، أو بمعنى (قسم من البواطن) الذي يكون مركزاً للإدراكات العقلية، والعواطف الروحية، والأحاسيس النفسية.

فالله يعلم ما في القلوب، والعلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء:

﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[1].

ثمّ سمّي القلب قلباً لتقلّبه في الخواطر والحوادث، كما أشار إليه المحقّق النراقي في كتابه القيّم (جامع السعادات)[2] تحت عنوان (النفس وأسماؤها وقواها الأربع) فقال:

ما عرفت من تجرّد النفس إنّما هو التجرّد في الذات دون الفعل، لافتقارها فعلاً إلى الجسم والآلة، فحدّها: أنّها جوهر ملكوتي يستخدم البدن في حاجاته، وهو حقيقة الإنسان وذاته، والأعضاء والقوى آلاته التي يتوقّف فعله عليها، وله أسماء مختلفة بحسب اختلاف الاعتبارات، فيسمّى (روحاً) لتوقّف حياة البدن عليه و(عقلاً) لإدراكه المعقولات، و(قلباً) لتقلّبه في الخواطر، وقد تستعمل هذه الألفاظ في معانٍ أُخرى تعرف بالقرائن، وله قوى أربعة:

١ ـ قوّة عقليّة ملكية.

٢ ـ وقوّة غضبية سبعية.

٣ ـ وقوّة شهوية بهيمية.

٤ ـ وقوّة وهميّة شيطانية.

---

(١) الحجّ: ٤٦.

(٢) جامع السعادات ١: ٢٨.

والأُولى: شأنها إدراك حقائق الأُمور، والتميز بين الخيرات والشرور، والأمر بالأفعال الجميلة، والنهي عن الصفات الذميمة.

والثانية: موجبة لصدور أفعال السباع من الغضب والبغضاء والتوثّب على الناس بأنواع الأذى.

والثالثة: لا يصدر عنها إلّا أفعال البهائهم من عبودية الفرج والبطن، والحرص على الجماع والأكل.

والرابعة: شأنها استنباط وجوه المكر والحِيَل، والتوصّل الى الأغراض بالتلبيس والخدع.

ثمّ الإنسان جامع لجملة من القوى ـ كما مرّ ـ والغرائز والأحاسيس والعواطف، ولكلّ قوّة وغريزة لذّة واستمتاع، ولذّتها في نيلها وحصول مقصودها بمقتضى طبعها وسجيّتها التي خلقت له، فإنّ هذه الغرائز ما ركّبت في الإنسان هزلاً وشططاً، بل خلقت كلّ قوّة وغريزة لأمر من الأُمور المودعة في سريرتها، هو مقتضاها بالطبع.

وفي القلب الإنساني غريزة تسمّى النور الإلهي لقوله تعالى:

﴿ أفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾[١].

وقد تسمّى نور الإيمان واليقين والعلم الإلهي والمعرفة النورانية، ولا معنى للاشتغال بالأسماء والألفاظ وإن كانت تنبئ عن مسمّيات ومعاني، إلّا أنّها من الاصطلاحات المختلفة، ولا مشاحّة في الاصطلاح، وربما الضعيف في ثقافته، يظنّ أنّ الاختلاف واقع في المعاني، لأنّه يطلب دائماً المعاني من نفس الألفاظ، وهو

---

(١) الزمر: ٢٢.

عكس المطلوب.

فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيّلة ولا محسوسة، كإدراكه خلق العالم، أو افتقاره إلى خالق مدبّر حكيم موصوف بصفات إلهية، مستجمع لجميع صفات الكمال من الجمال والجلال.

ولا مانع أن تسمّى تلك الغريزة عقلاً، بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة، فإنّه اشتهر اسم العقل بهذا المعنى أيضاً، ولهذا ذمّه من ذمّه، وإلّا فالصفة التي بها يفارق الإنسان البهائم والعجماوات، وبها يدرك المعارف السامية كمعرفة الله سبحانه، فإنّها أعزّ وأنفس الصفات، فلا ينبغي أن يذمّ ويحارب كما عند الحشرية وأهل الظاهر والأخباريين.

وهذه الغريزة خلقت في الإنسان ليعلم بها حقائق الأُمور، وواقع الأشياء كلّها، فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذّتها ـ ومن هذا المنطلق عندما يحلّ للإنسان مشكلة علميّة، ويقف على حقيقتها، فإنّه يبتهج ويستر غاية السرور والبهجة حتّى يصرخ أين الملوك وأبناء الملوك، لما يشعر آنذاك بلذّة خارقة لا يجدها الملوك ـ كما أنّ مقتضى طبع سائر الغرائز هو لذّتها، فمعرفة الله ألذّ الأشياء وأنّه لا لذّة فوقها، وإنّما يشعر بها من كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد[1].

ولا يخفى أنّ معرفة القلب وحقيقته وآثاره وصفاته ولوازمه ممّا خفي على كثير من الناس، وفي الأخبار والروايات الشريفة لم يبيّن المعصومون الأئمة الأطهار عليهم السلام ذلك إلّا بإشارات وكنايات، فينبغي أن يكتفى ما يذكر من صلاحه وفساده وآفاته ودرجاته وحالاته وأخلاقياته، ونسعى في تهذيب وتكميل وتنوير

---

(١) اقتباس من المحجّة البيضاء ٨ : ٢٧.

هذه الخلقة العجيبة واللطيفة الربانية، وتخليتها من الصفات الذميمة، وتحليتها بالأخلاق الحميدة، وتجليتها حتّى تعرج بنا إلى مدارج الكمال، وإفاضة المعارف من الله جلّ جلاله.

ثمّ المشهور بين الحكماء ومن يسلك مسلكهم، أنّ المراد بالقلب هو النفس الناطقة، وهي جوهر روحاني متوسّط بين العالم الروحاني الصرف والعالم الجسماني، يفعل فيما دونه، وينفعل عمّا فوقه، وإثبات الأُذن له ـ يقال للقلب أُذنان كما سيأتي بيانه مفصّلاً ـ إنّما هو على الاستعارة والتشبيه.

يذكر العلّامة المجلسي في كتابه الشريف (بحار الأنوار)[1] عن بعض المحقّقين قوله: القلب شرف الإنسان وفضيلته التي بها فاق جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي في الدنيا جماله وكماله وفخره، وفي الآخرة عدّته وذخره، وإنّما استعدّ للمعرفة بقلبه، لا بجارحة من جوارحه، فالقلب هو العالم بالله، وهو العامل لله، وهو الساعي إلى الله، وهو المتقرّب إليه، وإنّما الجوارح أتباع له وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال الملك للعبيد، واستخدام الراعي للرعية، والصانع للآلة.

والقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله سبحانه، وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقاً بغير الله، وهو المطالب والمخاطب وهو المثاب والمعاقب، وهو الذي يستسعد بالقرب من الله تعالى، فيفلح إذا زكّاه، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنّسه ودسّاه.

وهو المطيع لله بالحقيقة به، وإنّما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات

---

(١) البحار ٦٧ : ٣٤.

أنواره، وهو العاصي المتمرّد على الله، وإنّما الساري على الأعضاء من الفواحش آثاره، وبإظلامه واستتاره تظهر محاسن الظاهر ومساويه، إذ كلّ إناء يترشّح بما فيه، وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربّه، وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه، وإذا جهل نفسه فقد جهل ربّه، ومن جهل بقلبه فهو بغيره أجهل، وأكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم، وقد حيل بينهم وبين أنفسهم، فإنّ الله يحول بين المرء وقلبه، وحيلولته بأن لا يوفّقه لمشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته، وكيفية تقلّبه بين إصبعين من أصابع الرحمن، وأنّه كيف يهوى مرّة إلى أسفل السافلين، وينخفض إلى أُفق الشياطين، وكيف يرتفع أُخرى إلى أعلى علّيين، ويرتقي إلى عالم الملائكة المقرّبين.

ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصّد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه، فهو ممّن قال الله تعالى فيه:

﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾[١].

فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين، وأساس طريق السالكين.

فإذا عرفت ذلك فاعلم أنّ النفس والروح والقلب والعقل ألفاظ متقاربة المعاني، فالقلب يطلق لمعنيين أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود، وهو منبع الروح ومعدنه، وهذا القلب موجود للبهائم، بل هو موجود للميّت.

---

(١) الحشر: ١٩.

والمعنى الثاني هو لطيفة ربّانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلّق، وقد تحيّرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، فإنّ تعلّقها به يضاهي تعلّق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات، أو تعلّق المستعمل للآلة بالآلة، أو تعلّق المتمكّن بالمكان، وتحقيقه يقتضي إفشاء سرّ الروح، ولم يتكلّم فيه رسول الله ﷺ، فليس لغيره أن يتكلّم فيه.

ثمّ يذكر العلّامة معنى الروح وأنّه على معنيين، والنفس كذلك، ثمّ العقل وبعض معانيه، ثمّ يقول:

وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها، فتراهم يتكلّمون في الخواطر، ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح، وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء.

وحيث ورد في الكتاب والسنّة لفظ القلب، فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان، ويعرف حقيقة الأشياء، وقد يكنّى عنه بالقلب الذي في الصدر، لأنّ بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصّة، فإنّها وإن كانت متعلّقة بسائر البدن ومستعملة له، ولكنّها تتعلّق به بواسطة القلب، فتعلّقها الأوّل بالقلب فكأنّه محلّها ومملكتها وعالمها ومطيّتها، ولذا شبّه القلب بالعرش والصدر بالكرسي. ـ وللبحث صلة، فراجع ـ

فصلاح القلب يؤثّر على الجسد. قال رسول الله ﷺ: في الإنسان مضغة إذا هي سلمت وصحّت سلم بها سائر الجسد، فإذا سقمت سقم لها سائر الجسد وفسد، وهي القلب[1].

---

(١) البحار ٦٧ : ٥٠، عن الخصال ١ : ١٨.

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: القلوب ثلاثة: قلب منكوس لا يعثر على شيء من الخير وهو قلب الكافر، وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشرّ فيه يعتلجان، فما كان منه أقوى غلب عليه، وقلب مفتوح فيه مصباح يزهر فلا يطفأ نوره إلى يوم القيامة، وهو قلب المؤمن[١].

هذا وقد وردت كلمة (القلب) ومشتقّاتها في القرآن الكريم في (١٦٨) موضعاً، وهذه جملة من الآيات الشريفة:

١ ـ ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[٢].

٢ ـ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[٣].

٣ ـ ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾[٤].

٤ ـ ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾[٥].

٥ ـ ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا

---

(١) البحار ٦٧: ٥٠، عن معاني الأخبار: ٣٩٥.

(٢) المؤمن: ٣٥.

(٣) ق: ٣٧.

(٤) آل عمران: ١٥١.

(٥) الأعراف: ١٤١.

وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ ﴾[١].

٦ ـ ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[٢].

٧ ـ ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[٣].

٨ ـ ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ المُعْتَدِينَ ﴾[٤].

٩ ـ ﴿ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ ﴾[٥].

١٠ ـ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[٦].

١١ ـ ﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ ﴾[٧].

---

(١) الأعراف : ١٧٩.

(٢) الأنفال : ١٢.

(٣) التوبة : ١١٧.

(٤) يونس : ٧٤.

(٥) الحجر : ١٢.

(٦) الحجّ : ٤٦.

(٧) الشعراء : ٢٠٠.

١٢ ـ ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[١].

١٣ ـ ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[٢].

١٤ ـ ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٣].

١٥ ـ ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَللهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾[٤].

١٦ ـ ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ وَ جَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[٥].

١٧ ـ ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾[٦].

١٨ ـ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ ﴾[٧].

---

(١) الروم : ٥٩.

(٢) الزمر : ٤٥.

(٣) محمّد ﷺ : ٢٤.

(٤) الفتح : ٤.

(٥) الحديد : ٢٧.

(٦) النازعات : ٨.

(٧) آل عمران : ١٥٩.

١٩ ـ ﴿ الَّـذِينَ آمَـنُوا وَتَـطْمَئِنُّ قُـلُوبُهُمْ بِـذِكْرِ اللهِ أَلا بِـذِكْرِ اللهِ تَـطْمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾[(١)].

٢٠ ـ ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ ﴾[(٢)].

٢١ ـ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَـعْقِلُونَ بِـهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[(٣)].

٢٢ ـ ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيـتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَـتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾[(٤)].

٢٣ ـ ﴿ إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُـنُّونَ بِاللهِ الظُّـنُونَ ﴾[(٥)].

٢٤ ـ ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[(٦)].

٢٥ ـ ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَـيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٧)].

---

(١) الرعد : ٢٨.

(٢) الحجّ : ٣٢.

(٣) الحجّ : ٤٦.

(٤) النور : ٣٧.

(٥) الأحزاب : ١٠.

(٦) المؤمن : ١٨.

(٧) البقرة : ٩٧.

٢٦ ـ ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾[١].

٢٧ ـ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً فَإِنْ يَشَأ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ البَاطِلَ وَيُحِقُّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[٢].

٢٨ ـ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ ﴾[٣].

٢٩ ـ ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[٤].

٣٠ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[٥].

٣١ ـ ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٦].

٣٢ ـ ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾[٧].

---

(١) الشعراء : ١٩٤.

(٢) الشورى : ٢٤.

(٣) البقرة : ٢٠٤.

(٤) البقرة : ٢٨٣.

(٥) الأنفال : ٢٤.

(٦) النحل : ١٠٦.

(٧) الكهف : ٢٨.

٣٣ ـ ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾(١).

٣٤ ـ ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾(٢).

٣٥ ـ ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٣).

٣٦ ـ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٤).

٣٧ ـ ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴾(٥).

٣٨ ـ ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾(٦).

---

(١) الأحزاب : ٣٢.

(٢) الجاثية : ٢٣.

(٣) التغابن : ١١.

(٤) البقرة : ٢٦٠.

(٥) القصص : ١٠.

(٦) الأحزاب : ٤.

الفصل الثالث

المرشد القلبي

نعيش اليوم الخامس عشر من شهر رمضان المبارك ذكرى ميلاد سبط رسول الله الإمام الزكي الحسن المجتبى عليه السلام، فمن وحي المناسبة:

عن الإمام الحسن عليه السلام، عن أبي الحسن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، عن جدّ الحسن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: إنّ أحسن الحسن الخُلق الحسن.

إنّ الله سبحانه قد حثّ الإنسان على أن يتخلّق بالأخلاق الحسنة، فقد أقسم بالشمس وضحاها وبالقمر إذا تلاها، وبالسماء والأرض وبالنفس إذا سوّاها، بأنّ الله عزّ وجلّ ألهمها فجورها وتقواها، وهذا هو الرأس المال الأخلاقي الأوّل الذي أعطاه الله للإنسان حتّى يسعده في الدارين ويتمّ الحجّة عليه ﴿ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ ﴾[1]، فتلطّف عليه بأن علّمه وألهمه ما فيه فجور النفس وما فيه تقواها، كما جعل له الرسول الباطني وهو العقل، وأيّده بالرسول الظاهري وهم الأنبياء والرسل عليهم السلام ومن يحذو حذوهم ويحفظ شريعتهم من الأئمة الأطهار وورثتهم العلماء الصالحين الأخيار.

---

(١) الأنعام: ١٤٩.

وقد مدح الله أنبياءه بأخلاقهم الحسنة، فإنّها مظاهر لصفات الله العليا وأسمائه الحسنى، وقد فاق خاتم النبيين جميع الخلائق، حتّى مدحه الله بخلقه الحسن:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

وإنّما أخلاقه هي تجسيم لأخلاق القرآن الكريم الذي يدعو الناس إلى العدل والإحسان وترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

سئلت عائشة عن خلق النبيّ فقالت: كان خلقه القرآن.

فالقرآن هو كتاب الله الكريم أنزله لسعادة الإنسان وهدايته إلى سواء السبيل فهو حجّة الله على الخلق فيه تبيان كلّ شيء، وما من صغيرة أو كبيرة وما من رطب أو يابس إلّا في كتابٍ مبين.

وإنّما ترك النبيّ الأكرم في أُمّته الثقلين: كتاب الله وعترته، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا الحوض، فكلّ ما في القرآن الكريم من العلوم والمعارف والهداية والأخلاق الحسنة، إنّما هو في عترة رسول الله فهم الذين جسّدوا القرآن، وترجموه للناس في سلوكهم وأخلاقهم وحسن معاشرتهم، فمن تمسّك بهما لن يضلّ عن الصراط المستقيم أبداً.

فالله سبحانه في خلقه الأوّل ألهم الإنسان فجور نفسه وتقواها، وقد أفلح من زكّاها، وقد خاب من دسّاها، فتكرّم عليه بحكيم ومرشد قلبي، كما حثّه على أن يرجع في أُموره إلى المرشد والحكيم الظاهري، فقد ورد في الخبر الشريف: «هلك من لم يكن له حكيم يرشده»، فعلينا أن نرجع إلى معلّم الأخلاق والحكيم الصالح، ليطلعنا على عيوب أنفسنا، وما فيه صلاحنا وهلاكنا وشقاوتنا وسعادتنا، وإن

---

(١) القلم: ٤.

فقدناه، فإنّ لنا بلطف من الله وعنايته وهدايته وهو المعلّم والمرشد الأوّل: المرشد القلبي.

في الخبر الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما من قلب إلّا وله أُذنان على أحدهما ملك مرشد وعلى الآخر شيطان مفتّن، هذا يأمره وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي والملك يزجره عنها، وهو قول الله عزّ وجلّ:

﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1] [2].

وعنه عليه السلام، قال: إنّ للقلب أُذنين، فإذا همّ العبد بذنب قال له روح الإيمان: لا تفعل، وقال له الشيطان، افعل، وإذا كان على بطنها نزع منه روح الإيمان.

قوله عليه السلام: (على بطنها)، راجع إلى المرأة المزنيّ بها في الزنا، ذكره على سبيل المثال كما ورد في الخبر الشريف: لا يزني المؤمن وهو مؤمن، فإنّه حين الزنا ينزع منه روح الإيمان، وإذا تاب توبةً نصوحة، فإنّها ترجع إليه، فإنّ المؤمن مفتون يذنب ويتوب.

ثمّ للنفس طريق إلى الخير وطريق إلى الشرّ، وللخير مشقّة حاضرة زائلة، ولذّة غائبة دائمة، وللشرّ لذّة حاضرة فانية ومشقّة غائبة باقية، والنفس بطبيعتها تطلب اللذّة وتهرب عن المشقّة، فالإنسان حينئذٍ دائماً متردّد بين الخير والشرّ، وروح الإيمان يدعوه إلى الخير وينهاه عن الشرّ، والشيطان يغويه فإنّه عدوّه.

ويحتمل أن يكون المراد من روح الإيمان هو الملك، وسمّي بروح الإيمان له

---

(١) ق: ١٧ ـ ١٨.

(٢) البحار ٦٧: ٣٣، عن الكافي ٢: ٢٦٦.

مؤيّد له وسبب لبقائه، فكأنّه روحه وبه حياته.

أو يراد به العقل فإنّه أيضاً كذلك.

أو يراد به الروح الإنساني من حيث اتّصافه بالإيمان.

أو يراد بها قوّة الإيمان وكماله ونوره، فإنّ كمال الإيمان باليقين بالله واليوم الآخر، لا يجتمع مع ارتكاب الكبائر والذنوب.

أو يراد بها نفس الإيمان وتكون الإضافة للبيان، فإنّ الإيمان الحقيقي ينافي ارتكاب موبقات المعاصي.

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما من مؤمن إلّا ولقلبه أُذنان في جوفه: أُذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس، وأُذن ينفث فيها الملك، فيؤيّد الله المؤمن بالملك، وذلك قوله:

﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾[1].

---

(١) المجادلة: ٢٢.

الفصل الرابع

العلم القلبي

لقد ورد في الحديث الشريف: «ليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء»، فهذا من العلم الإلهي الذي يفيضه على أوليائه من الأنبياء والأوصياء والمؤمنين الكمّل، وإنّ من موارد علم الأئمة الأطهار من عترة الرسول المختار، هو هذا العلم القلبي.

كان الصادق عليه السلام يقول: علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الأسماع، وإنّ عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة عليها السلام وعندنا الجامعة فيها جميع ما تحتاج الناس إليه، فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال: أمّا الغابر؛ فالعلم بما يكون، وأمّا المزبور؛ فالعلم بما كان، وأمّا النكت في القلوب فهو الإلهام، وأمّا النقر في الأسماع فحديث الملائكة عليهم السلام، نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم. إلى آخر الحديث الشريف[1].

عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّا نزاد في الليل والنهار ولولا أنّا نزاد لنفد ما عندنا، فقال أبو بصير: جعلت فداك، من يأتيكم؟ قال: إنّ

(1) البحار ٢٦: ١٨.

منّا لمن يعاين معاينة، ومنّا من ينقر في قلبه كيت وكيت، ومنّا من يسمع بأُذنه وقعاً كوقع السلسلة في الطست... إلى آخر الخبر[١].

وعنه عليه السلام: إنّ منّا لمن يوقر في قلبه ومنّا من يسمع بأُذنه، ومنّا من ينكت، وأفضل ممّن يسمع.

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان عليّ عليه السلام يعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه، فإذا ورد عليه الشيء الحادث الذي ليس في الكتاب ولا في السنّة ألهمه الله الحقّ فيه إلهاماً، وذلك والله من المعضلات.

وعن عيسى بن حمزة الثقفي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّا نسألك أحياناً فتسرع في الجواب، وأحياناً تطرق ثمّ تجيبنا، قال: نعم إنّه ينكت في آذاننا وقلوبنا، فإذا نكت نطقنا، وإذا أُمسك عنّا أمسكنا[٢].

وعن الحارث بن المغيرة النضري، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما علم عالمكم؟ جملة يقذف في قلبه أو ينكت في أُذنه؟ قال: فقال: وحي كوحي أمّ موسى.

عن عليّ السائي، قال: سألت الصادق عليه السلام عن مبلغ علمهم، فقال: مبلغ علمنا ثلاثة وجوه: ماضٍ وغابر وحادث، فأمّا الماضي فمفسّر، وأمّا الغابر فمزبور، وأمّا الحادث فقذف في القلوب ونقرع في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبيّ بعد نبيّنا.

وبقوله عليه السلام: «لا نبيّ بعد نبيّنا» كأنّما لدفع التوهّم الذي يخطر على الذهن أنّ هذا من النبوّة.

---

(١) البحار ٢٦ : ٥٣.

(٢) المصدر : ٥٧.

وعن زرارة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لما فسّر النكت بأنّه إلهام في القلوب والنقر في الأسماع إنّما هو من الملك: كيف يعلم أنّه كان الملك ولا يخاف أن يكون من الشيطان إذا كان لا يرى الشخص؟ قال: إنّه يلق عليه السكينة فيعلم أنّه من الملك، ولو كان من الشيطان اعتراه فزع، وإن كان الشيطان ـ يا زرارة ـ لا يتعرّض لصاحب هذا الأمر[١].

عن أبي بصير، قال: سمعته يقول: إنّ عندنا الصحف الأُولى: صحف إبراهيم وموسى، فقال له ضريس: أليست هي الألواح؟ فقال: بلى، قال ضريس: إنّ هذا لهو العلم، فقال: ليس هذا العلم إنّما هذه الأُثرة، إنّ العلم ما يحدث بالليل والنهار يوم بيوم وساعة بساعة[٢].

أجل هذا من العلم الفيّاض من الباري تعالى على عباده لرشدهم وسعادتهم وتكاملهم، وإنّ الله يفيضه على أوليائه الأمثل فالأمثل في كلّ زمان ومكان، وسيّد الأولياء وإمام المتّقين في عصرنا هذا إنّما هو صاحب الزمان عليه السلام القائم المهدي من آل محمّد عليهم السلام فإنّه حجّة الله على خلقه، ولولاه لساخت الأرض بأهلها، والله يفيض عليه العلم نقراً ونكتاً وإلهاماً يوم بيوم وساعة بساعة، ثمّ يترشّح من إلهاماته على الكمّلين من المؤمنين من الأوتاد والأبدال والصالحين، ثمّ الأمثل فالأمثل من المعارف الحقّة والعلوم الإلهيّة، فليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء أن يهديه إلى الحقّ والحقيقة والرشد والصواب، فالعلم وكذلك نور الله، إنّما هو في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، طابت وطهّرت، فتدلّت

---

(١) البحار ٢٦: ٦٠.

(٢) المصدر: ٦١.

قاب قوسين أو أدنى.

ثمّ المؤمن الكامل تحدّثه الملائكة ـ كما ورد في أخبارنا ـ فيُلهم ويُوحىٰ إليه كوحي أُمّ موسى، إلّا أنّه في السير والسلوك والعرفان وفي طريقه إلى الله سبحانه وتعالى قد قعد الشيطان بالمرصاد ليغويه:

﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[١].

﴿ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[٢].

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾[٣].

والخلاصة أنّ الوحي تارةً يكون رحمانياً ومن الله سبحانه وتعالى، فهو الإلهام الربّاني يفيضه الله بواسطة مَلَك على المؤمن، وعلامته أنّه يقترن مع السكينة والاطمئنان القلبي، وربما يكون شيطانياً، ومن شياطين الجنّ والإنس، وعلامته أنّه يقترن معه الفزع والخوف كما قال الإمام عليه السلام ـ ولو كان من الشيطان اعتراه فزع ـ فالوحي مع السكينة ومع الأمارات القطعية أنّه من إلهام الملائكة، كما ورد في الدعاء الشريف «وألهمني إلهام الملائكة المقرّبين»، فهذا ينكت في القلب الذي يكون حرم الله وعرشه، وإذا كان الإيحاء من الشيطان فإنّه يعتريه الفزع والاضطراب، لأنّ الشيطان هو مضطرب، ويعد الناس الفقر، ويأمر بالفحشاء والمنكر، ومن كان مضطرباً لا يصدر منه الاطمئنان للتضادّ، فالمؤمن يحذره ولا يركن إليه، فليس كلّ كشف في طريق السير والسلوك يكون من الله، بل عندنا كشف إلهي رباني، وكشف

---

(١) الأعراف: ١٦.

(٢) الحجر: ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) الأنعام: ١٢١.

شيطاني، وأصحاب البدع والمذاهب الفاسدة، كان لهم الكشف، وربما الإخبار ببعض المغيّبات، بعد أن يسرقها الشياطين حين نزولها من السماء، فيوحون بها إلى أوليائهم، ليضلّونهم الصراط المستقيم، ويضلّلون بهم الناس، فهؤلاء أعوان الشياطين ومن حزبه، ضلّوا وأضلّوا، وكانوا أرباب المذاهب الباطلة والفرق المنحرفة والأحزاب الشيطانية، كمحمّد بن عبد الوهاب إمام الوهابية في السنّة، وعلي محمّد باب إمام البابية في الشيعة، وكلاهما من عملاء الاستعمار البريطاني في التأريخ المعاصر.

ولمثل هذا يقال: هلك من لم يكن له حكيم يرشده، فالسالك إلى الله ربما يُبتلى بمثل هذه الإيحاءات والكشفيات الشيطانية، فيحتاج إلى معلّم حكيم، ومربٍّ عليم، يرشده إلى ما هو الحقّ وإلى ما هو الباطل، إلى ما هو الخطأ وإلى ما هو الصواب، وإلى ما هو من الكشف الرحماني والإلهام الربّاني، وإلى ما هو من الكشف الشيطاني والوساوس الإبليسيّة.

ولمثل هذا نحتاج إلى العلماء الربانيين الإلهيين، ولا يكتفى بالكشفيات، ولا يفرح بها السالك، فما أكثرها في بداية السير والسلوك وإنّها من الوحي الشيطاني ليضلّه عن الصراط المستقيم، فتدبّر.

وإذا أردنا أن نترجم عالم الكشف والشهود بشيء محسوس فيمكن أن نضرب لذلك بمثال جهاز التلفاز في عصرنا الحاضر، فإنّه يأخذ عدّة قنوات، فمن يأخذ القناة الأُولى مثلاً فإنّه يغفل عن القناة الثانية، ولكن لا يعني أنّه ليس هناك برامج للقناة الثانية، بل هنالك برامج متنوّعة، يكفي أن يغيّر الإنسان بنفسه القناة الأُولى إلى الثانية ليشاهد برامجها، فالحياة الدنيا إنّما هي برامج القناة الأُولى، والآخرة إنّما هي قناة ثانية، وهي موجودة الآن كما نعتقد بخلق الجنّة والنار فعلاً،

فالذي يرى ظاهر الحياة الدنيا، فإنّه يغفل عن الآخرة.

ولكن هناك من أراهم الله ملكوت السماوات والأرض:

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾(١).

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾(٢).

ففي هذه الدنيا مثل هؤلاء يرون برامج القناة الثانية، فيرون الجنّة ونعيمها، ويرون النار وأصحابها، ويسمعون شهيقها وزفيرها، فلا ينامون ليلاً خوفاً ورهبةً، فما يكون للناس غيباً يكون لهم شهوداً، فإنّ الغيب المطلق هو الله سبحانه، وما سواه فهو غيب نسبي، فبالنسبة إلى عامّة الناس الذين يرون ظاهر الحياة الدنيا، وغرّتهم زخارفها وزبرجها، وأعجبتهم مظاهرها وبرامجها في القناة الأُولى، إنّما يكون غيباً، وأمّا الذين اتّقوا ربّهم، وزادهم الله حسناً وهدىً، ورفعت الحجب بينهم وبين الله (الحجب الظلمانية والنورانيّة) وانفتحت لهم القناة الثانية، فإنّهم يرون الجنّة والنار في الدنيا، وتنكشف لهم الحقائق ويرون الأشياء على حقيقتها... إلّا أنّ عالم الشهود والمكاشفة والظهور له مراتب، فمن الأولياء من يُفتح له القناة الثانية دقائق ولحظات، فيرى ما لا يراه غيره، ويسمع ما لا يسمع غيره، وذلك في عالم الرؤيا من المنامات الصالحة والرحمانية، ومنهم من يزيد في فتح القناة، ويطيل لما يحمل من صفات خاصّة، تدعوه إلى مشاهدة البرامج الممتازة، فيصيب المكاشفة الرحمانية، ومنهم من يكون له القناة الثانية مفتوحة دوماً، فهو في عالم الشهود أبداً، فلا يرى في

---

(١) الأنعام: ٧٥.

(٢) فصّلت: ٥٣.

الدير ديّاراً إلّا هو سبحانه وتعالى، وجاء في وصف الأئمة الأطهار عليهم السلام: «فبهم ملأت سماءك وأرضك حتّى ظهر أن لا إله إلّا الله»، فيكون العالم كلّه محضر الله وجنّة قدسه وبحبوحة توحيده. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لولا هيام الشياطين على قلوبكم لرأيتم ما أرى...

ولكن من عمي قلبه وصمّ أُذن قلبه، فإنّه لا يرى الحقّ ولا يسمعه، وإنّه ينكر هذه المعالم، بل ويعادي الصالحين ويعاكسهم ويزاحمهم، فإنّ الناس أعداء ما جهلوه، فلا يرى إلّا ظاهر الحياة الدنيا، وهو عن الآخرة من الغافلين.

﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[١].

﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[٢].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «شرّ العمى عمى القلب».

وقال: «أعمى العمى عمى الضلالة بعد الهدى، وشرّ العمى عمى القلب».

قال الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى ﴾، فمن لم يدلّه خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ودوران الفلك بالشمس والقمر، والآيات العجيبات على أنّ وراء ذلك أمراً هو أعظم منه: ﴿ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ فهو عمّا لم يعاين أعمى وأضلّ سبيلاً.

قال الإمام الرضا عليه السلام: يعني أعمى عن الحقائق المجرّدة[٣].

ويحجب عن مشاهدة الحقّ:

---

(١) الإسراء: ٧٢.

(٢) الحجّ: ٤٦.

(٣) ميزان الحكمة ٨: ٢٣٤.

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾[١].

قال الإمام الكاظم عليه السلام : أوحى الله إلى داود : يا داود حذّر، فأنذر أصحابك عن حبّ الشهوات، فإنّ المعلّقة قلوبهم شهوات الدنيا، قلوبهم محجوبة عنّي.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن نزع واستغفر صقل قلبه منه، وإن ازداد زادت، فذلك الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾، وقال : حرام على كلّ قلب عزّى بالشهوات أن يجول في ملكوت السماوات[٢].

ويقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : «ومن لجّ وتمادى فهو الراكس (الناكث الذي قلب عهده ونكثه) الذي ران الله على قلبه، وصارت دائرة السوء على رأسه».

وعلينا أن ندعو ربنا ليل نهار أن يصلح قلوبنا، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر أن يقول : يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك[٣].

ويقول الإمام الكاظم عليه السلام : إنّ الله جلّ وعزّ حكى عن قوم صالحين أنّهم قالوا : ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ حين علموا أنّ القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها[٤].

---

(١) المطفّفين : ١٤ ـ ١٥.

(٢) ميزان الحكمة ٨ : ٢٣٧.

(٣) ميزان الحكمة ١٠ : ٣٨٥.

(٤) ميزان الحكمة ٨ : ٢٣٧.

ومن أراد أن يجول ويمرح في ملكوت السماوات عليه أن يتخلّى عن الشهوات، ومن أراد أن يدرك رفيع المقامات وعلوّ الدرجات، فقد قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: طهّروا أنفسكم من دنس الشهوات تدركوا رفيع الدرجات[1].

وقد خصّ الله سبحانه أُمّة خاتم النبيّين محمّد صلى الله عليه وآله بخصائص منها: الإيثار وفيه من الأنوار ما يبهر الناظر إليها في عالم الشهود والملكوت كما جاء ذلك في الخبر الشريف:

قال موسى عليه السلام: يا ربّ أرني درجات محمّد وأُمّته؟ قال: يا موسى، إنّك لن تطيق ذلك، ولكن أُريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضّلته بها عليك وعلى جميع خلقي... فكشف له عن ملكوت السماء فنظر إلى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله عزّ وجلّ، قال: يا ربّ، بماذا بلّغته إلى هذه الكرامة؟ قال: بخلق اختصصته به من بينهم وهو الإيثار، يا موسى، لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمر إلّا استحييت من محاسبته وبوّأته من جنّتي حيث يشاء[2].

إذن أمثال موسى عليه السلام كعلمائنا الأعلام، الذين هم ورثة الأنبياء، وأفضل أو كمثل أنبياء بني إسرائيل يرون هذه المقامات والمنازل العرفانية في هذه الدنيا، ويكاد أن تتلف نفوسهم من أنوارها وقربها من الله عزّ وجلّ. فهناك من يرى برامج القناة الثانية لما سوى الله سبحانه إن كان يطيق المشاهدة والحضور!!

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: عليك بالآخرة تأتِكَ الدنيا صاغرة[3]...

---

(١) ميزان الحكمة ١٠ : ٣٩٠.

(٢) ميزان الحكمة ١ : ٥.

(٣) ميزان الحكمة ١ : ٣٣.

والعاقل تكفيه الإشارة.

ويقول الإمام زين العابدين: الدنيا سِنَةٌ، والآخرة يقظة، ونحن ما بينهما أضغاث أحلام[١].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: كن في الدنيا ببدنك وفي الآخرة بقلبك وعملك[٢].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه، جعل الله الغنى في قلبه، وجمع له أمره، ولم يخرج من الدنيا حتّى يستكمل رزقه، ومن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه، جعل الله الفقر بين عينيه، وشتّت عليه أمره، ولم ينل من الدنيا إلّا قسّم له[٣].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: سلوا القلب عن المودّات فإنّها شواهد لا تقبل الرُّشا[٤].

سئل عن الصادق عليه السلام: الرجل يقول: إنّي أودّك فكيف أعلم أنّه يودّني؟ قال: امتحن قلبك فإن كنت تودّه فإنّه يودّك.

قال الإمام الباقر عليه السلام: اعرف المودّة لك في قلب أخيك بما له في قلبك.

وقال الإمام الهادي عليه السلام: لا تطلب الصفا ممّن كدرت عليه، ولا النصح ممّن صرفت سوء ظنّك إليه، فإنّما قلب غيرك لك كقلبك له.

---

(١) ميزان الحكمة ١ : ٣٥.

(٢) المصدر ١ : ٣٧.

(٣) ميزان الحكمة ١ : ٤٨.

(٤) ميزان الحكمة ١ : ٤٨.

وقال عليّ عليه السلام: زكِّ قلبك بالأدب كما يزكّى النار بالحطب ولا تكن كحاطب الليل وغُثاء السيل.

قال الله تعالى لعيسى: أدّب قلبك بالخشية[1].

قال أمير المؤمنين لولده الإمام الحسن عليه السلام: إنّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبّك.

زبدة الكلام:

إنّ الإنسان إنّما تشرّف على سائر مخلوقات الله بعقله وقلبه، والعقل للعلم والإدراك، والقلب للرؤية والحبّ، فالعقل كمال، والقلب جمال، وإنّما ينمو العقل ويزهر بالتفكّر، وإنّما يتهذّب القلب بالتذكّر، فلا بدّ للإنسان من فكر وذكر، والطريق إليهما إنّما هو بالعلم والانكشاف، إلّا أنّ طريق الفكر هو طلب العلم ومدارسته من الصبا إلى أيام الشباب، وطريق القلب إنّما هو بالمناجاة والأذكار والمواعظ وذلك من المهد إلى اللحد، فلا كسل في طلبه حتّى أيام الشيخوخة، فإنّه ربما يكسل عن تلقّي الدروس إلّا أنّه لا يكسل عن المناجاة، والروايات التي تشير إلى طلب العلم من المهد إلى اللحد إنّما هي ناظرة إلى هذا العلم القلبي، ولا يحقّ للإنسان أن يأخذ هذا العلم من أيٍّ كان، بل إنّما يأخذه من أهله، من العلماء الصالحين المخلصين المتّقين، أمّا الآية التي تدلّ على أنّ الإنسان يستمع إلى القول فيتّبع أحسنه فإنّها ناظرة إلى العلم العقلي، فيحقّ للمرء أن يستمع الأقوال ليأخذ

---

(١) تحف العقول: ٣٧٢.

أحسنها، فإنّ الحكمة ضالّة المؤمن يأخذها أينما وجدها، فكشف حقائق الأشياء إمّا أن يكون بالنظر والاستدلال والعلم العقلي، أو بالبصر والشهود والعلم القلبي، والأوّل مسلك الحكماء، والثاني طريق العرفاء، فالأوّل يتلقّى العلوم والمعارف بالعقل والنظر والفكر، والثاني بالقلب والشهود والذكر، وربما جمع الإنسان بين المسلكين، فيكون حكيماً عارفاً، فيجمع بين الفلسفة والعرفان، كما جاء ذلك في تعاليم الإسلام وثقافته.

وقد نقل عن بعض الأنبياء أنّه خاطب أصحابه قائلاً: «لا تقولوا: العلم في السماء من ينزل به، ولا في تخوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحار من يعبر به، العلم مجعول في قلوبكم، تأدّبوا بين يديّ بآداب الروحانيين، وتخلّقوا بأخلاق الصدّيقين، أُظهر العلم من قلوبكم»[١].

فالعلم القلبي لا بدّ له من مراعاة الآداب الروحانيّة، حتّى يستعدّ القلب للفيوضات الإلهيّة، وتكشف الحقائق الكونية والتجلّيات الربّانية، ويشاهد ما في ملكوت السماوات والأرض من الأنوار البهيّة، والأشعّة القدسية، والعلوم الزكيّة.

---

(١) مجله پيام حوزه، العد ٦، الصفحة ١٠٩، عن كتاب مصباح الهداية ومفتاح الكفاية: لعزّ الدين الكاشاني: ٦٠.

الفصل الخامس

كيف يحول الله بين المرء وقلبه ؟

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1].

إنّ الله سبحانه العالم بكلّ شيء من أحوال مخلوقاته ومصنوعاته، يخاطب المؤمنين ويدعوهم إلى الحياة السعيدة، فإنّ دعوة الإسلام دين الله القويم، هي دعوة للعيش السليم والحياة المستقيمة المتبلورة بالمعنويات، والمتكوّنة من المادّيات، في كلّ الأصعدة من الحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية وغير ذلك من الأبعاد والحقول المختلفة. فإذا سأل أحد عن أهداف الإسلام ورسالته السمحاء الخالدة، فإنّ الجواب في أقصر جملة : إنّه (دين الحياة) على جميع الأصعدة.

والحياة ذات مراحل قد أشار إليها القرآن الكريم :

١ ـ فتارةً بمعنى الحياة النباتية، بمعنى جسم نامي فيه القوى الثلاثة من النموّ والرشد وتوليد المثل، كما يشير إلى هذه الحياة قوله تعالى :

---

(١) الأنفال : ٢٤.

﴿ اَعْلَمُوا أنَّ اللهَ يُحْيِي الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[١].

٢ ـ وتارةً بمعنى الحياة الحيوانية، التي تعرّف بالجسم النامي الحسّاس المتحرّك بالإرادة، وأشار القرآن إليها في قوله تعالى :

﴿ إنَّ الَّذِي أحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى ﴾[٢].

٣ ـ وثالثةً بمعنى الحياة الإنسانية، كما جاء تعريف الإنسان في علم المنطق بأنّه حيوان ناطق، فهي تعني الحياة الناطقية التي ترمز إلى القوّة الدرّاكة والعاقلة، فهي حياة فكريه وعقلية كما في قوله تعالى :

﴿ أوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأحْيَيْنَاهُ ﴾[٣].

وهذه المراحل من الحياة إنّما هي في الدنيا.

٤ ـ ورابعةً حياة اخروية، بانتقال الروح والعقل والنفس الناطقة إلى عالم الآخرة، ومن ثمّ المعاد الجسماني والروحاني في حياة أُخروية جديدة خالدة، كما في قوله تعالى :

﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾[٤].

٥ ـ وهذه المراحل الحيوية والحياتية إنّما هي مظاهر لحياة الله سبحانه (الحياة الإلهية) بمعنى العالم والقادر، بلا حدّ ولا نهاية، وبالسرمدية، فهي الحياة المطلقة ومطلق الحياة، كما في قوله تعالى : ﴿ الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾[٥].

فالناس في أيام الجاهلية الجهلاء والعمياء كانوا يعيشون الحياة الحيوانية

---

(١) الحديد : ١٧.

(٢) فصّلت : ٣٩.

(٣) الأنعام : ١٢٢.

(٤) الفجر : ٢٤.

(٥) الفرقان : ٥٣.

والمادية، إلّا أنّهم ابتعدوا عن الحياة الإنسانية والمعنوية والعقلية، فجاء الإسلام العظيم وكتاب الله القويم ليدعوهم إلى الحياة السعيدة، فمن يجعل الدين في إطارات ضيّقة، ومجرّد طقوس من دون دولة وحكم وقضايا فكرية واجتماعية، فإنّه بعيد عن روح الدين وحقيقته، لأنّ الدين الصحيح هو الذي يبعث الحركة والنشاط والحياة في كلّ الجوانب، وينهض بالناس في فكرهم وسلوكهم والإحساس بالمسؤولية، ويبعث نحو التكامل والرقيّ والتمدّن والحضارة.

فليست الحياة في الآية الشريفة تعني الجهاد أو الايمان أو القرآن أو الجنّة وحسب، كما عند بعض المفسّرين، بل هذا تحديد لمفهوم الآية الوسيع، فإنّها تشمل كلّ هذه وغيرها من عوامل السعادة والتقدّم، وكلّ قانون يبعث الروح في جانب من جوانب الحياة.

ثمّ يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1].

ليس المقصود من القلب هنا هو الشكل الصنوبري من العضلة التي في القفص الصدري، بل بمعنى الروح والعقل كما مرّ سابقاً، أمّا إنّه كيف يحول الله بين المرء وقلبه فقد ذكروا لذلك احتمالات مختلفة :

أوّلاً : إنّه إشارة لشدّة قرب الله من عباده، فإنّه سبحانه داخل في الشيء لا كدخول شيء في شيء، بل هو قريب من العبد، وكأنّه داخل في روحه وجسده ويرى الله بقلبه، ويلمسه بروحه، كما يقول سبحانه :

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ ﴾[2].

---

(١) الأنفال : ٢٤.

(٢) ق : ١٦.

ثانياً: ربما إشارة إلى أنّ تقلّب القلوب والأفكار هي بيد الله سبحانه، فهو مقلّب القلوب والأبصار، كما جاء في الأدعية والأذكار: «يا مقلّب القلوب والأبصار».

ثالثاً: إنّ المقصود هو أنّه إذا لم يكن اللطف الإلهي برحمانيّته العامّة، فإنّ الإنسان غير قادر على معرفة الحقّ وأهله وحقّانيّته، كما يعرف بطلان الباطل.

رابعاً: وقيل: إنّ المقصود هو أنّه ما دام للناس فرصة، فلا بدّ أن يغتنموها قبل فوات الأوان بالطاعة والعمل الصالح، لأنّ الله سبحانه قد يحول بين المرء وقلبه بالموت، والموت يأتي بغتة، والقبر صندوق العمل.

«ويمكن بنظرة شاملة جمع كلّ التفاسير في تفسير واحد، هو أنّ الله عزّ وجلّ حاضر وناظر ومهيمن على كلّ المخلوقات، فإنّ الموت والحياة والعلم والقدرة والأمن والسكينة والتوفيق والسعادة، كلّها بيديه وتحت قدرته، فلا يمكن للإنسان كتمان أمرٍ ما عنه، أو أن يعمل أمراً بدون توفيقه، وليس من اللائق للإنسان كتمان أمرٍ ما عنه، أو أن يعمل أمراً بدون توفيقه، وليس من اللائق التوجّه لغيره وسؤال من سواه. لأنّه مالك كلّ شيء والمحيط بجميع وجود الإنسان، وارتباط هذه الجمل مع سابقتها من وجهة أنّه لو دعا النبيّ ﷺ الناس إلى الحياة، فذلك لأنّ الذي أرسله هو مالك الحياة والموت والعقل والهداية ومالك كلّ شيء.

وللتأكيد على هذا الموضوع فإنّ الآية تقول ما معناه: إنّكم لستم اليوم في حدود قدرته فحسب، بل ستذهبون إليه في العالم الآخر، فهنا وهناك كلّ الناس بين يديه»[١].

---

(١) تفسير الأمثل ٥: ٣٦٢.

الفصل السادس

النيّة من أهمّ الأعمال القلبية

إنّ للقلب أعمالٌ كما للجوارح أعمال وأفعال، ومن أعمال القلب الإيمان والإقرار والمعرفة والرضا والتسليم والتوكّل والمحبّة والشفقة والتقوى، وغير ذلك...

ومن أهمّ أعمال القلب النيّة، وهي: القصد إلى الفعل، وإنّها واسطة بين العلم والعمل، فإنّه إذا ما لم يعلم الشيء لم يكن قصده، وما لم يقصد لم يصدر عنه، والسالك العارف لمّا كان غرضه الوصول إلى مقصد معيّن كامل على الإطلاق، وهو الكمال المطلق ومطلق الكمال، أي الله سبحانه وتعالى، فلا بدّ من اشتمال العمل على قصد التقرّب به إليه عزّ وجلّ. فيمتثل أمر الله تعالى فيما ندب إليه عباده ووعدهم الأجر عليه، وإنّما يأجرهم على حسب عقولهم وأقدارهم ومنازلهم ونيّاتهم.

وإنّما المقصود من العبادات هو الطاعة لا مجرّد التعبّد وإتيان الطقوس الدينية، والناس يتفاوتون في عباداتهم، فمنهم من يعبد الله طمعاً بجنّته، ومنهم من يعبده خوفاً من ناره، ومنهم من يعبده شكراً وحبّاً له.

فمن عرف الله بجماله وجلاله ولطف فعاله، ومن ثمّ أحبّه وعشقه واشتاق إليه، وأخلص عبادته له، لكونه أهلاً للعبادة ولمحبّته له، فقد أحبّه الله وأخلصه واجتباه، وقرّبه إلى نفسه وأدناه، قرباً معنوياً، ودُنوّاً روحانياً، كمن قال في حقّ

مَن هذه صفته :

﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[١].

ومن لم يعرف من الله سوى كونه إلهاً صانعاً للعالم قادراً عالماً، وأنّ له جنّة ينعم بها المطيعين، وناراً يعذّب بها العاصين، فعبده ليفوز بجنّته، أو يكون له النجاة من ناره، أدخله الله تعالى بعبادته وطاعته الجنّة وأنجاه من النار، فإنّما لكلّ امرئٍ ما نوى.

والناس في نيّاتهم في العبادات على أقسام : أدناهم من يكون عمله إجابةً لباعث الخوف، فإنّه يتّقي النار، ومنهم من يعمل إجابةً لباعث الرجاء، فإنّه يرغب في الجنّة، ومنهم من يعبد الله حبّاً وشوقاً لا خوفاً ولا طمعاً.

قال أمير المؤمنين وسيّد الموحّدين عليّ عليه السلام : ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنّتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك.

عن أبي بصير، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن حدّ العبادة التي إذا فعلها فاعلها كان مؤدّياً ؟ فقال : حسن النيّة بالطاعة (طاعة الله وطاعة الإمام عليه السلام).

عن أبي هاشم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إنّما خلّد أهل النار في النار لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنّما خلّد أهل الجنّة في الجنّة لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيّات خلّد هؤلاء وهؤلاء، ثمّ تلا قوله تعالى :

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾[٢].

---

(١) ص : ٢٥.

(٢) الإسراء : ٨٤.

قال: على نيّته.

كان الاستشهاد بالآية الشريفة مبنيّ على أنّ المدار في الأعمال على النيّة التابعة للحالة التي اتّصفت النفس بها من العقائد الصحيحة والفاسدة والأخلاق الحسنة والسيّئة، فإذا كانت النفس على الصحيحة والحسنة فإنّه بتلك الحالة والشاكلة يعمل الخير في الدنيا لو خلّد فيها فيخلّد في الجنّة، وإذا كانت على الباطلة والسيّئة فإنّه يعصي الله فيستحقّ الخلود في النار.

يقول العلّامة المجلسي في كتابه القيّم بحار الأنوار: إنّ النيّة ليست مجرّد قولك عند الصلاة أو الصوم أو التدريس: أُصلّي أو أصوم أو أُدرّس قربةً إلى الله تعالى ملاحظاً معاني هذه الألفاظ بخاطرك ومتصوّراً لها بقلبك، هيهات إنّما هذا تحريك لسان وحديث نفس، وإنّما النيّة المعتبرة انبعاث النفس وميلها وتوجّهها إلى ما فيه غرضها ومطلبها إمّا عاجلاً وإمّا آجلاً.

وهذا الانبعاث والميل إذا لم يكن حاصلاً لها لا يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرّد النطق بتلك الألفاظ، وتصوّر تلك المعاني، وما ذلك إلّا كقول الشبعان أشتهي طعاماً وأميل إليه قاصداً حصول الميل والاشتهاء، وكقول الفارغ أعشق فلاناً وأُحبّه وأنقاد إليه وأُطيعه، بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وإقباله عليه إلّا بتحصيل الأسباب الموجبة لذلك الميل والانبعاث واجتناب الأُمور المنافية لذلك المضادّة له، فإنّ النفس إنّما تنبعث إلى الفعل وتقصده وتميل إليه تحصيلاً للغرض الملائم لها بحسب ما يغلب عليها من الصفات.

فإذا غلب على قلب المدرّس مثلاً حبّ الشهرة وإظهار الفضيلة وإقبال الطلبة إليه، فلا يتمكّن من التدريس بنيّة التقرّب إلى الله سبحانه بنشر العلم وإرشاد الجاهلين، بل لا يكون تدريسه إلّا لتحصيل تلك المقاصد الواهية والأغراض

الفاسدة، وإن قال بلسانه أُدرّسُ قربةً إلى الله، وتصوّر ذلك بقلبه وأثبته في ضميره وما دام لم يقلع تلك الصفات الذميمة من قلبه لا عبرة بنيّته أصلاً.

وكذلك إذا كان قلبك عند نيّة الصلاة منهمكاً في أُمور الدنيا والتهالك عليها والانبعاث في طلبها، فلا يتيسّر لك توجيهه بكلّيته وتحصيل الميل الصادق إليها والإقبال الحقيقي عليها، بل يكون دخولك فيها دخول متكلّف لها متبرّم بها، ويكون قولك: أُصلّي قربةً إلى الله، كقول الشبعان أشتهي طعاماً، وقول الفارغ أعشق فلاناً.

والحاصل أنّه لا يحصل لك النيّة الكاملة المعتدّ بها في العبادات من دون ذلك الميل والإقبال، وقمع ما يضادّه من الصوارف والأشغال، وهو لا يتيسّر إلّا إذا صرفت قلبك عن الأُمور الدنيوية، وطهّرت قلبك عن الصفات الذميمة الدنيّة، وقطعت نظرك عن حظوظك العاجلة بالكلّية[١].

فالمراد بالنيّة تأثّر القلب عند العمل وانقياده إلى الطاعة وإقباله على الآخرة وانصرافه عن الدنيا، وذلك يشتدّ بشغل الجوارح في الطاعات وكفّها عن المعاصي، فإنّ بين الجوارح والقلب علاقة شديدة يتأثّر كلّ منهما بالآخر، كما إذا حصل للأعضاء آفة سرى أثرها إلى القلب فاضطرب، وإذا تألّم القلب بخوف مثلاً سرى أثره إلى الجوارح فارتعدت، والقلب هو الأمير المتبوع والجوارح كالرعايا والأتباع، والمقصود من أعمالها حصول ثمرة للقلب.

فالنيّة أصل العمل وعلّته وهي الباعثة على العمل، فالنيّة روح العمل، والعمل بمثابة البدن لها.

---

(١) البحار ٦٧ : ١٨٨.

ثمّ إنّ تصحيح النيّة من أشقّ الأعمال وأحمزها، فهي ليست مجرّد تصوّر الغرض والغاية وإخطارها بالبال، بل هي تابعة للحالة التي النفس متّصفة بها، وكمال الأعمال وقبولها وفضلها منوط بها، ولا يتيسّر تصحيحها إلّا بإخراج حبّ الدنيا وفخرها وعزّها من القلب برياضات شاقّة شرعيّة وتفكّرات صحيحة منتجة ومجاهدات كثيرة متواصلة، فإنّ القلب سلطان البدن، وكلّما استولى عليه يتبعه سائر الجوارح، بل هو الحصن الذي كلّ حبّ استولى عليه وتصرّف فيه يستخدم سائر الجوارح والقوى ويحكم عليها، ولا تستقرّ فيه محبّتان غالبتان كما قال الله عزّ وجلّ: يا عيسى، لا يصلح لسانان في فمٍ واحد، ولا قلبان في صدرٍ واحد، وكذلك الأذهان. وقال سبحانه:

﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾[1].

فالدنيا والآخرة ضرّتان ـ إذا لاحظنا الدنيا على نحو الاستقلال، وإلّا فالدنيا مزرعة الآخرة لو لاحظناها كمقدّمة وثانياً وبالتبع، فتأمّل ـ لا يجتمع حبّهما في قلب، فمن استولى على قلبه حبّ المال لا يذهب فكره وخياله وقواه وجوارحه إلّا إليه ولا يعمل عملاً إلّا ومقصوده الحقيقي فيه تحصيله، وإن ادّعى غيره كان كاذباً، ولذا يطلب الأعمال التي وعد فيها كثرة المال ولا يتوجّه إلى الطاعات التي وعد فيها قرب ذي الجلال، وكذا من استولى عليه حبّ الجاه ليس مقصوده في أعماله إلّا ما يوجب حصوله، وكذا سائر الأغراض الباطلة الدنيوية، فلا يخلص العمل لله سبحانه وللآخرة إلّا بإخراج حبّ هذه الأُمور من القلب، وتصفيته عمّا يوجب البعد عن الحقّ.

---

(١) الأحزاب: ٤.

فللناس في نيّاتهم مراتب شتّى، بل غير متناهية بحسب حالاتهم، فمنها ما يوجب فساد العمل وبطلانه كالرياء والعجب، ومنها ما يوجب صحّته ومنها ما يوجب كماله، ومراتب كماله أيضاً كثيرة[1].

فالنيّة تختلف بحسب الأشخاص والأحوال وبمقدار معرفتهم، ولكلّ منهم نيّة تابعة لشاكلته وطريقته وحالته: ﴿ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾[2]، أي على نيّته، فلكلّ شخص في كلّ حالة نيّة تتبع تلك الحالة فلها منازل ودرجات.

منها: نيّة من تفكّر وتنبّه في شديد عذاب الله وأليم عقابه، فيأتي بالواجبات ويترك المحرّمات خوفاً من عذابه.

ومنها: نيّة من غلب عليه الشوق إلى ما أعدّ الله للمحسنين في الجنّة من نعيمها وحورها وقصورها، فيعبد الله طمعاً في جنّته، وقد وقع اختلاف بين العلماء الأعلام من العامّة والخاصّة في صحّتها وصحّة العبادة، والعلّامة المجلسي يرى صحّتها على الأظهر خلافاً للزمخشري من العامّة وللسيّد ابن طاووس والشهيد الثاني والعلّامة الحلّي حيث يدّعي اتفاق العدلية على أنّ من فعل فعلاً يطلب الثواب أو خوف العقاب، فإنّه لا يستحقّ بذلك ثواباً. والأُولى تسمّى عبادة العبيد، والثانية عبادة التجّار والأُجراء.

ومنها: عبادة الشاكرين، نيّة من يعبد الله تعالى شكراً له فإنّ من يرى النعم التي لا تحصى يحكم عقله بأنّ شكر المنعم واجب فيعبده لذلك، كما هو طريقة المتكلّمين، وقد قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إنّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة

---

(١) البحار ٦٧: ١٩٤.

(٢) الإسراء: ٨٤.

التجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار»[1].

فإنّ الحرّ تأمره حرّيته أن يشكر المنعم.

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّي أكره أن أعبد الله لأغراض لي ولثوابه، فأكون كالعبد الطمع المطيع إن طمع عمل وإلّا لم يعمل، وأكره أن أعبده لخوف عباده فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل، قيل: فلِمَ تعبده؟ قال: لما هو أهله بأياديه عليّ وإنعامه[2].

ومنها: عبادة المحسنين، بنيّة من يعبده حياءً فإنّه يحكم عقله بحسن الحسنات وقبح السيّئات، ويتذكّر أنّ الربّ جليل مطّلع عليه في جميع أحواله، فيعبده ويترك معاصيه لذلك، وإليه يشير النبيّ صلى الله عليه وآله: الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك.

ومنها: عبادة المقرّبين، أن يعبد الله بنيّة التقرّب إليه تشبيهاً للقرب المعنوي بالقرب المكاني، وهذا هو الذي ذكره أكثر الفقهاء، وربما المراد منه إمّا القرب بحسب الدرجة والكمال، فإنّ العبد لإمكانه في غاية النقص عارٍ عن جميع الكمالات، والربّ سبحانه متّصف بجميع الصفات الكمالية، فبينهما غاية البعد، فكلّما رفع عن نفسه شيئاً من النقائص واتّصف بشيء من الكمالات حصل له قرب ما بذلك الجناب جلّ جلاله. أو القرب بحسب التذكّر والمصاحبة المعنوية، فإنّ من كان دائماً في ذكر أحد ومشغولاً بخدماته، فكأنّه معه.

---

(١) البحار ٦٧ : ١٩٦.

(٢) المصدر نفسه : ١٩٨.

ومنها: عبادة الصدّيقين، أن تكون بنيّة أنّ الله أهلاً للعبادة كما قالها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ولا تسمع هذه الدعوى من غير أولياء الله، وإنّما يقبل ممّن يعلم منه أنّه لو لم يكن لله جنّة ولا نار، بل لو كان على فرض المحال يدخل العاصي الجنّة والمطيع النار، لاختار العبادة لكونه أهلاً له، كما أنّهم في الدنيا اختاروا النار لذلك، فجعلها الله عليهم برداً وسلاماً، كما كان ذلك لإبراهيم عليه السلام خليل الله نبيّه.

ومنها: عبادة المحبّين الكرام، بأن يعبد الله حبّاً له، ودرجة المحبّة أعلى درجات المقرّبين، والمحبّ يختار رضا محبوبه، ولا ينظر إلى ثواب، ولا يحذر من عقاب، وحبّه تعالى إذا استولى على القلب يطهّره عن حبّ ما سواه، ولا يختار في شيء من الأمور إلّا رضا مولاه ومحبوبه، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «ولكنّي أعبده حبّاً له عزّ وجلّ، فتلك عبادة الكرام، وهو الأمن، لقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾[١]، ولقوله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[٢].

فمن أحبّ الله أحبّه ومن أحبّه الله عزّ وجلّ كان من الآمنين[٣].

وقال عليه السلام: إنّ العباد [ة] ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأُجراء، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حبّاً له فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة.

فالقسم الأوّل: عبدوا الله خوفاً من النار والعذاب فهم كالعبيد يطيعون

---

(١) النمل: ٨٩.

(٢) آل عمران: ٣١.

(٣) البحار ٦٧: ١٩٨.

أسيادهم خوفاً منهم، وتحرّزاً من عقوبتهم، والقسم الثاني: فإنّهم كالأجير يـعمل للأجر فيعطى له، إلّا أنّ أفضل العبادة أن تكون حبّاً لله أي محبّاً له، والمحبّ يطلب رضا المحبوب، أو يعبده ليصل إلى درجة المحبّين ويفوز بمحبّة ربّ العالمين، والأوّل أظهر، (فتلك عبادة الأحرار) أي الذين تحرّروا من رقّ الشهوات، وخلعوا مـن رقابهم طوق طاعة النفس الأمّـارة بـالسوء الطـالبة للـذات والشهـوات، فـهم لا يقصدون في عبادتهم شيئاً سوى رضا عالم الأسرار، وتحـصيل قـرب الكـريم الغـفّار، ولا يـنظرون إلى الجـنّة والنـار، وكـونها أفـضل العـبادة لا يخـفى عـلى أُولي الأبصار، وفي صيغة التفضيل دلالة على أنّ كلّاً من الوجهين السابقين أيـضاً عبادة صحيحة، ولها فضل في الجملة، فهو حجّة على من قال ببطلان عبادة من قصد التحرّز عن العقاب أو الفوز بالثواب(١).

وقال عليه السلام: صاحب النيّة الصادقة صاحب القلب السليم، لأنّ سلامة القلب من هواجس المحذورات بتخليص النيّة لله في الأُمور كلّها. قال الله عزّ وجلّ:

﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(٢).

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «نيّة المؤمن خيرٌ من عمله».

وقال عليه السلام: إنّما الأعمال بالنيّات ولكلّ امرئٍ ما نوى».

ولا بدّ للعبد من خالص النيّة في كلّ حركة وسكون، لأنّه إذا لم يكـن هـذا المعنى يكون غافلاً، والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال:

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾(٣).

---

(١) البحار ٦٧: ٢٥٦.

(٢) الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩.

(٣) الفرقان: ٤٤.

وقال:

﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ ﴾[١].

ثمّ النيّة تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة، ويختلف على حسب اختلاف الأوقات في معنى قوّته وضعفه، وصاحب النيّة الخالصة نفسه وهواه مقهورتان تحت سلطان تعظيم الله والحياء منه، وهو من طبعه وشهوته ومنيته، نفسه منه في تعب والناس منه في راحة[٢].

قال الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام: لا يكون العبد عابداً لله حقّ عبادته حتّى ينقطع عن الخلق كلّه إليه، فحينئذٍ يقول: هذا خالص لي، فيتقبّله بكرمه.

وعلينا أن نسأل الله ذلك كما ورد في المناجاة الشعبانية: «وهب لي كمال الانقطاع إليك».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أيّها الناس إنّما هو الله والشيطان والحقّ والباطل والهدى والضلال والرشد والغيّ والعاجلة والعاقبة والحسنات والسيّئات، فما كان من حسنات فللّه، ومن كان من سيّئات فللشيطان[٣].

عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[٤]، قال: ليس يعني أكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً، وإنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة الحسنة، ثمّ قال: الإبقاء على العمل حتّى يخلص أشدّ من

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) البحار ٦٧: ٢١٠.

(٣) المصدر: ٢٢٨.

(٤) هود: ٧.

العمل والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله عزّ وجلّ، والنيّة أفضل من العمل، ألا وإنّ النيّة هي العمل، ثمّ تلا قوله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾[1]، يعني على نيّته)[2].

فالعمدة في قبول العمل بعد رعاية أجزاء العبادة وشرائطها المختصّة، وهي: النيّة الخالصة الصادقة والاجتناب عن المعاصي، كما قال الله تعالى:

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾[3].

وقال سبحانه:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[4].

قال الشيخ البهائي ﷺ: المراد بالنيّة الصادقة انبعاث القلب نحو الطاعة غير ملحوظ فيه شيء سوى وجه الله سبحانه، لا كمن يعتق عبده مثلاً ملاحظاً مع القربة الخلاص من مؤونته أو سوء خلقه، أو يتصدّق بحضور الناس لغرض الثواب والثناء معاً، بحيث لو كان منفرداً لم يبعثه مجرّد الثواب على الصدقة، وإن كان يعلم من نفسه أنّه لولا الرغبة في الثواب لم يبعثه مجرّد الرياء على الإعطاء. ولا كمن له وِردٌ في الصلاة وعادة في الصدقات، واتّفق أن حضر في وقتها جماعة، فصار الفعل أخفّ عليه و ﴿ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾[5]، وحصل له نشاط ما بسبب

---

(١) الإسراء: ٨٤.

(٢) البحار ٦٧: ٢٣٠.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) المائدة: ٢٧.

(٥) القيامة: ١٤.

مشاهدتهم وإن كان يعلم من نفسه أنّهم لو لم يحضروا أيضاً لم يكن يترك العمل أو يفتر عنه قطعاً.

فأمثال هذه الأُمور ممّا يخلّ بصدق النيّة. وبالجملة فكلّ عمل قصدت به القربة وانضاف إليه حظّ من حظوظ الدنيا بحيث تركّب الباعث عليه من ديني ونفسي، فنيّتك فيه غير صادقة، سواء كان الباعث الديني أقوى من الباعث النفسي أو أضعف أو مساوياً[1]. انتهى كلامه.

فعلينا أن نجاهد بكلّ ما في وسعنا وطاقتنا من تصحيح النيّة، فإنّها أصعب من تصحيح العمل بمراتب شتّى، فإنّه ليس المراد بالنيّة ـ كما علم ـ ما يتكلّم به الإنسان عند الفعل أو يتصوّره ويخطر بباله، بل هو الباعث الأصلي والغرض الواقعي الداعي للإنسان على الفعل وهو تابع للحالة التي عليها الإنسان، والطريقة التي يسلكها، فمن غلب عليه حبّ الدنيا وشهواتها لا يمكنه قصد القربة وإخلاص النيّة عن دواعيها، فإنّ نفسه متوجّهة إلى الدنيا وهمّته مقصورة عليها، فما لم يقلع عن قلبه عروق حبّ الدنيا وجذورها، ولم يستقرّ فيه طلب الآخرة وحبّ الله سبحانه لم يمكنه إخلاص النيّة واقعاً عن تلك الأغراض الدنيّة والرذيلة، وذلك متوقّف على مجاهدات عظيمة ورياضات طويلة وتفكّرات صحيحة واعتزال عن شرار الخلق، ولهذا ورد أنّ «نيّة المؤمن خير من عمله» والنيّة أفضل من العمل والسعي في تصحيحها أهمّ وأعظم:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[2].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: الدنيا كلّها جهل إلّا مواضع العلم، والعلم كلّه

---

(١) البحار ٦٧: ٢٣٢.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

حجّة إلّا ما عمل به، والعمل كلّه رياء إلّا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر حتّى ينظر العبد بما يختم له[١].

قال رسول الله ﷺ: إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم، وإنّما ينظر إلى قلوبكم[٢].

وقال ﷺ: إنّ أولى الناس أن يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأُتي به فعرّفه نِعَمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتّى استشهدت. قال: كذبت وكلّنك قاتلت ليقال: جريء، فقد قيل ذلك، ثمّ أُمر به فسُحب على وجهه حتّى أُلقي في النار، ورجل تعلّم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلّمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنّك تعلّمت ليقال: عالم، وقرأت ليقال: قارئ القرآن فقد قيل، ثمّ أُمر به فسحب على وجهه حتّى أُلقي في النار.

وقال ﷺ: إنّما الأعمال بالنيّات وإنّما لكلّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى أمر دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

وقال: نيّة المؤمن خيرٌ من عمله، وفي لفظ آخر: أبلغ من عمله.

وقال: إنّما يبعث الناس على نيّاتهم. وقال ﷺ مخبراً عن جبرئيل عن الله عزّ وجلّ أنّه قال: الإخلاص سرّ من أسراري، استودعته قلب من أحببت من عبادي.

---

(١) البحار ٦٧: ٢٤٢.

(٢) المصدر: ٢٤٨.

وهذا يعني أنّ لله ودائع خاصّة في قلوب الخواصّ من عباده وهم الذين أحبّهم الله تعالى، وإنّما سبحانه يحبّ المتّقين والمتطهّرين والتائبين والمحسنين كما في آياته الكريمة، فتدبّر.

وقال عليه السلام: من أخلص لله أربعين يوماً، فجّر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: ما أنعم الله عزّ وجلّ على عبدٍ أجلّ من أن لا يكون في قلبه مع الله عزّ وجلّ غيره[1].

هذا وإنّ القرآن الكريم كتاب الله الحكيم يهدي للتي هي أقوم، قد مدح قلوباً وذمّ قلوباً أُخرى، ولا بدّ أن تكون لنا إطلالة ـ ولو مختصرة ـ على الطائفتين، ثمّ عرض قلوبنا عليها، حتّى نكون على بصيرة من أمرنا، ونسعى ليكون قلبنا بلطف من الله سبحانه من القلوب الممدوحة والصالحة، والله الموفّق والمستعان.

---

(١) البحار ٦٧ : ٢٤٩، عن كتاب منية المريد للشهيد الثاني.

الفصل السابع

القلوب الممدوحة في القرآن الكريم

١
القلب الطاهر[١]

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ

---

(١) لقد سبقني فضيلة الشيخ محمّد علي قاضي زاده في بيان هذه القلوب إجمالاً ، والفضل لمن سبق ، فجزاه الله خيراً .

(٢) الأحزاب : ٥٣ .

اللهُ أنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[١].

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ ﴾ تسلية الله للنبيّ وتطييب لنفسه ممّا لقي من هؤلاء المذكورين في الآية الشريفة، وهم المنافقون الذين يسارعون في الكفر، أي يمشون فيه المشية السريعة ويسيرون فيه السير الحثيث، تظهر من أفعالهم وأقوالهم موجبات الكفر واحدةً بعد أُخرى، فهم كافرون مسارعون في كفرهم، ثمّ قوله: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إنّما هو ترجمة ﴿ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ ﴾ وهم المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّا كنّا من المؤمنين مستهزؤون، فهؤلاء لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم، بل هي باقية على قذارتها ونجاستها وظلمتها وشركها وسوادها الذي حصل من الذنوب والمعاصي، ثمّ كان عاقبة الذين أساؤوا السوء أن كذّبوا بآيات الله، ونتيجة أعمالهم وكفرهم ونفاقهم أنّ لهم في الدنيا خزي وعار ومذلّة، كما لهم في الآخرة عذاب أليم وخزي عظيم.

فقلب المنافق نجس ورجس لا يطهّره الله سبحانه، إلّا أن يتوب ويصلح أمره، وأنّى له التوبة؟! فمن لم يوافق باطنه ظاهره في الخير والصلاح، ومن خالف سريرته علانيته يظهر الإيمان ويبطن الكفر فهو المنافق الفاسق، نجس القلب، يخرج من عبودية الله، ويسارع في الكفر والضلال، ويصيبه وعيد ربّه من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

فالقلب منه طاهر وهو قلب المؤمن، ومنه غير طاهر وهو قلب المنافق والكافر.

---

(١) المائدة: ٤١.

ثمّ هناك عوامل تطهّر القلوب بل تزيد في طهارتها ونظارتها ونشاطها، كما في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ ﴾[1].

عندما يتكلّم المرء مع امرأة أجنبية، فإنّ الذي في قلبه مرض يطمع بالذنب والشهوة، وسرعان ما ينحرف القلب عن الصواب والتقوى، وإنّ الشيطان ليكون ثالث من يخلو بامرأة أجنبية، ومثل الشهوة في الذنوب كمثل البنزين، فما أن يحسّ النار من بعيد إلّا ويلتهب ويحترق، فلا يقرب ذلك، كما ورد في النواهي: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾[2] ومن الذنوب بحكم البترول فإن اشتعل عود الكبريت والتصق به عندئذٍ يشتعل ويحترق، فالحديث مع الامرأة الأجنبية بريب وشهوة من الذنوب التي على الشخص أن لا يقترب إليها أبداً، بل إذا كان له حاجة مع النساء ويسألهن متاعاً، أن يتحدّث معهن من وراء حجاب، كما أدّب الله أصحاب النبيّ أنّهم إذا سألوا نساء النبيّ فليكن ذلك من وراء حجاب، فهو أطهر لقلوبهم وقلوبهن، فالكلام مع المرأة الأجنبية إنّما هو جرس خطر للطرفين، ويدخل الشيطان بينهما ليفسد عليهما قلبهما ويورّطهما بالذنوب والمعاصي، ومن ثمّ يلوّث قلوبهما بالآثام بعد الوساوس والإيحاءات الشيطانية.

قال الإمام الكاظم عليه السلام لهشام: يا هشام، مكتوب في الإنجيل: طوبى للمتراحمين، أُولئك هم المرحومون يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس، أُولئك

---

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) الإسراء: ٣٢.

هم المقرّبون يوم القيامة، طوبى للمطهّرة قلوبهم، أُولئك هم المتّقون يوم القيامة، طوبى للمتواضعين في الدنيا، أُولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة[١].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: طهّروا قلوبكم من درن السيّئات تضاعف لكم الحسنات، طهّروا أنفسكم من دنس الشهوات تدركوا رفيع الدرجات.

وقال عليه السلام: طهّروا قلوبكم من الحقد فإنّه داء.

وقال: قلوب العباد الطاهرة مواضع نظر الله، فمن طهر قلبه نظر إليه.

وقال عليه السلام: لا يغني الجسد أن يكون ظاهره صحيحاً وباطنه فاسداً، كذلك لا تغني أجسادكم التي قد أعجبتكم وقد فسدت قلوبكم، وما يغني عنكم أن تنقّوا جلودكم وقلوبكم دنسة.

والعجب من بعض الناس يفعل المنكرات وعندما تنهاه عن ذلك، يجيبك بأن طهّر قلبك فهو الأصل، وهذا من الخلط والغلط، فإنّ الإسلام يفكّر بطهارة الباطن والظاهر سويّةً، بطهارة العقيدة والعمل معاً، بطهارة القلب والجسد، فإنّ الله سبحانه نظيف ويحبّ النظافة الجسدية، فالنظافة من الإيمان، كما يحبّ النظافة الروحية:

﴿ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ ﴾[٢].

وبالنسبة إلى الباطن والظاهر، الناس على أربعة أصناف:

فمنهم من أصلح باطنه وظاهره، نيّته وعمله، قلبه وجسده، فهو المؤمن.

ومنهم من أفسدهما، وهو الكافر.

ومنهم من أبطن الكفر وأظهر الإسلام، فهو المنافق.

---

(١) البحار ١ : ١٤٧.

(٢) التوبة : ١٠٨.

ومنهم من كانت عقيدته صالحة وصحيحة، إلّا أنّه أفسد العمل، ويأتي بالمعاصي ويرتكب الذنوب، فهذا الفاسق.

والإسلام كما يحارب الكفر والنفاق كذلك يحارب الفسق والفجور، ولا يرضى للإنسان إلّا بطهارة الباطن والظاهر سويّة.

وبعبارةٍ أُخرى، الناس على أصناف أربعة:

١ ـ من يفكّر ويعمل لطهارة ظاهره، ويعتني بنعومة جلده ونظافة ثيابه ولطافة جسده كالنساء، فهمّه حسن الظاهر وحسب، ونسي قلبه، بل لا يبالي بفساده ورجاسته بالذنوب والصفات الذميمة.

٢ ـ وهناك من يفكّر ويعمل بحسب زعمه وتخيّله لطهارة باطنه ونزاهته، وأنّه لا بدّ من إصلاح الباطن لا غير، حتّى وإن كان ظاهره قذراً وثيابه وسخاً، كبعض المتصوّفة، ومنهم الملامتيّة الذين يفعلون المنكرات حتّى يلومهم الناس، فهؤلاء ممّن ضلّوا الطريق وأضلّوا الناس (ضالّ ومضلّ).

٣ ـ وهناك من خسر الدنيا والآخرة، لا يفكّر بإصلاح باطنه ولا بظاهره، يرتكب القبائح والذنوب، كما تعلوه القذارة والأوساخ، وتعطّ منه الروائح النتنة والكريهة.

٤ ـ وهناك العاقل حقّاً والمؤمن صدقاً، يفكّر بطهارة الباطن والظاهر معاً، فكما أطاع الله بقلبه، وشهد بوحدانيّته، فإنّه أطاعه بلسانه فأقرّ بشهادته، كما أطاعه بجسده وأركانه، فيزيل عن القلب صفاته الذميمة كالشرك والنفاق وحبّ الدنيا والرياء وغير ذلك، كما يزيل عن بدنه الأوساخ والأرجاس بوضوءه لصلاته وطوافه ولكونه على الطهارة، ومن صلحت سريرته صلحت علانيته، وهناك ترابط وعلاقة وطيدة بين الظاهر والباطن، وإنّ الظاهر عنوان الباطن، كما أنّ الباطن

منطلق الظاهر. وإنّ القلوب الطاهرة مواضع نظر الله ورحمته الواسعة، وبمثل هـذا القلب الطاهر يدرك الإنسان رفيع الدرجات، ويرتقي سلّم المكرمات، وتضاعف له الحسنات، ويكون في ظلّ عرش الله.

قال موسى بن عمران عليه السلام: يا ربّ من أهلكَ الذين تظلّهم في ظلّ عرشك يوم لا ظلّ إلّا ظلّك ؟ قال: فأوحى الله إليه: الطاهرة قلوبهم.

في الدعاء: اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، واجعلنا من الذين أرسلت إليهم ستور عصمة الأولياء، وخصصت قلوبهم بطهارة الصفاء، وزيّنتها بالفهم والحياء في منزل الأصفياء[1].

واعلم أنّ معرفة القرآن لها شرائط، من أهمّـها: الطـهارة مـن أيّ رجس، والنزاهة عن أيّ رجز. قال سبحانه:

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾[2].

أي: الذي ينال ما في الكتاب المكنون عن الأجنبي المستور عن الغير هـو الإنسان المطهّر عمّـا ينجّسه، وذلك الكتاب المكنون هو ظرف هذا القرآن الكريم ومحيط به وباطنه ومعناه ومقدصه ولا تدركه الحواسّ.

ثمّ بيّن سبحانه واجدي هذا الشرط في قوله:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[3].

فلا يدرك القرآن حقّ الإدراك (للحصر في قوله لا يمسّه إلّا المـطهّرون) إلّا

---

(١) ميزان الحكمة ٨: ٢٢٨.

(٢) الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

أهل بيت الوحي والعصمة عليهم السلام، وهم الراسخون في العلم، الذين يعلمون ظاهر القرآن وباطنه وتأويله، كما في حديث الثقلين.

فالقرآن الكريم من الصحف المطهّرة، كما قال سبحانه :

﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴾[١].

وإنّما يمسّ معارفه وحقائقه وأسراره المطهّرون من الدنس والرجس، ثمّ سبحانه رغّب الناس في تحصيل الطهارة في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ ﴾[٢].

ثمّ بيّن طرق التطهير، كالإنفاق في سبيل الله، لقوله :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾[٣].

وكرعاية الحجاب والعفاف، لقوله :

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[٤].

وكالطهارة المائيّة والترابية، لما يشترط بها كالصلاة والطواف الواجب، لقوله :

﴿ وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾[٥].

---

(١) عبس : ١٣ ـ ١٤.

(٢) البقرة : ٢٢٢.

(٣) التوبة : ١٠٣.

(٤) الأحزاب : ٥٣.

(٥) النساء : ٤٣.

﴿ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾[1].

ثمّ أساس الطهارة العبادة لله والتردّد إلى المساجد المبنيّة على التقوى، لقوله تعالى:

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[2].

فمن كان أعبد لله فهو أطهر وأزكى، ونصيبه من الصحف المطهّرة أكثر وأوفر، ومن استنكف واستكبر عن عبادته فهو متدنّس برجس الطغيان ورجز العمه في سكرة الطبيعة، فلا نصيب له من تلك الصحف المطهّرة لفقدان شرط المعرفة ـ وهي الطهارة ـ كما قال سبحانه:

﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

والمراد من الطهارة في مثل هذه الآيات هي الطهارة المعنوية كما أنّ الإرادة فيها إرادة تكوينية. ولا بدّ في معرفة القرآن أيضاً من اشتراط الرفعة عن حضيض الطبيعة ومخالفة الهوى والكرامة عن كلّ دنيئة:

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾[4].

فالإنسان الكريم هو الذي يتيسّر له معرفة القرآن الكريم ومدار الكرامة هو التقوى:

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) التوبة: ١٠٨.

(٣) المائدة: ٤١.

(٤) الواقعة: ٧٧.

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[(١) (٢)].

ودنيء النفس ومن كان مذنباً وعاصياً فإنّه لا يقف على أسرار القرآن، فإنّ الذنب مقابل للطهارة ومنافٍ للكرامة ومباين للتقوى ومضادّ للرفعة، ومخالف لأيّ وصف كمالي. فالرجس لا مساس له بالطاهر، واللؤم لا تحوم حوله الكرامة، والطغيان لا يصاحب التقوى، والضعة لا تلائم المعرفة، وبالجملة: الناقص لا يمسّ كرامة الكامل ما دام ناقصاً.

هذا والإسلام قد بالغ في مسألة الطهارة والتطهير، فلا صلاة إلّا بطهور، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً:

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ﴾[(٣)].

وفي الأحكام التشريعية مطهّرات كما في الفقه الإسلامي، كما عندنا طهارة تكوينية معنوية، وأهل البيت عليهم السلام مطهّرون معصومون في عالم التكوين والإرادة التكوينية:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[(٤)].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّا أوّل أهل بيت قد أذهب الله عنّا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) اقتباس من كتاب عليّ بن موسى الرضا في القرآن الحكيم: ٥٥.

(٣) الفرقان: ٤٨.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

وقال النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾[١]: فانتهت الدعوة إليّ وإلى عليّ.

وفي خبر (أنا دعوة إبراهيم): وإنّما عنى بذلك الطاهرين لقوله: نقلت من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، لم يمسسني سفاح الجاهلية. وأهل الجاهلية كانوا يسافحون وأنسابهم غير صحيحة وأُمورهم مشهورة عند أهل المعرفة[٢].

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أقبل رسول الله ﷺ يوماً واضعاً يده على كتف العبّاس، فاستقبله أمير المؤمنين فعانقه رسول الله وقبّل عينيه ثمّ سلّم العباس على عليّ فردّ عليه ردّاً خفيفاً، فغضب العباس، فقال: يا رسول الله، لا يدع عليّ زهوه ـ الكبر ـ فقال رسول الله: يا عباس، لا تقل ذلك في عليّ، فإنّي لقيت جبرئيل آنفاً فقال لي: لقيني الملكان الموكّلان بعليّ الساعة فقالا: ما كتبنا عليه ذنباً منذ يوم ولد إلى هذا اليوم[٣].

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في وصف الأنبياء: تناسختهم (تناسلتهم) كرائم الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام.

وقال في وصف النبيّ: أطهر المطهّرين شيمة، وأجود المستمطرين ديمة.

فتأسّ بنبيّك الأطيب الأطهر، فإنّ فيه أُسوة لمن تأسّى، وعزاءً لمن تعزّى.

وقال: فرض الله الإيمان تطهّراً من الشرك.

وقال: إنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم... وطهور دنس أنفسكم.

إن كنتم لا محالة متطهّرين، فتطهّروا من دنس العيوب والذنوب.

---

(١) إبراهيم: ٣٥.

(٢) البحار ٣٨: ٦٢، باب ٥٩ طهارته وعصمته عليه السلام.

(٣) المصدر، عن تفسير القمّي: ٣٤١.

٢
القلب الأليف

قال الله تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[١].

الإلف لغةً :

اجتماع مع التئام، يقال : ألّفت بينهم، ومنه الألفة، ويقال للمألوف : إلف وآلف، والمؤلّف ما جمع من أجزاء مختلفة ورُكّب تركيباً قدّم فيه ما حقّه أن يقدّم وأُخّر فيه ما حقّه أن يؤخّر. والألف العدد المخصوص، وسمّي بذلك لكون الأعداد فيه مؤتلفة، فإنّ الأعداد أربعة آحاد وعشرات ومئون وأُلوف، فإذا بلغتِ الألف فقد ائتلفت وما بعده يكون مكرّراً[٢].

والأُلفة اصطلاحاً :

بمعنى المودّة والمحبّة القلبية، والمؤمن إلف مألوف، لما يحمل من القلب الأليف.

---

(١) آل عمران : ١٠٣.

(٢) مفردات الراغب : ١٦.

وشأن نزول الآية الشريفة لما وقع من التفاخر بين رجلين من الأوس والخزرج، حتّى أدّى إلى حمل السلاح بين جماعة من القبيلتين، فذكّر الله سبحانه بنعمته عليهم، وكيف ألّف بين قلوبهم بعد العداوة والبغضاء والحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة، فألّف بينهم بنبيّه الأكرم وبالإسلام العظيم، فزالت تلك الأحقاد ورفع ما كان بينهم من التنازع والاختلاف، هذا من النفع العاجل الذي حصل لهم في الدنيا، ولهم الثواب الجزيل في الآجل.

(واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة الله إخواناً متواصلين وأحباباً متحابّين بعد أن كنتم متحاربين متعادين وصرتم بحيث يقصد كلّ واحد منكم مراد الآخرين[1]، وهذا من البرهان العلمي ببيان العلل والأسباب.

وحينئذٍ اعتصموا بحبل الله (الكتاب والسنّة المتمثّلة بالعترة الطاهرة)، فإنّ التمسّك بهما اعتصام بالله سبحانه، فمآل الجميع واحد، والآية تأمر المجتمع الإسلامي بالاعتصام بالكتاب والسنّة، كما تأمر الفرد بذلك.

ثمّ المراد بالنعمة هو التأليف، والمراد بالأُخوّة التي توجده وتحقّقه هذه النعمة أيضاً تآلف القلوب، فالأُخوّة ها هنا حقيقة ادّعائية.

ويمكن أن يكون إشارة إلى ما يشتمل عليه قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2] من تشريع الأُخوّة بينهم، فإنّ بين المؤمنين أُخوّة مشرعة تتعلّق بها حقوق هامّة.

---

(١) اقتباس من تفسير مجمع البيان ٢ : ٣٥٧.

(٢) الحجرات : ١٠.

قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ شفا الحفرة طرفها الذي يشرف على السقوط فيها من كان به.

والمراد من النار إن كان نار الآخرة، فالمراد بكونهم على شفا حفرتها أنّهم كانوا كافرين، ليس بينهم وبين الوقوع فيها إلّا الموت الذي هو أقرب إلى الإنسان من سواد العين إلى بياضها، فأنقذهم الله منها بالإيمان.

وإن كان المراد بيان حالهم في مجتمعهم الفاسد الذي كانوا فيه قبل إيمانهم وتآلف قلوبهم، وكان المراد بالنار هي الحروب والمنازعات ـ وهو من الاستعمالات الشائعة بطريق الاستعارة ـ فالمقصود أنّ المجتمع الذي بني على تشتّت القلوب واختلاف المقاصد والأهواء، ولا محالة لا يسير مثل هذا المجتمع بدليل واحد يهديهم إلى غاية واحدة، بل بأدلّة شتّى تختلف باختلاف الميول الشخصية والتحكّمات الفردية اللاغية التي تهديهم إلى أشدّ الخلاف، والاختلاف يشرفهم إلى أردأ التنازع، ويهدّدهم دائماً بالقتال والنزال، ويعدهم الفناء والزوال، وهي النار التي لا تبقي ولا تذر على حفرة الجهالة التي لا منجى ولا مخلص للساقط فيها.

فهؤلاء وهم طائفة من المسلمين كانوا قد آمنوا قبل نزول الآية بعد كفرهم، وهم المخاطبون الأقربون بهذه الآيات، لم يكونوا يعيشون مدى حياتهم قبل الإسلام، إلّا في حال تهدّدهم الحروب والمقاتلات آناً بعد آن، فلا أمن ولا راحة ولا فراغ، ولم يكونوا يفقهون ما حقيقة الأمن العامّ الذي يعمّ المجتمع بجميع جهاتها من جاه ومال وعرض ونفس وغير ذلك.

ثمّ لمّا اجتمعوا على الاعتصام بحبل الله، ولاحت لهم آيات السعادة وذاقوا شيئاً من حلاوة النعم، وجدوا صدق ما يذكّرهم به الله من هنيء النعمة ولذيذ السعادة، فكان الخطاب أوقع في نفوسهم ونفوس غيرهم.

ولذلك بنى الكلام ووضعت الدعوة على أساس المشاهدة والوجدان دون مجرّد التقدير والفرض، فليس العيان كالبيان، ولا التجارب كالفرض والتقدير، ولذلك بعينه أشار في التحذير الآتي في قوله: ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا ـ إلى آخره ـ إلى حال من قبلهم، فإنّ مآل حالهم بمرأى ومسمع من المؤمنين، فعليهم أن يعتبروا بهم وبما آل إليه أمرهم، فلا يجروا مجراهم ولا يسلكوا مسلكهم، ثمّ نبّههم الله على خصوصية هذا البيان، فقال: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾. وهذه النصيحة جارية في المسلمين والمؤمنين إلى يوم القيامة.

فالقلب بنعمة من الله ولطف ورحمة يألف، فهو إلف مألوف، ونتيجة الأُلفة والاجتماع هو المحبّة والأُخوّة والصداقة والمصافاة والترابط والأمن العامّ.

ثمّ ما يربط الإنسان بربّه وبالسماء هو حبل الله الممدود، المتجلّي بكتابه الكريم وبما جاء به الرسول الأكرم محمّد ﷺ:

﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1].

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[2].

وممّا جاء به الرسول حديث الثقلين الثابت متواتراً عند الفريقين ـ العامّة وأصحاب مذهب أهل البيت عليهم السلام ـ.

فالقرآن الكريم والعترة الطاهرة المعصومة هما حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض: ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ ﴾ وهو القرآن، ﴿ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾[3] وهم

---

(١) آل عمران: ١٠١.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) آل عمران: ١١٢.

العترة الطاهرة.

﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[١].

وأكتفي بروايتين من طرق العامّة:

وأخرج صاحب كتاب المناقب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم، قال: كنّا عند النبيّ ﷺ إذ جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، تقول: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ ﴾ فما حبل الله الذي نعتصم به؟ فضرب النبيّ ﷺ يده في يد عليّ وقال: تمسّكوا بهذا الرجل هو حبل الله المتين.

وروى العلّامة الشيخ سليمان البلخي القندوزي، قال: أخرج الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾ عن جعفر بن محمّد رضي الله عنهما، قال: نحن حبل الله الذي قال الله ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾[٢].

فمن نعم الله سبحانه على عباده المؤمنين هو الاعتصام والتمسّك بحبله المتين، وعدم التفرّق والتمزّق والتشتّت والتنازع والتناحر، ويذكرهم الله عزّ وجلّ بتأريخهم وكيف كانوا أعداء فبنعمته ألّف بين قلوبهم، فكأنّه يشير إلى سبب التمسّك بحبل الله والوحدة بين المؤمنين، فالله وجود محض، والوجود خير محض، فالله خير ويدعو إلى الخير، والصلح خير، ولكنّ الشيطان وأعوانه وحزبه بالوساوس

---

(١) آل عمران: ١٠٥.

(٢) ملحقات إحقاق الحقّ ١٤ : ٣٨٤، وقد نقلت عشرات الروايات من الفريقين وبيان سرّ الاعتصام بحبل الله في رسالة (السرّ في آية الاعتصام)، وهو مطبوع، فراجع.

والحيل يلقي بينكم العداوة والبغضاء ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

قال سبحانه:

﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إزالة الرواسي أسهل من تأليف القلوب المتنافرة.

عن الإمام الصادق عليه السلام: إنّ ائتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا ـ وإن لم يظهروا التودّد بألسنتهم ـ كسرعة اختلاط قطر السماء على مياه الأنهار، وإنّ بُعد ائتلاف قلوب الفجّار إذا التقوا ـ وإن أظهروا التودّد بألسنتهم ـ كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على مِذوَد واحد[2].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خياركم أحسنكم أخلاقاً الذين يألفون ويؤلفون[3].

فالخلق الحسن يوجب الألفة والمحبّة بين الناس.

عنه صلى الله عليه وآله: خير المؤمنين من كان مألفةً للمؤمنين، ولا خير في مَن لا يؤلف ولا يألف.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: طوبى لمن يألف الناس ويألفونه على طاعة الله.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أقربكم منّي غداً في الموقف... أحسنكم خُلقاً وأقربكم

---

(١) الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) ميزان الحكمة ١: ٩٤، عن أمالي الطوسي: ٤١٢.

(٣) البحار ٦٧: ٣٠٩.

من الناس. إنّ المؤمن ينبغي أن يكون آلفاً بالخلق الحسن[١].

لا تنقض سنّة صالحة اجتمعت بها الأُلفة[٢].

قال رسول الله ﷺ: جائني جبرئيل فقال لي: يا أحمد، الإسلام عشرة أسهم، وقد خاب من لا سهم له فيها: أوّلها شهادة أن لا إله إلّا الله وهي الكلمة، والثانية الصلاة وهي الطهر، والثالثة الزكاة وهي الفطرة، والرابعة الصوم وهي الجُنّة، والخامسة الحجّ وهي الشريعة، والسادسة الجهاد وهو العزّ، والسابعة الأمر بالمعروف وهو الوفاء، والثامنة النهي عن المنكر وهو الحجّة، والتاسعة الجماعة وهي الأُلفة، والعاشرة الطاعة وهي العصمة.

قال: قال حبيبي جبرئيل: إنّ مثل هذا الدين كمثل شجرة ثابتة: الإيمان أصلها، والصلاة عروقها، والزكاة ماؤها، والصوم سعفها، وحسن الخلق ورقها، والكفّ عن المحارم ثمرها، فلا تكمل شجرة إلّا بالثمر، كذلك الإيمان لا يكمل إلّا بالكفّ عن المحارم[٣].

والجماعة بمعنى الاجتماع على الحقّ.

قال عليه السلام: بنا ألّف بين القلوب بعد الفتنة[٤].

---

(١) البحار ٧٥: ٣٦٥.

(٢) البحار ٧٧: ٢٤٧.

(٣) البحار ٦: ١٠٩.

(٤) البحار ٣٢: ٢٤٣.

٣
القلب الخائف

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1].

لكلّ شيء علامة، وعلامة قلب المؤمن الآلف الطاهر أنّه يخاف الله سبحانه، فإنّ الوجل بمعنى الخوف، ومن علائم خوفه أنّه إذا سمع آيات الله سبحانه، أو رأى أو ذكّر بها فإنّه يزداد إيماناً ورسوخاً في عقيدته الحقّة، فيتوكّل على الله، ويجاهد ويكادح في سبيله، ويقيم الصلاة في المجتمع، ولا يبخل بماله، بل ينفقه في سبيل الله.

فمن أمارات القلب المؤمن ـ كما يتلخّص من هذه الآية الشريفة ـ ما يلي:

١ ـ الوجل، وهو استشعار الخوف في الجوانح والقلب، فإنّ المؤمن إذا ذُكّر بالله وبيوم القيامة عند المعصية فإنّه يخاف ويترك ذلك.

٢ ـ زيادة الإيمان عند تلاوة القرآن والآيات الإلهية واستماعها، وأنّ الإيمان يزداد كما يزداد النور، فله مراتب طولية وعرضية، فهو كلّي مشكّك.

٣ ـ التوكّل على الله في كلّ الأمور.

---

(١) الأنفال: ٢ ـ ٣.

٤ ـ إقامة الصلاة.

٥ ـ الإنفاق في سبيل الله سبحانه.

ومن الواضح أنّ الأعمال الثلاثة الأُولى من أعمال القلب، والأخيران من أعمال الجوارح.

والذي يؤمن بالله بقلبه ـ أي الاعتقاد القلبي ـ ويخاف الله ـ أي يخاف من ذنوبه ومخالفته لربّه ـ ويزداد إيماناً بتلاوة آياته، ويتوكّل على ربّه، ولا يخاف أحداً سواه، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ومن خاف الله خاف منه كلّ شيء، ومن لم يخف الله خاف من كلّ شيء.

ومن اجتمعت فيه هذه المواصفات، فإنّه بلا ريب يقيم الصلاة وينفق في سبيل الله ولا يخاف الفقر. فالنور الأوّل في القلب هو الخوف، ثمّ يزداد كمّاً وكيفاً، فينشرح صدره ويتّسع قلبه، حتّى يصل إلى درجة اليقين، ومن وصل إلى هذه المرحلة من الكمال، وعرف ربّه ذا الجلال، فإنّه بطبيعة الحال، يتوكّل عليه في جميع الأحوال، فإنّ أزمّة الأُمور طرّاً بيده، وعلى الله فليتوكّل المؤمنون.

كتب على أستار الكعبة أيام الإمام زين العابدين عليه السلام:

لا تـدبّر لك أمـراً ... فأُولي التدبير هلكى

وكّـل الأمـر إلى من ... هو أولى منك أمرا

فإرادة المؤمن تكون تابعة لإرادة الله عزّ وجلّ، فيقيم أحكامه وشرائعه ودينه. وعمود الدين الصلاة، فمن أقامها أقام الدين، كما يراعي شؤون المجتمع ويتوجّه إلى القضايا الاجتماعية، ويجبر نواقصها، ويباري الفقراء بما أعطاه الله من المال والجاه والعلم وغير ذلك.

ثمّ حاصل الوجل والخوف عند ذكر الله سبحانه هو اطمئنان القلب:

﴿ ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾[١].

فالذين إذا ذكّروا بآيات الله وجلت قلوبهم، فإنّه يطمئن قلبه حينئذٍ، أو أنّه في عين الوجل والخوف يحسّ بالاطمئنان والركون إلى الرحمة الإلهية، فيزداد إيماناً، وحاصل الزيادة هو التقوى كما في قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾[٢].

فمن طهّر قلبه، وزاد إيمانه، واتّقى ربّه، ونهى النفس عن الهوى، فإنّ الجنّة هي المأوى، وقد فاز وسعد:

﴿ الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾[٣].

ثمّ الخوف من علائم الموالين لأهل البيت عليهم السلام، كما أخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا عليّ، طوبى لمن أحبّك وصدّق بك، وويلٌ لمن أبغضك وكذّبك، محبّوك معرّفون في السماء السابعة والأرض السابعة السفلى وما بين ذلك، هم أهل الدين والسمت الحسن والتواضع لله عزّ وجلّ، خاشعة أبصارهم وجلة قلوبهم لذكر الله، وقد عرفوا حقّ ولايتك، يدينون لله بما أمرهم به أُولو الأمر منهم، متواصلون غير متقاطعين، غير متباغضين، إنّ الملائكة لتصلّي عليهم وتؤمّن على دعائهم، وتستغفر للمذنب منهم، وتشهد حضرته، وتستوحش لفقده إلى يوم القيامة[٤].

---

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) محمّد صلى الله عليه وآله: ١٧.

(٣) هود: ١٠٨.

(٤) عيون أخبار الرضا ١: ٢٦١.

قال الإمام الكاظم عليه السلام : لم يخف الله من لم يعقل عن الله ، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ، ويجد حقيقتها بقلبه .

ومعنى : من عقل عن الله ، أي حصل له معرفة ذاته وصفاته المقدّسة من علمه وحكمته ولطفه ورحمته ، أو أعطاه الله عقلاً كاملاً ، أو علم الأُمور بعلم ينتهي إلى الله بأن أخذه عن أنبيائه وحججه عليهم السلام ، إمّا بلا واسطة أو بواسطة ، أو بلغ عقله إلى درجة يفيض الله علومه عليه بغير تعليم بشر أو تفكّر فيما أجرى الله على لسان الأنبياء والأوصياء ، وفيما أراه من آياته في الآفاق والأنفس وتقلّب أحوال الدنيا وأمثالها . والثاني أظهر لقول الكاظم عليه السلام لهشام : يا هشام ، ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلّا ليعقلوا عن الله[1] .

والخوف هو تألّم القلب واحتراقه بسبب توقّع مكروه في الاستقبال مشكوك الوقوع .

وهو على نوعين : مذموم بجميع أقسامه ، وهو الذي لم يكن من الله ، ولا من صفاته المقتضية للهيبة والرعب ، ولا من معاصي العبد وجناياته ، وممدوح وهو الذي يكون من الله ومن عظمته ومن خطأ العبد وذنوبه[2]...

وله أقسام :

الأوّل : أن يكون من الله سبحانه ومن عظمته وكبريائه وهذا هو المسمّى بالخشية والرهبة في عرف أرباب القلوب .

الثاني : من جناية العبد باقترافه المعاصي .

---

(١) بيان من العلّامة المجلسي في البحار ٦٧ : ١٥٧ .

(٢) تفصيل ذلك في كتاب جامع السعادات ١ : ٢١٠ ـ ٢٦٠ .

الثالث: أن يكون منهما جميعاً وكلّما ازدادت المعرفة بجلال الله وعظمته وتعاليه وبعيوب نفسه وجناياته ازداد خوفاً.

قال سيّد الرسل: أنا أخوفكم من الله.

وقد قرع سمعك حكايات خوف زمرة المرسلين ومن بعدهم من فِرق الأولياء والعارفين وعروض الغشيات المتواترة في كلّ ليلة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا مقتضى كمال المعرفة الموجب لشدّة الخوف، إذ كمال المعرفة يوجب احتراق القلب. فيفيض أثر الحرقة من القلب إلى البدن بالنحول والصفار والغشية والبكاء. وإلى الجوارح بكفّها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافياً لما فرط في جنب الله ومن لم يجتهد في ترك المعاصي وكسب الطاعات فليس على شيء من الخوف. ولذا قيل: ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه. وقال بعض الحكماء: من خاف شيئاً هرب منه، ومن خاف الله هرب إليه وإلى الصفات بقمع الشهوات وتكدّر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدّب الجوارح، ويحصل في القلب الذبول والذلّة والخشوع والاستكانة وتفارقه ذمائم الصفات. ولا يكون له شغل إلّا المجاهدة والمحاسبة والمراقبة والضنّة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس في الخطرات والكلمات.

وأقلّ درجات الخوف ممّا يظهر أثره في الأعمال أن يكفّ عن المحظورات ويسمّى الكفّ منها (ورعاً) فإن زادت قوّته كفّ عن الشبهات ويسمّى ذلك (تقوى) إذ التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، وقد يحمله على ترك ما لا بأس به مخافة ما به البأس، وهو الصدق في التقوى، فإذا انضمّ إليه التجرّد للخدمة وصار ممّن لا يبني ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنّه

يفارقها، ولا يصرف إلى غير الله نفساً عن أنفاسه، فهو (الصدق) ويسمّى صاحبه (صديقاً) فيدخل في الصدق التقوى وفي التقوى الورع وفي الورع العفّة لأنّها عبارة عن الامتناع من مقتضى الشهوات، فإذن يؤثّر الخوف في الجوارح بالكفّ والإقدام[1].

الخوف منزل من منازل الدين، ومقام من مقامات الموقفين، وهو أفضل الفضائل النفسانية، إذ فضيلة الشيء بقد إعانته على السعادة، ولا سعادة كسعادة لقاء الله والقرب منه، ولا وصول إليها إلّا بتحصيل محبّته والأُنس به، ولا يحصل ذلك إلّا بالمعرفة، ولا تحصل المعرفة إلّا بدوام الفكر، ولا يحصل الأُنس إلّا بالمحبّة ودوام الذكر، ولا تتيسّر المواظبة على الفكر والذكر إلّا بانقلاع حبّ الدنيا من القلب، ولا ينقلع ذلك إلّا بقمع لذّاتها وشهواتها، وأقوى ما تنقمع به الشهوة هو نار الخوف، فالخوف هو النار المحرقة للشهوات، ففضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات، ويكفّ من المعاصي، ويحثّ على الطاعات، ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف.

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[2].

وهذا يدلّ على أنّ الخوف من الإيمان، كما أنّ الإنسان كلّما ازداد علماً نافعاً ازداد خوفاً:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[3].

---

(١) جامع السعادات ١ : ٢٢٠.

(٢) الأنفال : ٢.

(٣) فاطر : ٢٨.

ومن يخاف الله رضي الله عنه :

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[١].

وأمرنا الله بالخوف منه :

﴿ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

ومدح الخائفين بالتذكّر في قوله :

﴿ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ﴾[٣].

ووعدهم الجنّة والجنّتين :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[٤].

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[٥].

وقال النبيّ الأكرم ﷺ : «رأس الحكمة مخافة الله».

وقال ﷺ : «من خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كلّ شيء».

وقال ﷺ لابن مسعود : «إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بعدي».

وقال ﷺ : «أتمّكم عقلاً أشدّكم لله خوفاً».

---

(١) البيّنة : ٨.

(٢) آل عمران : ١٧٥.

(٣) الأعلى : ١٠.

(٤) النازعات : ٤٠ ـ ٤١.

(٥) الرحمن : ٤٦.

قال الإمام الصادق عليه السلام : «من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا».

وقال عليه السلام : «إنّ حبّ الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب».

وقال عليه السلام : «المؤمن بين مخافتين : ذنب قد مضى ما يدري ما صنع الله فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح إلّا خائفاً، ولا يصلحه إلّا الخوف».

٤
القلب المطمئن

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾[١].

الاطمئنان بمعنى سكون النفس، ثمّ الإيمان بالله لا يعني الاعتقاد بوجوده وحسب، فإنّه من الناس:

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أنْفُسُهُمْ ﴾[٢].

فإنّ الإيمان بوجود الله يجتمع مع الإنكار والجحود، وهذا يعني أنّ الإيمان ليس الإدراك فقط، بل عقد القلب بما يعلمه ويدركه فينشرح صدره، كما في قوله تعالى:

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾[٣].

فالمؤمن يطمئنّ قلبه بذكر الله سبحانه، ويخلص من الاضطراب والقلق، وأمّا الخوف من الله فهو يعني الخوف من أعمالنا القبيحة ومن الذنوب التي يرتكبها الإنسان، فإنّ الخوف منشؤه حدوث شرّ في المستقبل. فإذا ذُكّر المؤمن بآيات الله وجل قلبه وخاف من مصيره، وحينما يذكّر بنعم الله ورحمته فإنّه يطمئنّ قلبه وينيب

---

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) النمل: ١٤.

(٣) الأنعام: ١٢٥.

إلى ربّه، فمن يتوجّه إلى ثواب الله وسعة رحمته فإنّه يسكن قلبه، ويأمل رحمة ربّه، ويركن إلى سعة فضله، فيطمئنّ قلبه وتسكن نفسه، فمن أحسّ وتذكّر ذنوبه فإنّه يضطرب وييأس إلّا أنّه حينما ينظر إلى رحمة الله وغفرانه، فإنّه يسكن ويرتاح. فذكر الله يسكّن آلام القلوب، ومن مات قلبه بالذنوب والمعاصي فحياته بذكر الله وجلاء قلبه بذكر الله، فذكر الله نور ونار، ومن اشتاق إلى رحمة ربّه، فإنّه يدفع عن نفسه اليأس والاضطراب ويزداد إيماناً ويقيناً، كما في قوله تعالى في قصّة إبراهيم الخليل عليه السلام لمّا أُخبر بالخلّة فطلب منه سبحانه أن يحيي له الموتى، فقال:

﴿ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾(١).

وقال سبحانه:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾(٢).

ومن علائم الإيمان وزيادته الصبر، كما في قوله:

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً ﴾(٣).

ومن علائمه معاداة أعداء الله حتّى لو كان أقرب الناس إليه، كما في قوله:

﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ

---

(١) البقرة: ٢٦٠.

(٢) الفتح: ٤.

(٣) الأحزاب: ٢٢.

وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾[١].

وهو روح الإيمان، وقوله: ﴿ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ يدلّ على أنّ الإيمان واليقين قابلان للشدّة والضعف، قال الطبرسي: بلى أنا مؤمن، ولكن سألت ذاك لأزداد يقيناً إلى يقيني، وقيل: لأعاين ذلك ويسكن قلبي إلى علم العيان بعد علم الاستدلال، وقيل: ليطمئنّ قلبي بأنّك قد أجبت مسألتي واتّخذتني خليلاً كما وعدتني.

وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ ﴾ هي أن يفعل الله بهم اللطف الذي يحصّل لهم عنده من البصيرة بالحقّ ما تسكن إليه نفوسهم، وذلك بكثرة ما ينصب لهم من الأدلّة الدالّة عليه، فهذه النعمة التامّة خاصّة بالمؤمنين، وأمّا غيرهم فتضطرّ نفوسهم لأوّل عارض من شبهة ترد عليهم ولا يجدون لردّ اليقين وروح الطمأنينة في قلوبهم، وقيل: هي النصرة للمؤمنين لتسكن بذلك قلوبهم ويثبتوا في القتال وتحمّل المشاكل والمصاعب من أجل ترويج الدين وإعلاء كلمة الإسلام والمسلمين.

الكافي، بسنده عن أبي خديجة، قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال لي: إنّ الله تبارك وتعالى أيّد المؤمن بروح منه تحضره في كلّ وقت يحسن فيه ويتّقي وتغيب عنه في كلّ وقت يذنب فيه ويعتدي، فهي معه تهتزّ سروراً عند إحسانه، وتسيخ في الثرى عند إساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقيناً وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرىءً همّ بخير فعمله، أو همّ بشرّ فارتدع عنه، ثمّ قال: نحن نؤيّد الروح بالطاعة لله والعمل به[٢].

---

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) البحار ٦٦: ١٩٤.

في نهج البلاغة، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : «إنّ الإيمـان يـبدو لمـظة في القلب، كلّما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة). اللمظة : البياض.

كما أنّ الإيمان ربما يكون مستودعاً كما في قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾[1].

راجع البحار الجزء ٦٦، باب ٣٤ أنّ الإيمان مستقرّ ومستودع وإمكان زوال الإيمان وذلك بالذنوب والمعاصي والآثام.

﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ ﴾[2].

قال أبو عبد الله عليه السلام : «ومنهم من يعير الإيمان عارية، فإذا هو دعا وألحّ في الدعاء مات على الإيمان».

---

(١) الأنعام : ٩٨.

(٢) الروم : ١٠.

٥
القلب الخاشع

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ﴾[١].

(يأن) فعل مضارع مجزوم بلم، أصله (أنى) بمعنى قرب وحضر وحان وقته، وخشوع القلب تأثيره عند مشاهدة عظمة الله وكبريائه، فكلّ ما يذكر الإنسان ربّه فإنّه يتجلّى لديه عظمة خالقه وبارئه ومدبّر أمره، فيخشع قلبه، فالمؤمن عندما يُذكّر بآيات الله وما نزل من الحقّ، فإنّه سرعان ما يخشع قلبه، وتخضع جوارحه، ويتذلّل أمام الله عزّ وجلّ.

والخشوع الضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد في الجوارح[٢].

وضدّ الخشوع التكبّر وحبّ الذات :

﴿ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾[٣].

فالذين قست قلوبهم لا يخشعون ولا يتذلّلون أمام آيات الله وما نزل من الحقّ، فيستكبرون عن عبادة الله ويتكبّرون على الخلق.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٤].

---

(١) الحديد : ١٦.

(٢) الراغب : ١٤٩.

(٣) و (٤) المؤمن : ٦٠.

قال الإمام الكاظم عليه السلام لهشام: يا هشام، إنّ الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا (الحجر الصلب)، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبّر الجبّار، لأنّ الله جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبّر من آلة الجهل، ألم تعلم أنّ من شمخ إلى السقف برأسه شجّه؟ ومن خفض رأسه استظلّ تحته وأكنّه؟ فكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله، ومن تواضع لله رفعه(١).

وفي حديث عن رسول الله: علامة الخاشع أربعة: مراقبة الله في السرّ والعلانية، وركوب الجميل، والتفكّر ليوم القيامة، والمناجاة لله(٢).

وثمرة العلم ونتيجته الصادقة هو الخشوع والخضوع لله سبحانه.

عن مولانا الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام: مكتوب في الإنجيل: لا تطلبوا علم ما لا تعلمون وما تعملون بما علمتم، فإنّ العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلّا كفراً، ولم يزدد من الله إلّا بُعداً.

واعلم أنّه ليس العلم عبارة عن استحضار المسائل وتقرير الدلائل والبحوث، بل هو ما زاد في خوف العبد من الله سبحانه، ونشط في عمل الآخرة وزهد في الدنيا.

قال العالم عليه السلام: أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلّا به، وأوجب العلم بك ما أنت مسؤول عن العمل به، وألزم العلم لك ما دلّك على صلاح قلبك وأظهر لك فساده، وأحمد العلم عاقبةً ما زاد في عملك العاجل، فلا تشتغلنّ بعلم ما لا يضرّك جهله، ولا تغفلن عن علم ما يزيد في جهلك تركه.

---

(١) البحار ١ : ١٥٣.

(٢) البحار ١ : ١٢٠.

ثمّ انظر الآيات الواردة بمدح العلم تجدها واصفات العلماء بما ذكرناه. قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[١].

فوصفهم بالخشية، وقال تعالى:

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

فوصفهم بإحياء الليل بالقيام ومواصلة الركوع والسجود والخوف.

وقال الصادق عليه السلام: الخشية ميراث العلم، والعلم شعاع المعرفة، وقلب الإيمان، ومن حرم الخشية لا يكون عالماً وإن شقّ الشعر بمتشابهات العلم.

قال معاذ: تعلّموا العلم، فإنّ تعلّم العلم لله خشية، وطلبه عبادة، ومداومته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وآدابه خمسة: تقديم تطهير النفس عن رذائل الأخلاق، وتقليل العلائق، والانقياد إلى إشارة المعلّم، وأن يكون قصده تخلية باطنه في الحال، وتحصيل السعادة إلى الاستقبال.

قال عيسى عليه السلام: أشقى الناس من هو معروف عند الناس بعلمه مجهول بعمله.

قال النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله: مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه. وعلمٌ لا ينفع ككنز لا ينفق منه. وعالم لا يعمل بعلمه فالعلم والعالم في النار[٣].

---

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) بحر المعارف؛ للشيخ عبد الصمد الهمداني: ٥٣٥.

٦
القلب المتّقي

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ ﴾[١].

(ذلك) خبر لمبتدأ محذوف يعني (الأمر كذلك) أي القضيّة حقاً كذلك يكون بأنّه من يعظّم ويقدّس شعائر الله فإنّ ذلك من علامة تقوى قلبه، و (الشعائر) جمع شعيرة بمعنى العلامة، فـ(شعائر الله) العلائم التي وضعها الله لتذكّر الإنسان بربّه:

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ ﴾[٢].

﴿ وَالبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ ﴾[٣].

فالجبل المنسوب إلى الله، والجمل المنسوب إلى الله يكون من شعائر الله، وكلّ شيء ينسب إليه سبحانه فهو علامة تشير إلى عظمته وصفاته وأسمائه الحسنى، فتعظيم وتقديس واحترام وتقدير شعائر الله سبحانه، وشعائر أنبيائه وأوليائه الكرام عليهم السلام، ذلك كلّه من تقوى القلوب، ثمّ إضافة التقوى إلى القلوب يعني أنّ حقيقة التقوى والاجتناب والاحتراز عن محارم الله عزّ وجلّ وغضبه إنّما هو أمر معنوي يقوم بالقلب والنفس والروح المدبّرة للبدن، فليست التقوى قائمة بالأعمال

---

(١) الحجّ: ٣٢.

(٢) البقرة: ١٥٨.

(٣) الحجّ: ٣٦.

الجوارحية لأنّها تشترك بين الطاعة والعصيان، فإنّ لمس البدن في النكاح المحلّل والمحرّم واحد، وقتل النفس في الجناية والقصاص واحد، والصلاة قربةً ورياءً واحدة، وإنّما كان أحدهما حلالاً طيّباً صالحاً دون الآخر، إنّما هو باعتبار أمر معنوي وباطني، وهو تقوى القلب أو عصيانه.

فإذا وضع الله علامة فعلينا أن نطيعه ونقيم علائمه ونعظّم شعائره، فإنّ ذلك من حقيقة العبودية، ومن أتى بالواجبات الإلهية وترك المحرّمات وتورّع عن المآثم وتحرّز عن غضب الله، فإنّ ذلك من تقوى القلوب.

عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: الإيمان فوق الإسلام درجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، ولم يقسم بين العباد شيء أقلّ من اليقين.

يدلّ على أنّ التقوى أفضل من الإيمان وأعلى درجة، والتقوى من الوقاية وهي لغةً: بمعنى فرط الصيانة، واصطلاحاً: صيانة النفس عمّا يضرّها في الآخرة، وقصرها على ما ينفعها فيها، ولها مراتب ثلاثة:

الأُولى: وقاية النفس عن العذاب المخلّد بتصحيح العقائد الإيمانية.

والثانية: التجنّب عن كلّ ما يؤثم من فعل أو ترك، وهو المعروف عند أهل الشرع.

والثالثة: التوقّي عن كلّ ما يشغل القلب عن الحقّ، وهذه درجة الخواصّ بل خاصّ الخاصّ.

والمراد هنا أحد المعنيين الأخيرين وكونه فوق الإيمان بالمعنى الثالث ظاهر على أكثر معاني الإيمان، وإن أُريد المعنى الثاني فالمراد بالإيمان إمّا محض العقائد الحقّة أو مع فعل الفرائض وترك الكبائر بأن يعتبر ترك الصغائر أيضاً في المعنى

الثاني. وقيل: باعتبار أنّ الملكة معتبرة فيها لا فيه، ولا يخفى ما فيه[١].

قال بعض المحقّقين: اعلم أنّ العلم والعبادة[٢] جوهران لأجلهما كان كلّما ترى وتسمع من تصنيف المصنّفين وتعليم المعلّمين ووعظ الواعظين، بل لأجلهما أُنزلت الكتب وأُرسلت الرسل، بل لأجلهما خلقت السماوات والأرض وما فيهما من الخلق، وناهيك لشرف العلم قول الله عزّ وجلّ:

﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾[٣].

فمن علم بقدرة الله وبعلمه المحيط سيتّقي الله في كلّ الأحوال. ولشرف العبادة قوله سبحانه:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٤].

فحقّ للعبد أن لا يشتغل إلّا بهما، ولا يتعب إلّا لهما، وأشرف الجوهرين العلم، كما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم».

والمراد بالعلم هو الدين، أعني معرفة الله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، قال الله عزّ وجلّ:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾[٥].

---

(١) البحار ٦٧: ١٣٦.

(٢) لقد تحدّثت بالتفصيل عن (فلسفة الحياة وسرّ الخليقة) في رسالة مطبوعة، فراجع.

(٣) الطلاق: ١٢.

(٤) الذاريات: ٥٦.

(٥) البقرة: ٢٨٥.

وقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾[١].

ومرجع الايمان إلى العلم وذلك لأنّ الايمان هو التصديق بالشيء على ما هو عليه، ولا محالة هو مستلزم لتصوّر ذلك الشيء كذلك بحسب الطاقة، وهما معنى العلم، والكفر ما يقابله وهو بمعنى الستر والغطاء، ومرجعه إلى الجهل، وقد خصّ الايمان في الشرع بالتصديق بهذه الخمسة ولو إجمالاً، فالعلم بها لا بدّ منه وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلمٍ ومسلمة»، ولكن لكلّ إنسان بحسب طاقته ووسعه:

﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إلَّا وُسْعَهَا ﴾[٢].

فإنّ للعلم والايمان درجات مترتّبة في القوّة والضعف والزيادة والنقصان بعضها فوق بعض، كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة.

وذلك لأنّ الايمان إنّما يكون بقدر العلم الذي به حياة القلب، وهو نور يحصل في القلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الله جلّ جلاله:

﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ ﴾[٣].

﴿ أوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ

---

(١) النساء: ١٣٦.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

(٣) البقرة: ٢٥٧.

﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾[١].

وليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه.

وهذا النور قابل للقوّة والضعف والاشتداد والنقص، كسائر الأنوار:

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾[٢].

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[٣].

كلّما ارتفع حجاب عن القلب ازداد نوراً، فيقوى الإيمان ويتكامل إلى أن ينبسط نوره، فينشرح صدره، ويطّلع على حقائق الأشياء، وتتجلّى له العيوب، ويعرف كلّ شيء في موضعه، فيظهر له صدق الأنبياء عليهم السلام في جميع ما أخبروا عنه إجمالاً وتفصيلاً على حسب نوره، وبمقدار انشراح صدره، وينبعث من قلبه داعية العمل بكلّ مأمور، والاجتناب عن كلّ محظور، فيضاف إلى نور معرفته أنوار الأخلاق الفاضلة والملكات الحميدة:

﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[٤].

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾[٥].

وكلّ عبادة تقع على وجهها المطلوب فإنّها تورث في القلب صفاءً يجعله مستعدّاً لحصول نور فيه وانشراح ومعرفة ويقين، ثمّ ذلك النور والمعرفة واليقين

---

(١) الأنعام: ١٢٢.

(٢) الأنفال: ٢.

(٣) طه: ١١٤.

(٤) التحريم: ٨.

(٥) النور: ٣٥.

تحمله على عبادة أُخرى، وإخلاص آخر فيها يوجب نوراً آخر وانشراحاً أتمّ ومعرفة أُخرى ويقيناً أقوى، وهكذا إلى ما شاء الله جلّ جلاله، وعلى كلّ من ذلك شواهد من الكتاب الكريم والسنّة الشريفة[١].

قال الإمام الكاظم في حديث لهشام: قال عيسى بن مريم... يا عبيد السوء، اتّخذوا مساجد ربّكم سجوناً لأجسادكم وجباهكم، واجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوى، ولا تجعلوا قلوبكم مأوىً للشهوات، إن أجزعكم عند البلاء لأشدكم حبّاً للدنيا، وإنّ أصبركم على البلاء لأزهدكم في الدنيا[٢].

---

(١) البحار ٦٧ : ١٤١.

(٢) البحار ١ : ١٤٦. وقد تحدّثت عن التقوى بالتفصيل في رسالة (كلمة التقوى في القرآن الكريم)، وهي مطبوعة، فراجع.

٧
القلب العاقل

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[١].

إنّ الله سبحانه يحثّ الإنسان أن يسير في الأرض ليرى الآثار المعطّلة والقصور المشيّدة التي هلك سكّانها وأُبيد أهلها، فيتفكّروا في عوامل انحطاطهم وأسباب انكسارهم، فيعتبروا بآثارهم، ويكون لهم عقول يتدبّرون بها ما حلّ بهم، وآذان يسمعون بها أخبارهم، فإنّ ذلك ممّا يجذب الإنسان إلى الإيمان بالله ويمنعه عن الشرك والكفر والكفران، فيسمعون نصائح الناصحين ووعظ الواعظين، وأكثر الناصحين شفقةً ووعظاً وإرشاداً هو القرآن الكريم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتّقين، وإنّه يهدي للتّي هي أقوم، يهدي إلى صراطٍ مستقيم، والرسول الأكرم وعترته الأطهار.

وإنّما لم يذكر البصر في هذه الآية الشريفة لأنّها تقسّم الناس إلى قسمين: فنهم من يشخّص بنفسه الخير من الشرّ، والصالح من الطالح، والجيّد من الرديء، والغثّ من السمين، والحسن من السيّء، والحقّ من الباطل، ومنهم من يتبع الآخرين ويستمع لهم، فالذي يتعقّل الأُمور ويدركها له قلب عاقل يهدي الناس إلى الخيرات والإحسان، وعلى الناس أن يستمعوا له، ويطيعوه ليهتدوا

---

(١) الحج: ٤٦.

ويسعدوا في الدارين.

فالناس في الحقيقة بين الاستقلال في التعقّل وتمييز الخير من الشرّ، وبين الاتّباع لمن يجوز اتّباعه، وهذا شأن القلب والأُذن.

ومن لم يستمع ولم يطع فإنّ قلبه أعمى عن رؤية الحقّ ومشاهدة جماله، فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وهذه مبالغة في تصوير العمى، فمن لم يتعقّل ولم يسمع الحقّ فهو أعمى القلب، فإنّ من عُمي ببصره ربما يتدارك ما فاته من نعم البصر بالعصا وبهداية الآخرين، ولكن الذي عمى قلبه، فإنّه لا ينفعه النصح والنذر ومعونة الهادين ومواعظهم.

ونسبة العقل للقلب تجوّزاً، كمجازية القلب إلى الصدر. فمن يسير في الأرض ويرى العواقب فإنّه يتفكّر ويتعقّل الأُمور كما يستمع لنصيحة الناصحين، فيتّقي الله ويعظم شعائره، ويقيم حدوده وأحكامه، ويخاف يوم المعاد، فيطهّر قلبه من الأرجاس والأوساخ والصفات الذميمة، ويخلو قلبه من الهوى ويتوكّل على الله:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[1].

عن الإمام الكاظم عليه السلام: المراد من القلب في هذه الآية الشريفة هو العقل[2].

وقال عليه السلام لهشام: يا هشام، من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين، فليتضرّع إلى الله في مسألته بأن يكمل عقله، فمن

---

(١) ق: ٣٧.

(٢) أُصول الكافي ١: ١٦، باب العقل والجهل.

عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً.

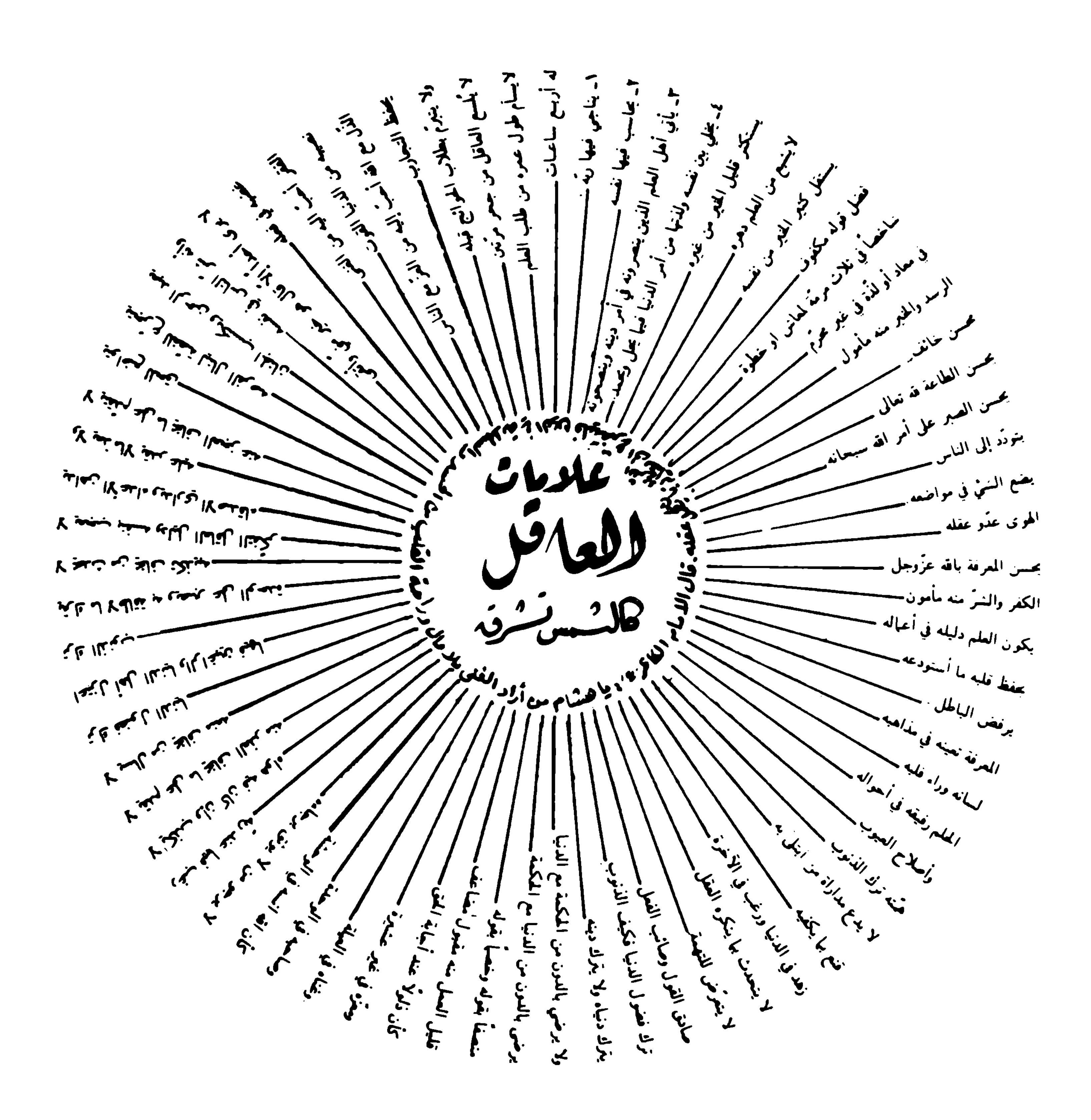
وللعقل والعاقل علامات وخصائص جاء معظمها في الروايات الشريفة عن الرسول الأكرم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام جمعتها من كتاب بحار الأنوار[١] ووضعتها في هذا الشكل المدوّر.

ومن أراد التفصيل والبيان فعليه بمراجعة البحار وكتب الحديث كالكافي والوافي، ومن كتب أبناء العامّة كالصحاح الستّة وكنز العمّال.

---

(١) بحار الأنوار ١ : ٣٠٦ ـ ٣٦١.

الشكل الدائري للعقل والعقلاء



٨
القلب الرؤوف

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾[(١)].

التقفية بمعنى الإرسال واحداً تلو الآخر، ومنه يسمّى أواخر الشعر بالقافية، وضمير (على آثارهم) يرجع إلى نوح وإبراهيم، وقيل بترادف الرأفة والرحمة في المعنى، وقيل: الرحمة تستعمل في مقام جلب المنفعة والخير، والرأفة في مقام دفع الشرّ والضرر. والظاهر إنّما جعلت الرحمة والرأفة في قلوب أُمّة عيسى آنذاك للذين اتّبعوه ونصروه، فترحموا فيما بينهم، وعاشوا برحمة وشفقة، كما مدح الله أُمّة محمّد بهذا في قوله تعالى:

﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[(٢)].

فكلّ الأنبياء لهم طريقة ودعوة واحدة، وهي وحدانية الله جلّ جلاله، وأن يعبد الإنسان ربّه، فيكون له قلب رؤوف يتبع به رسل الله وكتبه فيكون من المهتدين والسعداء.

وفي حديث عن رسول الله في علامة المؤمن: فإنّه يرؤف ويفهم ويستحيي[(٣)].

---

(١) الحديد: ٢٧.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) البحار ١: ١٢٠.

وعنه عليه السلام: (القلوب أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان، وقلب منكوس، وقلب مطبوع، وقلب أزهر أنور، قلت: ما الأزهر؟ قال: فيه كهيئة السراج، فأمّا المطبوع فقلب المنافق، وأمّا الأزهر فقلب المؤمن، إن أعطاه الله عزّ وجلّ شكر، وإن ابتلاه صبر، وأمّا المنكوس فقلب المشرك، ثمّ قرأ هذه الآية:

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1].

وأمّا القلب الذي فيه إيمان ونفاق فهم قوم كانوا بالطائف، فإن أدرك أحدهم أجله على نفاقه هلك، وإن أدرك على إيمانه نجا)[2].

---

(١) الملك: ٢٢.

(٢) البحار ٦٧: ٥٢، عن معاني الأخبار: ٣٩٥.

٩
القلب السليم

﴿ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[١].

كثير من العلاقات الاجتماعية في هذه الحياة الفانية إنّما تدور حول المال والبنون، فعند كثير من الناس إنّما مساعداتهم تناط بالمال والبنين، والله نفى ذلك في يوم القيامة على أنّ ذلك لو نفع فإنّه في الحياة الدنيا، وأمّا الحياة العقبى ويوم القيامة فإنّه لا ينفع مال ولا بنون لدفع المضرّات وجلب المنافع، فإنّهما من زينة الحياة الدنيا، فإنّ يوم القيامة يوم تبلى السرائر، وتنكشف الحقائق، ويكون بصرك يومئذٍ حديداً ونافذاً، فترى إنّما ينفع الإنسان لنجاته وعلوّ درجاته، وتزحزحه عن النار ودخوله الجنّة، هو القلب السليم الذي يلقى الله وليس فيه سواه ـ كما ورد في الخبر الشريف ـ فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا مساعدة بالمال والبنين:

﴿ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾[٢].

والسلم والسلامة التعرّي من الآفات الظاهرة والباطنة[٣]، فلا ينفع يوم القيامة على نحو الحصر والقصر إلّا القلب السليم، فالسعيد يوم القيامة من كان له

---

(١) الشعراء: ٨٧ ـ ٨٩.

(٢) الصافّات: ٢٦.

(٣) الراغب: ٢٤٥، مادّة سلم.

قلب سليم، والدنيا مزرعة الآخرة ومتجر أولياء الله، ففي هذه الدنيا نالوا هذا القلب المؤمن الطاهر السليم الغنيّ بغنى الله سبحانه. والذي يعمل الأعمال الصالحة كما في قوله تعالى:

﴿ المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾[١].

فالقلب السليم الذي يأتي الله يوم القيامة الذي لم يُشرك بالله وقد زهد في الدنيا وعمل صالحاً وهجر حبّ الدنيا، فإنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة. فلا ينفع المال والبنون والأنساب يوم القيامة، إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم، وهو خير تحفة وهدية إلهية يمنحها الله لخاصّة أوليائه وعباده المقرّبين.

وفي حديث عن رسول الله في علامة المخلص، فهي أربعة: يسلم قلبه (من الشرك والرياء وحبّ الدنيا وأهلها وزخرفها وزبرجها)، ويسلم جوارحه (من المعاصي والذنوب وما يكون فيه آفتها) وبذل خيره وكفّ شرّه[٢].

ثمّ العلماء ورثة الأنبياء فيرثونهم في قلوبهم السليمة:

﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[٣].

عن النبيّ الأكرم ﷺ أنّه سُئل: ما القلب السليم؟ فقال: دين بلا شكٍّ وهوىً، وعمل بلا سمعة ورياء[٤].

---

(١) الكهف: ٤٦.

(٢) البحار ١: ١٢١.

(٣) الصافّات: ٨٣ ـ ٨٤.

(٤) المستدرك ١: ١٢.

قال الإمام الصادق عليه‌السلام في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾: القلب السليم الذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه، وكلّ قلب فيه شكّ أو شرك فهو ساقط[1].

وقال عليه‌السلام: صاحب النيّة الصادقة صاحب القلب السليم، لأنّ سلامة القلب من هواجس المذكورات تخلص النيّة لله في الأمور كلّها، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

قال الإمام الباقر عليه‌السلام: لا علم كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب.

فإنّ المقصود من العلوم النافعة ما يكون فيه نجاة الإنسان وسلامته في الدارين، فلا علم كطلب السلامة والبحث عنها سلامة الدين والدنيا، ولكن لا سلامة كسلامة القلب فهو المقصود. فإنّ من سلم قلبه فلا يصدر منه إلّا ما فيه السلام والسلامة والسلم ويكون مظهراً لاسم الله السلام.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه‌السلام: لا يصدر عن القلب السليم إلّا المعنى السليم. وهذا يدلّ على الحصر، فإنّ القلوب إذا طهرت فإنّها تكون دار العلوم والحكمة.

فإنّه قد ورد في الخبر الشريف: القلوب إذا لم تخرقها الشهوات أو يدنّسها الطمع أو يقسّيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة[2].

وقال عليه‌السلام: لا يسلم لك قلبك حتّى تحبّ للمؤمنين ما تحبّ لنفسك.

وقال عليه‌السلام: أسلم القلوب ما طهر من الشبهات.

وفي غرر الحِكَم عن أمير المؤمنين عليّ عليه‌السلام: إذا أراد الله بعبدٍ خيراً رزقه الله

---

(١) البحار ٧٠: ٥٩.

(٢) البحار ١٤: ٣٢٧.

قلباً سليماً وخلقاً قويماً[١].

وقال عليه السلام: إنّ هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها.

أفضل القلوب قلب حُشّي بالفهم.

وقال عليه السلام: اعلموا أنّ الله سبحانه لم يمدح من القلوب إلّا أوعاها للحكمة، ومن الناس إلّا أسرعهم إلى الحقّ إجابةً.

فالقلب الممدوح في كتاب الله القلب السليم الذي يكون وعاءً للحكمة لم تبليه وتخرقه الشهوات المحرّمة، ولم يدنّسه الطمع أو يبطره ويقسيه النعم، وقد طهر من الشرك والكفر والشبهات، وامتلأ وحُشي بالفهم والعلم والدين والعمل الصالح، فكان حرم الله وعرشه وهو من أفضل التحف للمؤمن يوم القيامة، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم.

(جعلنا الله وإيّاكم ممّن يسعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته)[٢].

---

(١) ميزان الحكمة ٨ : ٢٢٢.

(٢) النهج : خطبة ١٦٥.

١٠
القلب المنيب

﴿ وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الخُلُودِ ﴾[1].

إنّ الله سبحانه في هذه الآية الشريفة يبيّن معنى قوله: ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ ﴾، فهو الذي يخشى الله في عذابه ونار جهنّم مع أنّه لم يرها فهي غائبة عنه، فيأتي الله بقلبٍ منيب يرجع إليه في كلّ أُموره وطول حياته، حتّى أصبح الرجوع إلى الله عنده ملكة راسخة، تتجلّى آثارها عند الموت، فيدخل الجنّة بسلام آمن، ليخلّد فيها متنعّماً بلا لغوب، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، وما لم يخطر على قلب البشر.

فمن أذنب فليرجع سريعاً إلى ربّه، ويتوب ممّا فعل ولا يعود، فإنّ الله هو التوّاب الرحيم يقبل التوبة من عبده المنيب الخائف، ومن تاب الله عليه فإنّه يدخل الجنّة بسلام خالداً فيها أبد الآبدين، وهذه بشرى تفرح قلوب المؤمنين والمتّقين، وتهوّن عليهم مصائب الدنيا وهوانها، وتسهّل عليهم مشاكلها وصعابها.

قال الرسول الأكرم محمّد ﷺ: إنّ لله آنية في الأرض فأحبّها إلى الله ما صفا منها ورقّ وصلب، وهي القلوب، فأمّا ما رقّ منها: فالرقّة على الإخوان، وأمّا ما صلب منها: فقول الرجل في الحقّ لا يخاف في الله لومة لائم، وأمّا ما صفا

---

(١) ق: ٣١ ـ ٣٤.

ما صفت من الذنوب[1].

والصفاء ابتداءً بأن لا يذنب أولى وأبلغ من الصفاء بعد الذنوب، وذلك بالتوبة والإنابة إلى الله سبحانه، وإن كان عزّ وجلّ يغفر الذنوب جميعاً إلّا ما أُشرك به، فإنّه ستّار العيوب غفّار الذنوب، والغفّار صيغة مبالغة تعني أنّ العبد مهما أذنب فإنّه لو رجع وتاب واستغفر فإنّ الله هو الغفّار الرحيم، وإنّه كريم الصفح، بمعنى أنّه يغفر الذنوب، بل يمحي كلّ الآثار ويكون الإنسان كيوم ولدته أُمّه، له قلب طاهر سليم، وصفحة بيضاء، فعليه أن يستأنف العمل وأن يملها بالصالحات.

ولا يخفى ـ كما مرّ ـ أنّ القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ وأشدّ من القصد إليه بالبدن، وحركات القلوب أبلغ من حركات الأعمال، فإنّه سبحانه وتعالى ينظر إلى القلوب لا إلى الصور والأموال، فعلينا أن لا نغفل عن ذكره، فإنّه من غفل قيّض الله له شيطاناً يغيّره ويضلّه ويغويه، ومن نسي الله نسي نفسه، فيشتغل بغير الذي من أجله خُلق، أي بغير العبادة وبغير الله فيصاب بالخفض والهوان والتوقّف عن المسير إلى الله سبحانه، وإنّما يفتح القلب لبركات الله لو رضي عن الله، وإنّما يرفع في أعلى علّيين لو ذكر الله:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾[2].

وكما في علم النحو إعراب وبناء، والإعراب رفع وفتح وخفض ووقف، فكذلك القلوب كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إعراب القلوب على أربعة أنواع: رفع وفتح وخفض ووقف، فرفع القلب في ذكر الله، وفتح القلب في الرضا

---

(١) البحار ٧: ٦٠.

(٢) النور: ٣٦.

عن الله، وخفض القلب في الاشتغال بغير الله، ووقف القلب في الغفلة عن الله[١].

فهلمّ أيّها الأصدقاء، يا إخوان الصفا إلى العلم النافع والعمل الصالح، ولنعرف الهدف في حياتنا ومماتنا، ونعرف المبدأ والمعاد، فإنّ كلّ إنسان لا يخلو من أهداف في حياته الفردية والاجتماعية، وأنّ الله يشير إلى ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[٢].

فلكلّ واحد ـ المسلم والكافر، الرجل والمرأة، الصغير والكبير، الحرّ والعبد ـ وجهة وأهداف، وهو المسؤول عنها فهو مولّيها. ثمّ حياته لها مبدأ ومنتهى، والمبدأ الأوّل هو الله سبحانه والمعاد إليه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، فهو الأوّل وهو الآخر، وقد جعل للإنسان صراطاً مستقيماً يوصل الإنسان لو سار فيه إلى المليك المقتدر، وإلى جنّة النعيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ونصب له في هذا الصراط الأضوية الوهّاجة والشموع المضيئة وهم الأنبياء والأوصياء وورثتهم العلماء الصلحاء، كما علّمه أن يكون له الهمّة العالية وأودع فيه ذلك، فلا يكتفي بالأدنى ولا تغرّه الدنيا الدنيّة، فإنّها دار ممرّ وليس دار مستقرّ، عليه أن يتزوّد منها بخير الزاد، وخير الزاد التقوى، فعلمه من خلال أدعية أنبياءه ورسله أن يطلب من الله أسنى المطالب وأعلاها سواء كانت دنيوية أو أُخرويّة مادّية أو معنوية: فهذا إبراهيم الخليل يطلب من ربّه أن يكون للمتّقين إماماً:

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾[٣].

---

(١) البحار ٧٠: ٥٥.

(٢) البقرة: ١٤٨.

(٣) الفرقان: ٧٤.

وفي طلب الدنيا يطلب سليمان من ربّه قائلاً:

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾[١].

وهاتان الآيتان تعلّمنا أنّه كيف نكون أصحاب همّة عالية، ولا نرضى بالدون والشيء الرديء، ففي المطالب الدنيوية نطلب من الله المُلك، وفي المعنوية نطلب منه أن نكون إماماً للمتّقين، بمعنى أنّ المتّقين بجانب والداعي بجانب، له ما لكلّ المتّقين، وهذا غاية المعنويات من الأعمال الصالحة، كما أنّ طلب الملك غاية المادّيات من الدنيا، ولكن هناك شيئاً عظيماً مهما بلغ الإنسان فيه، فإنّه لم يأتِ منه إلّا القليل، وهو العلم:

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[٢].

والله سبحانه يأمر نبيّه الأكرم أن يدعوه بقوله:

﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[٣].

وهذا يعني أنّ العلم لا نهاية له، فإنّ العلم هو الله سبحانه، وأنّ الله واجب الوجود مستجمع الصفات الكمالية بلا حدّ ولا نهاية، وأنّ العلم من الصفات الذاتية، فهي عين الذات كما هو الحقّ، خلافاً لمن يقول بزيادته على الذات، فإنّه يلزمه تعدّد القدماء، كما هو ثابت في محلّه.

فالإنسان إذا كان هدفه الله وله مثل هذه الهمم الراقية والبليغة، لا يشبع من طلب العلم، ولا يفتر من عبادة ربّه، فينيب إليه بقلب منيب، ويهتدي إليه بكتب الله

---

(١) ص: ٣٥.

(٢) الإسراء: ٨٥.

(٣) طه: ١١٤.

ورسله، ويدخل الطرق والسبل الإلهية التي تنتهي إلى الصراط المستقيم ويجاهد في الله جلّ جلاله:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[1].

وإذا انقطع السبيل عن الصراط فإنّه يكون من سُبل الشيطان وسبل الطغاة، كما رسم النبيّ الأكرم ﷺ يوماً لأصحابه على الأرض خطاً مستقيماً، وخطوطاً أُخرى عن اليمين وعن الشمال مقطوعة من الخطّ الأوّل، فسأل عن ذلك فقال: هذا طريق الله وصراطه المستقيم، وهذه سبل الشيطان.

فالإنسان إمّا أن يكون في خطّ الشيطان وله أهداف شيطانية وعاقبة أمره الذلّ والخسران في الدنيا والآخرة، وإمّا أن يكون في خطّ الرحمن ذو أهداف إلهية، وعاقبة أمره النصر والفوز بالجنان، وهذا غير بعيد يوم تزلف الجنّة للمتّقين، هذا ما وعد الله كلّ أوّاب إليه وحافظ لعهوده الذي يخشى الله بالغيب وجاء بقلبٍ منيب، فيدخل الجنّة بسلام، وذلك يوم الخلود.

وجاء الإسلام العظيم ليجعل قلوب معتنقيه قلوباً منيبة راجعةً إلى بارئها، وتعرف كيف تعيش وكيف تموت، وتنظّم حياتها وفق الأحكام الشرعيّة الدينية، وتصل إلى الحياة المعقولة في علائقها الأربعة: مع الربّ، ومع النفس، ومع الناس، ومع العالم الوجودي، فتصل إلى كمالها وسعادتها في الدنيا والآخرة، فتدبّر.

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

١١
القلب المؤمن

﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾[١].

إنّ الله سبحانه في هذه الآية الشريفة ينفي الإيمان عن قلوب أقوام اتّصفوا بهذه الصفة، أنّهم يودّون من يحارب الله، كآكلي الربا والكافرين والمشركين وأعداء الله، حتّى لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم، أي أقرب الناس إليهم، بل حتّى ولو كان من عشيرته، فإنّه لا يتعصّب لقبيلته وعشيرته، ويقدّم فاسقهم على المؤمن، بل عنده الملاك هو الإيمان بالله وتقوى القلوب:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٢].

فالذي اتّقى ربّه وعمل صالحاً فإنّ الله كتب في قلبه الإيمان، وأيّده ونصره بروحٍ منه، ففي الدنيا لا يوادّ الذين كفروا وحادّوا الله ورسوله أبداً، حتّى ولو كان أقرب الناس إليه، ونتيجة إيمان قلبه أنّه في الآخرة يدخل جنّات عدنٍ وفراديس تجري من تحتها الأنهار خالداً فيها، لأنّ الله رضي عنهم كما هم رضوا عن الله،

---

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) الحجرات: ١٣.

ووصلوا إلى مقام الرضا والتسليم لأمره، فأُولئك حزب الله حقّاً، وأُولئك هم المفلحون في الدنيا والآخرة. ومن كتب في قلبه الإيمان فإنّه لا يزول ذلك فيكون مستقرّ الإيمان، ويؤيّد بتأيّدات إلهية في حياته العلمية والعملية، الفردية والاجتماعية. فإنّه يكون مؤيّداً بجبرئيل والقرآن والحجّة والبرهان، فتحدّثه الملائكة، ويُلهم فعل الخيرات بروح منه، بعد كمال قوّته الإنسانية والإيمانية.

فالقلب المؤمن يعادي أعداء الله ويوالي أولياء الله، ولا يتهاون في إقامة دين الله وحكومته، ويبذل النفس والنفيس من أجل ذلك:

﴿ إِنْ تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[1].

فالقلب المؤمن له علامات: ومن أهمّها التولّي لله ولما فيه وعليه اسمه، والتبرّي من أعدائه، وما ليس عليه اسم الله عزّ وجلّ.

كما هناك علائم وأمارات أُخرى كثيرة، كما جاء ذلك في الأحاديث الشريفة والقرآن الكريم.

---

(١) محمّد ﷺ: ٧.

١٢
القلب المهتدي

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١].

المصيبة حالة نفسية تتولّد عند الإنسان عندما يتأثّر بحادثة وواقعة أليمة كفقد الولد والوالد وخراب الدار ونقص الثمرات.

والإذن من الله بمعنى إعلام الرخصة الإلهية، وعدم المانع من وقوع المصيبة، ولازمه العلم بالمصيبة.

والإذن هنا إذناً تكوينياً، فكلّ شيء في عالم الكون يقع بـإذن الله سبحانه وعلمه، فالمصيبة الواقعة إنّما تكون بإذنه التكـويني، وإن لم يأذن بهـا شرعاً، أي بالإذن الشرعي كظلم الظالم، فإنّ الظلم قبيح وممنوع عقلاً وشرعاً ولم يأذن الله به، ولكن في عالم التكوين لو وقع الظلم على المظلوم فإنّه بإذن الله، ومن هذا المنطلق بعض المصائب لا تتحمّل والصبر فيها لا يجوز، بل يلزم ويجب على المرء أن يقاوم ويدفع تلك المصيبة كالظلم، بل من قتل دون ماله وعرضه فهو شهيد، فالمصائب التي تكون من يد الإنسان لا بدّ من مقاومتها، وأمّا المصائب التي تكون مـن الله سبحانه كالموت والمرض والطاعة والمعصية، فلا بدّ من الصبر عليها، ويثاب على ذلك، ويبشّر بجنّات تجري من تحتها الأنهار.

---

(١) التغابن : ١١.

فمن يؤمن بالله يهديه الله بقلبه إلى ما يلزمه من العمل أمام المصائب على اختلافها وأشكالها، فإنّ الله يعلم بالمصائب التي ترد على الإنسان وتعلّقت مشيّته بذلك، فلا تصل الحوادث والوقائع للإنسان إلّا بعلم الله ومشيّته، فلا تستقلّ العوامل الطبيعية في سير الحوادث، بل تنتهي العلل والمعاليل كلّها إلى العلّة الأُولى علّة العلل وهو الله سبحانه واجب الوجود لذاته المستجمع لجميع الصفات الكمالية والجمالية والجلالية، ومن يعتقد بوحدانية الله سبحانه، يعتقد بأنّ المؤثّر الأوّل هو الله جلّ جلاله، وليس في الدير ديّارٌ إلّا هو.

وإذا وقف الإنسان على هذه الحقيقة ولمسها بكلّ وجوده، واعتقد بها بتمام قلبه، ووجدها بعد أن علم بها، فإنّه بلا ريب يطمئنّ قلبه ويرتاح باله، ويعلم أنّ أزمّة الأُمور طرّاً بيده سبحانه وتعالى، ولا يفعل الحكيم العالم القادر إلّا بالحكمة وما فيه المصلحة، فقلب المؤمن يهتدي إلى هذه الحقيقة، عند المصيبة يتجلّى له حقيقة:

﴿ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[1].

فيجريها على لسانه ليحكي ما في قلبه من الاعتقاد الصحيح.

فالمؤمن قلبه المهتدي يهديه إلى ما يلزمه من العمل، ففي مثل المصيبة التي تكون من ربّه يصبر ولا يجزع، لأنّه يعلم أنّ الله إنّما فعل ذلك لحكمة ومصلحة، وأمّا مثل المصيبة التي تكون من يد الإنسان كالظلم، فإنّه يقاومها ويحارب الظالم ولا يرضى بالخنوع والذلّ، بل منطقه (هيهات منّا الذلّة)، و (لا أُعطيكم بيدي إعطاء العبيد)، وأمّا في مثل النعم الإلهية فيشكر الله سبحانه على ما أجاد وأنعم، فقلبه المهتدي يكون هاديه إلى ما يجب عليه من العمل. فيقاوم الظلم ويقارعه

---

(١) البقرة: ١٥٦.

ويصبر على المصائب ويشكر النعم ويقيم حدود الله ويتورّع عن المحارم.

ومن رزقه الله قلباً مهتدياً فإنّه ينشرح صدره للإسلام. قال الله تعالى:

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾[1].

وفي تفسير مجمع البيان في ذيل الآية الشريفة: قد وردت الرواية الصحيحة أنّه لمّا نزلت هذه الآية يعني (فمن يرد الله أن يهديه...) سُئل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر ما هو؟ فقال: نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح.

(ولا يخفى أنّ هذا النور هو نور العلم الإلهي، فقد ورد في الحديث الشريف: ليس العلم بكثرة التعلّم إنّما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من أراد الله أن يهديه).

قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال ﷺ: نعم، الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت[2].

وكان الإمام الكاظم عليه السلام يدعو في سجوده: «اللهمّ ارزقني التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت».

وفي المناجاة عن الإمام زين العابدين عليه السلام: إلهي، فاجعلنا من الذين توشّحت (ترسّخت) أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم... وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم في ضمائرهم، وانتفت مخالجة الشكّ عن قلوبهم وسرائرهم، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم[3].

---

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) مجمع البيان ٤: ٣٦٣.

(٣) البحار ٩٤: ١٥٠.

الفصل الثامن

القلوب المذمومة في القرآن الكريم

بعدما عرفنا إجمالاً القلوب الممدوحة في القرآن الكريم وهي القلوب التي آمنت بالله ورسوله وكتبه واليوم الآخر، وعملت بالأحكام الإلهيّة من الأوامر والنواهي، وتجنّبت الصفات الذميمة، وامتلأت بحبّ وولاية الله وأوليائه، والتبرّي من أعداء الله وأعداء أوليائه، فتصبّغت بصبغة الله، وكانت حرم الله، فطهرت، وسلمت، وخشعت، وأنابت، وألفت، وخافت، واتّقت، واطمأنّت، وعقلت، واهتدت، فكانت عرش الرحمن، وإنّ السماوات والأرض لا تسع الله، ولكن وسعه قلب المؤمن ـ كما ورد في الحديث القدسي ـ.

بعدما عرفنا هذا ولو إجمالاً، فقد حان الموعد أن نقف على القلوب المذمومة في القرآن الكريم، وذلك على سبيل الإشارة والخلاصة أيضاً، لنصلح أنفسنا، ونهذّب قلوبنا، ونطهّرها ممّا يوجب رجاستها، ونحفظها من انحطاطها واضمحلالها.

والقلوب المذمومة في القرآن أكثر من الممدوحة، وهذا يعني أنّ قليل من عبادي الشكور، وتجد أكثرهم غير شاكرين، وإنّهم لا يفقهون، فتدبّر.

فالقلوب المذمومة كما يلي:

١
القلب الآثم

﴿ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾(١).

أداء الشهادة لإثبات حقّ إنّما هو واجب كفائي، فإذا ترك الجميع فقد أثموا، وإن قام من به الكفاية فإنّه يسقط الوجوب عن الباقي، فمن وجب عليه أداء الشهادة لو امتنع عن ذلك وكتمها فإنّه آثم قلبه، أي يدلّ ذلك على أنّ قلبه قلب أثيم ومذنب، والله يعلم بكلّ ذلك، وبما يفعله الإنسان.

والآية وإن كان شأن نزولها في الدَّين، على أنّ من علم بالدين عليه أن يشهد حتّى لا يضيع حقّ الدائن، إلّا أنّ المورد لا يخصّص، بل كلّ من يكتم حقّاً مهما كان، فإنّ ذلك يدلّ على أنّ قلب الكاتم قلب آثم يمنع عن وصول الثواب والحقّ إلى أهله. وكلّ من كتم الحقّ سيبتعد عن الحقّ، وأنّ الله هو الحقّ كما في قوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾(٢).

﴿ فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ ﴾(٣).

---

(٢) البقرة: ٢٨٣.

(٢) فصّلت: ٥٣.

(٣) طه: ١١٤.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ ﴾[1].

فالقلب الآثم هو القلب الذي يرتكب الذنب والمعصية والإثم، الملازم لاتّباع الهوى وطول الأجل، المعبّر عنه بالرجس تارةً وبالرجز أُخرى، الموجب لضيق القلب وختمه، ورين الصدر وطبعه، وزيغ الروح وقفله، لأنّ الذنب حجاب بين الإنسان المبتلى به وبين الحقّ الذي من أظهر مصاديقه القرآن الذي بالحقّ أنزله الله وبالحقّ نزل. والناقص لا يمسّ كرامة الكامل مادام ناقصاً.

(١) الحجّ : ٦.

٢
القلب المتكبّر

﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[1].

هذه الآية الشريفة تفسّر قبلها ومعنى المرتاب المريب في قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾[2] فإنّ الذي يبذّر في حياته ويسرف وهو شاكّ ومرتاب، فإنّه يعرض عن الحقّ ويتبع هوى نفسه، فلا يعتمد على ما فيه العلم والمنطق والحجّة والبرهان، فيجادل في آيات الله بغير سلطان من العلم، فمثل هذا قد طبع الله على قلبه، فلا يستمع لكلام الحقّ، ويتجبّر ويتكبّر على الآخرين، فهذا من صفات كلّ قلب متكبّر جبّار.

أمّا القلب المؤمن المتواضع للحقّ فإنّه يقبل ما فيه الدليل والبرهان (نحن أبناء الدليل أينما مال نميل)، ومن لم يقبل الحجّة فقلبه قلب متكبّر ومن الطغاة الجبابرة، فيطبع على قلبه، فلا يؤثّر فيه نصيحة الواعظين، وينكر الحقائق والواقعيات، ويتخلّف عن كسب المعارف الإلهية، ويجادل بغير علم.

---

(١) المؤمن: ٣٥.

(٢) المؤمن: ٣٤.

٣
القلب المجرم

﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ * كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾[١].

إعلم أنّ طائفة من الناس من عادتهم، أنّه ما يأتيهم من رسول من الآيات والبراهين إلّا كانوا به يستهزئون، فلا يوقّرون الأنبياء والرسل ومن يحذو حذوهم من العلماء والصالحين.

والسلوك بمعنى النفوذ، ومنه سلك الخيط في الإبرة أي نفد، فسلك الطريق أي نفذ فيه، فالذين يستهزئون بالمقدّسات الإلهية، إنّما هم من الضالّين المضلّين، ومن المجرمين الذين نفذ في قلوبهم الضلال نتيجة عدم إيمانهم الذي ظهر في سلوكهم واستهزائهم.

فوضع رسالة النبيّ الأكرم محمّد ﷺ وذكره وقرآنه كالأنبياء من السلف وقومهم، فإنّهم منهم من كان يستهزئ بهم، فالله سبحانه يسلك في قلوب المجرمين الذكر والقرآن، إلّا أنّهم لا يؤمنون به لما عندهم من القلوب المجرمة، فيرتكبون الجرائم كقتلهم الأنبياء والاستهزاء بما يأتيهم من رسول. أو أنّه سبحانه يسلك في قلوبهم الشرك والاستهزاء للأعمال التي فعلوها من قبل من المعاصي والقبائح حتّى أصبحت قلوبهم قلوب المجرمين.

---

(١) الحجر: ١١ ـ ١٢.

فمن لم يؤمن بالله فإنّه يشرك به، فيستهزئ بأنبياء الله ورسله، ويـنفذ هـذا المعنى في قلبه، نتيجة لما ارتكبه من الجرائم والمآثم من قبل:

﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ ﴾[1].

ومن كان له قلب مجرم فإنّه لا يقبل الحقّ فيضلّ عن الصراط المستقيم، وله الخزي في الدنيا، وله في الآخرة عذاب عظيم.

---

(١) الروم: ١٠.

٤
القلب المعتدي

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ المُعْتَدِينَ ﴾[١].

إنّ الله أرسل رسله وأنزل كتبه لهداية الناس، وليقيموا بالقسط، ولتكون لله الحجّة البالغة، إلّا أنّ الناس غالباً كانوا يكذّبون أنبياء الله وسفرائه، ويطالبونهم بالمعجزات والبيّنات، فكانت تظهر على أيديهم المعاجز ليثبت صدقهم، إلّا أنّ فريقاً من الناس ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل، لأنّ لهم قلوب معتدية ومتجاوزة لحدود الله، فما كانوا يطيعون الله، وكان الاعتداء والتجاوز أصبح لهم طبيعة ثانوية فما كان يهون عليهم ما كذّبوه من قبل، فطبع الله على قلوبهم فما كانوا من المؤمنين.

فالأنبياء دعوا الناس إلى توحيد الله ونفي الطواغيت والجبابرة، ولكنّ المستكبرين لا يحلو لهم ذلك، ودعوة الأنبياء لا تتلاءم مع ملاذّهم واستكبارهم واستعبادهم الناس واستثمار جهودهم واستحمارهم، فكانوا يحاربون الأنبياء، ولا يرضون بما عندهم من الحجّة والبراهين، بل يطالبونهم المعاجز، ومع هذا كانوا لا يؤمنون بما كذّبوه من قبل، فقست قلوبهم من التجاوز والاعتداء على حقوق الله وحقوق الناس فطبع الله على قلوب المعتدين.

---

(١) يونس: ٧٤.

فمن العوامل التي توجب أن يطبع الله على قلب، فلا يهتدي إلى ما هو الحقّ، هو الاعتداء والتجاوز على الحقوق، ومن يرى المعجزة ولا يؤمن، فإنّ ذلك علامة أنّ له قلب معتدٍ ومتجاوز، فلا يقبل الحقّ والمعارف الإلهية، وينكرها ويخالفها ويشنّ الهجوم عليها وينسب أربابها إلى السحر أو غير ذلك.

٥
القلب المقفّل

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّـرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[١].

الاستفهام في هذه الآية الشريفة استفهام توبيخي، وضمير الجمع في قوله (يتدبّرون) يرجع إلى أُولئك الذين ذكرهم الله سبحانه في الآيات السابقة، وهم:

١ ـ المنافقون ومن كان قلبه مريضاً فيرجع إلى الكفر بعد الإيمان.

٢ ـ الذين غرقوا في غرورهم وكبريائهم واتّبعوا أهواءهم حتّى آل أمرهم إلى عدم فهمهم كلام الحقّ.

٣ ـ من كان ضالاً.

٤ ـ من لم يستمع إلى الحقّ.

٥ ـ المشركون بالله.

٦ ـ من ختم الله على قلبه لما فعله من المآثم والذنوب كالشرك.

٧ ـ الذين لم يخرجوا إلى ساحة الجهاد.

٨ ـ تركوا الدين وأعرضوا عنه، فأفسدوا في الأرض، وارتكبوا الجرائم من القتل والنهب.

٩ ـ هتكوا أعراض الناس.

١٠ ـ انحرفوا عن الصراط المستقيم.

---

(١) محمّد ﷺ: ٢٤.

وتنكير القلوب في الآية الشريفة إشارة إليهم وإلى أمثالهم، فالله سبحانه يدعوهم إلى أن يتدبّروا القرآن الكريم ويتأمّلوا في آياته حتّى يتبيّن لهم الحقّ، ولكن أنّى لهم ذلك وقد قُفلت قلوبهم بأقفال شيطانية، فكيف يدخل الحقّ إلى مثل هذه القلوب المقفلة حتّى يقضوا ما عليهم من الحقّ، فقفلت قلوبهم عن المعرفة، ثمّ الايمان، ثمّ العمل الصالح، وهذه أركان الأقفال في القلوب المقفلة والمغفّلة.

فمن كان منافقاً فقد قفل قلبه عن المعارف، فاستكبر واستعلى وتبع هواه فضلّ وأضلّ، وأشرك بالله ولم يتدبّر آياته، ولا يبالي في هتك أعراض الناس ونهب أموالهم وسفك دمائهم.

«ثمّ المستفاد من هذه الآية ـ عدا حجّية ظواهر القرآن وإمكان استنباط المعارف منه، وعدا التحريض والترغيب إلى التدبّر والتأمّل فيه ـ هو أنّ المتدبّر فيه هو القلب المجرّد دون القالب وهو الحسّ المادّي، وأنّ له باباً يفتح تارة ويقفل ويغلق أُخرى، وأنّ للقلب قفلاً خاصّاً به يقفل، وأنّ الكفر والنفاق ونحو ذلك من الحجب الظلمانية أقفال للقلب، مانعة له عن التدبّر في القرآن، وأنّ الايمان والخلوص ونحو ذلك من الأوصاف الوجودية الكمالية مفاتيح للقلب، شارحة له ومصحّحة لأنّ التدبّر في القرآن، لولا الذنب الحاجب المعدود قفلاً للقلب... فالمراد من كون الذنب مانعاً، هو انّ المذنب لمّا ولّى وجهه شطر الباطل، واشتاق إليه، واغترّ به، لا يميل إلى التدبّر في القرآن الهادي له إلى الحقّ والابتهاج به والاتّقاء عن الباطل والغرور به... وكما أنّ الذنب والرجس والرجز والدنس وما إلى ذلك من العناوين الدارجة في لسان الثقلين، مانع عن التأمّل في نظام الكيان والتفكّر في الآيات التكوينية، كذلك حاجب عن التدبّر في فحاوي الآيات التدوينية والاستنباط منها... إنّ الذنب حجاب عن المشاهدة الفكرية لقوم والمشاهدة القلبية لقوم آخرين. إذ الفطرة التي

فطر الله الناس عليها شاهدة للحقّ حاكية إيّاه، والذنب غبار على هذه المرآة الصافية، فهو ـ أي الذنب ـ حجاب مانع عن المعرفة الفطرية من جهة وعن المعرفة الفكرية من جهةٍ أُخرى، وعن المعرفة الشهودية الكاملة من جهةٍ ثالثة، فلذا يصحّ استناد الحَجْبِ إليه في مباحث شتّى»[1].

فنزول البركات العينية والعلمية مشروط بالتقوى وإخلاص العمل لله، وممنوع بالذنب والإعراض عن ذكر الله ونحو ذلك. وربما المستفاد من هذه الآية الشريفة أنّ الحرمان عن الرزق العلمي مستند إلى قفل القلب وانغلاقه، لا إلى غلق باب الرحمة الإلهية، لأنّه مفتوح دائماً وينزل منه الفيض العلمي كالعيني أبداً، وإنّما التفاوت من ناحية القابل لا الفاعل، فهو سبحانه دائم الفيض على البريّة، وإن كان المذنب مقفول القلب محروماً منه، فهو وإن خرج بما عنده من العلم وحسب أنّه يحسن صنعاً، ويقول إنّما أُوتيته على علم كقارون، ولكنّه في حجاب وكنان لا يشعر به، وهذا الكنان من القابل بسوء اختياره، فكلّ ما يمنع الإنسان عن أصل التدبّر في القرآن، ويجعله فارّاً منه منزجراً عنه أو يمنعه عن الفقه، وإن تدبّر أو استمع القرآن وأنصت إليه، فهو رجس، وأنّ كلّ من ابتلي بمقدار منه فهو بذلك المقدار محجوب عن التدبّر والتفقّه، وكلّ من برئ منه رأساً، وتنزّه من جميع أنحائه وأقسامه الراجعة إلى العلم أو العمل، فهو حريّ بأن يتدبّر في القرآن ويتفقّهه.

---

(١) عليّ بن موسى الرضا والقرآن الكريم: ٧١ ـ ٧٣.

٦
القلب المتعصّب

﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾[1].

الحمّى الحرارة المتولّدة من الجواهر المحميّة أي البواطن الحامية والحارّة كالنار، وعبّر بها عن القوّة الغضبية، فيقال: حميت على فلان، إذا غضب عليه، فلمّا تزداد القوّة الغضبية وتفور تسمّى بالحميّة.

فكفّار قريش منعوا المسلمين أن يدخلوا مكّة المكرّمة، وامتلأت قلوبهم من الغضب والحميّة حميّة الجاهلية العمياء، إلّا أنّ الله سبحانه تفضّل على رسوله وعلى المؤمنين بالسكينة والطمأنينة والوقار والحشمة، وألزمهم أي لازمهم كلمة التقوى كلمة التوحيد، ونفي ما سوى الله سبحانه، وثبتوا على العهد والميثاق والأعمال الصالحة، وتزيّنوا بروح الإيمان التي تأمرهم دوماً بالتقوى، فهم أحقّ بها وهم من أهل التقوى، وإنّما كانوا أحقّ بها من غيرهم لما عندهم من الاستعدادات التي أهّلتهم لكسب التقوى والالتزام بها، وذلك بالأعمال الصالحة من إتيان الواجبات وترك المحرّمات، وكان الله بكلّ شيء عليماً. فمن كفر سرعان ما يغضب لكلّ شيء ويعيش حالة العصبية والحميّة وتأخذه العزّة بالإثم، ومن كان له قلب متعصّب كدعاة القومية فإنّهم من أبناء الجاهلية ويكونوا من الكافرين.

---

(١) الفتح: ٢٦.

٧
القلب الغيظ

﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

أمر الله المؤمنين أن يجاهدوا في سبيله ويقاتلوا الكفّار والمشركين، فإنّهم أيدي الله سبحانه، وبأيديهم يقتلوا المشركين، فإنّهم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وطعنوا في الدين، فأمر الله المؤمنين أن يقاتلوا أئمة الكفر وكبرائهم وعمدتهم، إنّهم لا أيمان لهم، ولعلّهم ينتهون من طغيانهم وجورهم، فإنّهم همّوا بإخراج الرسول من دياره، وبدأوا القتال أوّل مرّة فقاتلوهم يعذّبهم الله بأيديهم ويخزهم وينصركم عليهم ويشفِ صدور قومٍ مؤمنين، وإذا ملئت قلوبهم غضباً وغيظاً على المؤمنين، فإنّه بقتلهم يذهب غيظ قلوبهم، وإذا تاب واحد منهم، فإنّ الله يتوب على من يشاء، والله عليم بالتائبين، وحكيم بما يفعل.

فالله سبحانه يشوّق المؤمنين بهذا الأمر على القتال والجهاد، بأنّ المشركين يقتلون بأيديهم، وأنّه يُخزيهم في الدنيا، والله ينصر عباده عليهم، ويشفِ صدور المؤمنين بالنصر المؤزّر.

---

(١) التوبة : ١٥.

٨
القلب المنافق

﴿ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[١].

إذا عاهد الإنسان ربّه فعليه أن لا يخلف عهده ووعده، وإذا تفضّل الله على عبد فضلاً فلا يبخل به، ولا يعرض عنه ويتولّى، فإنّ ذلك من علائم النفاق في القلوب، فمن بخل عمّا تفضّل الله عليه، فإنّه يصاب بنفاق القلب ويدوم معه حتّى يوم القيامة، يوم يلقى الله سبحانه، فإنّه تخلّف عمّا وعد الله به وكذب بذلك، فخُلف الوعد والكذب من النفاق كما ورد في الخبر الشريف: للمنافق ثلاث علامات وإن صلّى وصام: إذا حدّث كذب، وإذا أوعد أخلف، وإذا ائتُمن خان، وإذا كان مؤمناً ويرتكب هذه الذنوب فهو منافق في العمل، ويقابل النفاق العملي النفاق في العقيدة.

ثمّ ربما يعرض النفاق بعد الإيمان كما يعرض الكفر والارتداد، كما في قوله تعالى:

﴿ أنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ ﴾[٢].

والآية الأُولى نزلت في ثعلبة عندما طلب من النبيّ أن يدعو الله له بالمال،

---

(١) التوبة: ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) الروم: ١٠.

ووعد النبيّ أن يؤدّي حقّه، ولمّا صار له المال الكثير والأغنام حتّى خرج من المدينة لرعيها، ولم يتوفّق لحضور صلاة الجماعة والجمعة، وبعث النبيّ جابياً لأخذ الزكاة منه، فبخل عن ذلك، فنزلت الآية الشريفة[1].

فالبخل علامة النفاق وكذلك خلف الوعد والكذب وتكذيب الآيات الإلهية ولو في الباطن.

فالمنافق يقول بفيه ولسانه ما ليس في قلبه وصدره، كما في قوله تعالى:

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأعْرَابِ شَغَلَتْنَا أمْوَالُنَا وَأهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِألْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً ﴾[2].

الأعراب اسم جمع لا مفرد له، وهم من يسكنون البوادي، سواء كان من العرب أو من العجم، فلا يطلق على الحضري ومن يسكن المدائن. فهؤلاء لم يحضروا ساحات الحرب والوغى، ولمّا رجع النبيّ الأكرم ﷺ من القتال والجهاد أخذوا يعتذرون له بأنّ أموالنا وأهلنا حيث لم يكن لهم قيّماً وراعياً شغلتنا عن حضور الجهاد، إلّا أنّ أُولئك يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فهم يكذبون، ما لهم كيف يحكمون، فمن يملك لهم من الله شيئاً إذا أراد بهم ضرّاً. وإنّما قالوا استغفر لنا، فإنّهم يعلمون أنّ ترك الجهاد ذنب، وحبّ الأولاد والمال لا يمنع من الجهاد، إلّا أنّهم لم يصدقوا في مقالتهم هذه، وإنّما قالوا ذلك ليستروا على فعلهم القبيح والشنيع. فهم من المنافقين، ولا يقبل منهم الأعذار الواهية، ولا ينفعهم الدعاء، وإنّما الخير

---

(١) الميزان ٩ : ٤٧٣.

(٢) الفتح : ١١.

والضرّ والحياة والمات بيد الله سبحانه.

قال جلّ جلاله:

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾[١].

إنّ الله أمر المؤمنين أن يجاهدوا في سبيل الله وإقامة دينه، وخاطب المنافقين أن يقاتلوا في سبيل الله، أو يدفعوا عن عرضهم وماهم إن لم يجاهدوا في سبيل الله، فيقولون كلاماً فارغاً لا يتجاوز ألسنتهم وأفواههم، فيقولون ما ليس في قلوبهم، وقد غفلوا أنّ الله عليمٌ بذات الصدور وما في قلوبهم، فهؤلاء يومئذٍ للكفر أقرب من الإيمان.

فكلّ من يقول بلسانه من الحقّ ما لا يعتقده بقلبه فهو منافق، ثمّ يحاول أن يزيّن عمله تمسّكاً بأعذار واهية وكلمات فارغة وحجج ركيكة، فليس له إلّا الخزي والعذاب.

قال النبيّ محمّد ﷺ: حبّ المال والشرف ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل[٢].

عن كليب الصيداوي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ضرب العيدان ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الخضرة[٣].

---

(١) آل عمران: ١٦٧.

(٢) بحر المعارف: ٥٣٥.

(٣) الوسائل ١٢: ٢٣٣.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: استماع اللهو والغناء ينبت النفاق كما ينبت الماء الزرع[1].

فمن يستمع الأغاني والموسيقى سرعان ما يبتلى بالنفاق، ولا يحمد عقباه، ولا يختم له بالخير، بل من أعرض عن ذكر الله فإنّ له معيشة ضنكاً، واستماع اللهو والموسيقى والغناء ممّا يميت القلب وينبت النفاق، وبعد سنين يحصد الندم والضياع وعاقبة السوء.

---

(١) الوسائل ١٢ : ٢٣٦.

٩
القلب المقطوع

﴿ لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

المتّقي يبني بنيانه على التقوى والعمل الصالح وطلب مرضاة الله، فيحيى حياة طيّبة ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾[٢]، ولكنّ المنافق لا يزال بنيانه مبني على الاضطراب القلبي والريبة والشكّ في قلبه، حتّى يتقطّع قلبه فيزول منه الشكّ بزوال قلبه، والله عليم بما يفعله المؤمن والمنافق، وحكيم في أفعاله، بأن يرفع المتّقي ويضع المنافق.

فما يفعله المنافق إنّما هو مع الشكّ والاضطراب وتشويش البال، فلا يدوم عمله، وإنّه يعيش بذلّة وخسّة، فمن كان له قلب منافق فلا يعيش باطمئنان، بل حياته كلّها قلق، حتّى يصل به الأمر أن يكون قلبه قطعة قطعة، فحينئذٍ يزول الشكّ والريبة منه. ويستولي عليهم التيه والضلال والانحطاط وخسران الدنيا والآخرة.

---

(١) التوبة : ١١٠.

(٢) النحل : ٩٧.

١٠
القلب الغليظ

﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فَإذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ ﴾[1].

رحمة الله شملت الأنبياء والأولياء ومن يحذو حذوهم، وخاتم النبيّين محمّد ﷺ، برحمة من الله أُتحف بقلب رؤوف وليّن، لأنّ القائد المصلح لو كان فظّاً وغليظ القلب فإنّ الرعيّة تفرّ منه وتنفضّ من حوله، بل عليه أن يعفو عمّن أساء إليه، إذ الإساءة إنّما كانت من جهله، ثمّ يستغفر الله له، بل ويشاركه في أُموره فيشاوره، وكأنّما يعطيه شخصيّة اجتماعية بأن يجلس مع القائد ليتشاور في الأُمور، ولكن إذا عزم القائد على أمر وبتّ فيه وجزم بعدما شاورهم وأخذ الأصوب منهم، فعليه أن يتوكّل على الله ويقدم على العمل، وإنّ الله يحبّ المتوكّلين فيهديهم إلى ما فيه الخير والصلاح.

ثمّ كان الخطاب مع المسلمين بأنّ الله جعل نبيّه رحيم القلب وليّن الكلام، وأمره أن يعفو عنهم ويستغفر لهم ويشاورهم في الأمر، إلّا أنّ الخطاب توجّه إلى النبيّ الأكرم ﷺ لأنّهم عند قتل أحبّائهم نسبوا ذلك إلى النبيّ فآذوه في الكلام، فأعرض الله عنهم وخاطب نبيّه، بأنّه إذا كان حالهم يشبه ما يفعله الكافرون،

(١) آل عمران : ١٥٩.

وتحسّرهم على قتلاهم، فبرحمة منّا لنت لهم، وإلّا لانفضّوا من حولك.

فمن كان فظّاً وخشن الكلام وكريه الخلق وغليظ القلب بلا رحمة ولا شفقة، فإنّ الناس يبتعدون منه وينفضّوا من حوله، ويبقى وحيداً في حياته الاجتماعية، والمؤمن إنّما هو إلف مألوف، هشّ بشّ، بشره في وجهه وحزنه في قلبه، فالناس يحبّونه وينصرونه، وكان النبيّ الأكرم ﷺ أُسوة حسنة وقدوة صالحة في مثل هذه الأخلاق الطيّبة:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

---

(١) القلم: ٤.

١١
القلب الغامر (الغافل)

﴿ وَلا نُكَلِّفُ نَفساً إلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾[١].

الغمر لغة بمعنى : إزالة الشيء، والغمرة معظم الماء الساترة لمقرّها، وجعل مثلاً للجهالة التي تغمر صاحبها[٢].

إنّ الله سبحانه رفقاً بعباده ومن اللطف الإلهي لا يكلّفهم إلّا بما في وسعهم، فهو الذي خلقهم وهو أعلم بهم، وإنّما يكلّفهم لنفعهم ولتعريضهم الثواب، فإنّ التكاليف الإلهية من الواجبات والمحرّمات إنّما هي لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، فإنّ لله سبحانه كتاباً ينطق بالحقّ وهو القرآن الكريم، ولا يظلم أحداً إنّما الناس يظلمون أنفسهم، بل قلوب الذين لا يؤمنون في غفلة وغمرة من هذا القرآن الكريم، فإنّ القلب إذا غشيه الغفلة، فإنّه ينكر الحقّ ويعاديه. وفي الحديث : أمّا علامة الغافل فأربعة : العمى والسهو واللهو والنسيان[٣].

إنّ الله سبحانه يشوّق الناس إلى كسب الفضائل والاتصاف بالأخلاق الحميدة والصفات المجيدة، ولا يتصوّر أحد أنّ ذلك فوق طاقة الإنسان، بل دفعاً

---

(١) المؤمنون : ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) المفردات : ٣٦٥.

(٣) البحار ١ : ١٢٢.

لمثل هذا التوهّم قال الله سبحانه: ﴿ وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، فإنّ نفس الإنسان بسعتها أن تتحمّل هذه التكاليف، وإنّها مطابقة لطاقة الإنسان، وكلّ واحد بإمكانه أن يكون سلمان زمانه، وأُويس عصره، لأنّ التكاليف لهما ولنا واحدة، وهي بحسب طاقة الإنسان، إلّا أنّه كان ظلوماً جهولاً، فكفر بالله وتخلّى عن تكاليفه، وغفل قلبه عن تحمّل الحقّ، وكسب المعارف الإلهية، وإنّ الله لا يضيّع عمل عاملٍ من ذكرٍ أو أُنثى، فإنّه الشاكر، ولديه كتاب ينطق بالحقّ، وهذا لتشويق المؤمنين لكسب الفضائل والأعمال الصالحة، وأمّا من لم يؤمن فقلبه في غمزةٍ وجهل شديد وغفلة شديدة من هذا، وله عمله القبيح والفاسد، فإنّ الكفّار والمشركين ومن يحذو حذوهم لهم أعمال من دون أعمال الصالحين المؤمنين، فبين العملين تقابل كتقابل الإيمان والكفر، فإنّ الكفّار لهم أعمال قبيحة تشغلهم عن أن يفكّروا بالأعمال الصالحة والطيّبة وكسب الخيرات والفضائل.

فمن لم يفعل الخيرات فإنّ ذلك دليل على أنّ قلبه في غمرة وجهل وغفلة، ومن كان له قلب غامز فإنّه يرتكب الفضائح والأعمال الشرّيرة، ولا يبالي بعواقبها من الذلّة والخزي في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ وأعظم لو كانوا يعلمون.

١٢
القلب الكافر

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[١].

لكلّ شيء علامة من علائم الإيمان والكفر، إنّ القلب الذي ليس فيه نور الإيمان وقد اسودّ وأظلم بالكفر، فإنّه ينفر من النور ويشمئزّ من ذكر الله نور الأنوار، ولكن إذا ذكر ما سوى الله من الآلهة والطغاة والكفّار ومن يشبههم، فإذا هم يستبشرون ويفرحون، وإنّما يشمئزّون من ذكر الله ومن كلمة التوحيد (لا إله إلّا الله) لأنّهم لا يؤمنون بالآخرة، وإنّما لا يؤمنون لأنّهم ارتكبوا القبائح والفجور والمنكرات والفواحش ما ظهر وما بطن، وهذا يعني أن تكون عاقبتهم العذاب الأليم والخزي والعار في الآخرة، وكيف يحلو لهم ذلك، بل أنكروا يوم القيامة، وأنّهم إذا ماتوا فينتهي كلّ شيء، فليس لهم إلّا حياتهم هذه، ولهذا يرتكبون المنكرات والظلم والجور ليصلوا إلى ملاذهم، ويشبعوا رغباتهم وشهواتهم، فمن استرّ وفرح واستبشر بذكر الله، فذلك من إيمانه وقلبه المؤمن، وأمّا إذا اشمئزّت نفسه، وانقبض في باطنه، وظهر ذلك على ملامح وجهه، فإنّ ذلك من علامة القلب الكافر، وهناك من يألف مجالس البطّالين، وما لم يكن فيه ذكر الله وذكر أنبيائه وأوليائه، فهذا دليل ضعف إيمانهم، وربما يؤدّي الأمر إلى هلاكهم وكفرهم.

---

(١) الزمر : ٤٥.

وقد ورد في رواياتنا أنّ الكفر على وجوه خمسة :

١ ـ كفر الجحود. ٢ ـ الجحود على قسمين. ٣ ـ كفر بترك الأحكام الإلهية.
٤ ـ كفر البراءة. ٥ ـ كفر النعمة.

١ ـ فالجحود تارةً إنكار الربوبية والإلوهية فيجحد بالله سبحانه وينكر المعاد والجنّة والنار، فهم من الزنادقة والدهريين القائلين : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾[1]، فمن عند أنفسهم يخترعون مسلكاً وطريقاً ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[2]، فلا برهان لهم، ولا تنفعهم النذر ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[3].

٢ ـ والجحود أُخرى بمعنى كفر المعرفة، فإنّهم يعرفون الحقّ لوضوحه، إلّا أنّهم ينكرونه ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾[4] لظلمهم وطغيانهم ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[5].

فقبل ظهور الإسلام، كان اليهود يخبرون الناس بنبيّ آخر الزمان، إلّا أنّه لمّا جاءهم ما عرفوا، أنكروا ذلك وكفروا به، فمثل هؤلاء بعيدون عن الرحمة الإلهية، فلعنة الله على الكافرين.

---

(١) الجاثية : ٢٤.

(٢) البقرة : ٧٨.

(٣) البقرة : ٦.

(٤) النمل : ١٤.

(٥) البقرة : ٨٩.

٣ ـ ومن الناس من يكفر بنعم الله، فإنّه سبحانه يمتحن عباده بفضله، كما في قوله تعالى:

﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[١].

فإنّ من يشكر نعم الله قولاً وعملاً، فإنّ الله هو الشاكر فيزيده، ومن كفر فإنّ الله غنيّ كريم، فهو لا يزال في الدنيا يكرم عليه برحمانيّته، إلّا أنّه يعذّبه يوم القيامة كما في قوله تعالى:

﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[٢].

فعلينا أن نذكر الله في نعمائه وآلائه ونتحدّث بنعمته:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[٣].

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونْ ﴾[٤].

٤ ـ وأمّا الكفر بمعنى ترك الأحكام الإلهية، كما في قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾[٥].

---

(١) النمل: ٤٠.

(٢) إبراهيم: ٧.

(٣) الضحى: ١١.

(٤) البقرة: ١٥٢.

(٥) البقرة: ٨٤ ـ ٨٥.

فمن الناس من يعمل ببعض الأحكام الشرعية لأنّها تتلاءم مع مصالحه ولا يعمل ببعضها ويكفر بها عملاً، لأنّها تتضارب مع مصالحه الشخصية، ومثل هذا لا يقبل إيمانه:

﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[١].

٥ ـ كفر البراءة، كما في قصّة إبراهيم الخليل في قوله تعالى:

﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ ﴾[٢].

فإنّ إبراهيم الخليل عليه السلام يتبرّأ من نمرود وقومه، واشتعلت نار الحرب بينهما، ولن يترك إبراهيم ذلك حتّى يؤمنوا بالله وحده، ويكفروا بنمرود والطواغيت.

ومن كفر البراءة تبرّي إبليس اللعين يوم القيامة ممّن اتّبعه، كما في قوله تعالى:

﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ ﴾[٣].

كما يتبرّأ الكفّار بعضهم من بعض يوم القيامة:

﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾[٤].

---

(١) البقرة: ٨٥.

(٢) الممتحنة: ٤.

(٣) إبراهيم: ٢٢.

(٤) العنكبوت: ٢٥.

فالكفّار إنّما عبدوا الأوثان من دون الله سبحانه لمراعاة الصداقة والمودّة الدنيوية حفظاً لمصالحهم في الدنيا، إلّا أنّه يوم القيامة يوم تبلى السرائر ويكون بصرك اليوم حديد ونافذ ويرى الحقائق فإنّهم يتبرّأون بعضهم من بعض:

﴿ الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾[١].

فالكفر له مراتب وأقسام، كما جاء تفصيل ذلك في الروايات.

(١) الزخرف: ٦٧.

١٣
القلب المنكر

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾[1].

أوّل دعوة الله سبحانه وتعالى، ودعوة العقل السليم، ودعوة الأنبياء والأوصياء والصالحين، هي دعوة التوحيد، فإنّ إلهكم إله واحد، لا ثاني له، ولا شريك ولا ندّ ولا مثيل ولا ضدّ له، كما أنّه أحد لا تركيب فيه، إلّا أنّ هناك من ينكر هذه الحقيقة فلا يؤمن بالمبدأ كما لا يؤمن بالآخرة وبيوم المعاد، لأنّ له قلب منكر ومستكبر، وذلك من كثرة الذنوب والمعاصي واتّباع الشهوات، فأنكروا كلام الحقّ، واستكبروا على الخلق، واستهزأوا بآيات الله، ولم تنفعهم الحجج والبراهين القطعية الدالّة على وحدانية الله، وأن يؤمنوا بيوم القيامة يوم الحساب، ويؤمنوا بكتب الله وملائكته، ومن آمن بالمعاد فإنّه يؤمن بالمبدأ، ومن له قلب منكر للحقّ، فإنّه يحاول أن يتكبّر على الناس بتركه الحقّ، ومن كان لجوجاً ومعانداً، فإنّه لا يؤمن بالآخرة، ومن لم يؤمن بيوم القيامة، فإنّه لا يتورّع من أيّ ذنبٍ كان، ومن لم يتورّع من الذنوب، فإنّ له قلب منكر للحقّ، ومن أنكر الحقّ استكبر وعلا في الأرض، فكان من الكافرين، فله خزي في الدنيا وفي الآخرة له عذاب عظيم.

---

(١) النحل : ٢٢.

١٤
القلب اللّاهي

﴿ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَـذَا إِلَّا بَشَـرٌ مِـثْلُـكُمْ أَفَـتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾[1].

اللّعب ما يفعله الإنسان بنظم إلّا أنّه من دون هدف، بل إنّما هو خيال ووهم، كما يفعل الأطفال ذلك في ألعابهم، واللهو بمعنى الاشتغال بعمل باطل غافلاً عن الحقّ والأمر المهمّ، ومنه تسمّى آلات الطرب آلات اللهو، فإنّها تلهي الإنسان وتشغله عمّـا يجب عليه، وعمّـا هو الحقّ، والذين كفروا لاهية قلوبهم عند نـزول الذكـر الإلهي، فلم يتّعضوا ويفيقوا من سباتهم ولهوهم فلا ينفعهم الذكر والوحي أبداً.

فمن غفل وأعرض عن ذكر الله، واستهزأ بآيات الله وأحكامه، فإنّ له قلب لاهٍ، فيشتغل بأُمور تافهة تضرّه ولا تنفعه، ويحسب أنّه يحسن صنعاً، ولكن عمله كالعهن المنفوش هباءً منثوراً، لا يحصد منه إلّا الندم يوم لا ينفعه الندم.

---

(١) الأنبياء: ٣.

١٥
القلب الأغبر

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[١].

هناك من الناس إذا يتلى عليه آيات الله يقول هذا من أساطير الأوّلين، وإنّ هذا من الرجعية، وأنّ عصرنا عصر التكنولوجيا والصناعة وصعود الأقمار والحضارة والتمدّن، ولا يدري أنّ ما يلفظه إنّما هو نتيجة قلبه الأغبر، الذي علاه غبار ما كان يكسبه من الذنوب والمعاصي.

والأساطير جمع الأُسطورة أي المكتوب سطراً بسطر، ومقصود الكفّار من قولهم أساطير الأوّلين، أنّ هذه الآيات القرآنية إنّما هي مكاتيب وأباطيل القدماء، وهذا يعني الرجوع إلى الوراء، وهو يتنافى مع التقدّم والازدهار، فلا بدّ من الثورة على كلّ ماضٍ، ولا بدّ من تجديد، وقد غفلوا أنّ الماضي الحقّ يبقى حقّاً في كلّ العصور والأزمان، فآيات الله التي تحذّرهم من المعاصي والمفاسد الأخلاقية والاجتماعية، وتخوّفهم من يوم القيامة وعذاب جهنّم يعدّونها أساطير الأوّلين، وإنّها رجعية، بل ران على قلوبهم بما كانوا يكسبون، فأنكروا الحقّ وحاربوه.

والرين صدأ يعلو الشيء الجليل، فران على قلوبهم، أي علا الصدأ على جلاء قلوبهم، فعمي عليهم معرفة الخير من الشرّ، والحقّ من الباطل، والصواب من الخطأ. فالذنوب غبار وصدأ ورين على القلوب، فلا يكون القلب مرآةً لانعكاس

---

(١) المطفّفون : ١٤.

الحقائق فيه، فيعجز القلب عن درك الحقائق كما هي، فـالقلب أوّلاً يكـون جـليّاً طاهراً مرآةً للحقّ، إلّا أنّ الذنوب والمعاصي غبار يعلوه، حتّى يسودّ فينكر الحقّ ويعمى عنه، فإنّ القلب إذا أذنب ذنباً صار فيه نكتة سوداء، فكلّما أذنب ولم يتب، تكبر هذه النكتة، حتّى تأخذ القلب كلّه، فينقلب القلب ويكون كالوعاء المنكوس، فلا يفاض عليه الرحمة الإلهيّة، ولا يمتلئ من العلم والمعارف الحقّة، وحديث الحقّ ينفع لرفع الرين عن القلب.

١٦
القلب الغافل (المطبوع)

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ ﴾[١].

من يختار الدنيا على الآخرة، وينسى ربّه، ويلهو عن الحقّ، ويعمى قلبه، لاختياره الذنوب وارتكابه الآثام والقبائح، فإنّ الله يطبع على قلبه فلا يعقل، وعلى سمعه فلا يسمع الحقّ، وعلى بصره فلا يرى الحقّ، وهو من الغافلين.

وعلى كلّ مؤمن بالله، ولا سيّما رسول الله ﷺ، ومن كان وريثه كالعلماء الصلحاء، أن لا يطيع من كان له قلب غافل عن ذكر الله، ويتبع هواه ويتّخذه إلهاً، وكان أمره فُرطاً وتجاوزاً عن الحقّ.

﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاَتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾[٢].

فمن غفل عن الآخرة، فإنّ بصره أعمى عن رؤيتها، وأُذنه أصمّ عن سماع أمرها، وقلبه مختوم ومقفّل ومطبوع عليه، فلا يعقل ما وراء الطبيعة من الحقائق والواقعيات، إنّما همّه بطنه كالحيوان، همّها علفها، بل أضلّ سبيلاً، ومن كان همّه بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه.

والله إنّما ختم على قلبه وطبع على سمعه وبصره، لأنّه باختياره أحبّ الدنيا

---

(١) النحل : ١٠٨.

(٢) الكهف : ٢٨.

وعشقها، وترك الآخرة ونعيمها، وحبّ الدينار أُسّ كلّ خطيئة، كما أنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، ومثل هذا يغفل عن الحقيقة ويجهل الواقع، فيتيه في وادي الضلال والكفر، فلا يفكّر إلّا بالمادّيات والملاذّ والشهوات، وينسى المعنويات وعبادة الله سبحانه. ومن كان بسوء اختياره كذلك فإنّ الله يُلقي الغفلة على قلبه، فلا يتذكّر بذكر الله عزّ وجلّ، ولا يحقّ للمؤمن أن يتبعه ويطيعه في أوامره ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ فإنّ أُميّة بن خلف كان يقول لنبيّ الإسلام محمّد ﷺ أن يبعد الفقراء من حوله حتّى يقرّب إليه الأغنياء والأشراف وصناديد قريش، فكان قلبه غافلاً عن الحقّ، فأمر الله رسوله الأكرم ﷺ، أن لا يطيع من أغفل قلبه عن ذكر الله واتّبع هواه وأفرط وأسرف في حياته، ومن غفل عن ذكر الله فإنّه لا محالة يتبع هوى نفسه ورغباته وميوله، فكيف مثل هذا الضالّ المضلّ يُتّبع ويُطاع ؟!

﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[1].

﴿ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ المُعْتَدِينَ ﴾[2].

﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الكَافِرِينَ ﴾[4].

قال رسول الله ﷺ : الطابع معلّق بقائمة العرش، فإذا انتهكت الحرمة وعمل

---

(١) المؤمن : ٣٥.

(٢) يونس : ٧٤.

(٣) الروم : ٥٩.

(٤) الأعراف : ١٠١.

بالمعاصي واجترئ على الله، بعث الله الطابع فيطبع الله على قلبه، فلا يعقل بعد ذلك شيئاً[١].

وقال: إيّاكم واستشعار الطمع فإنّه يشوب القلب شدّة الحرص، ويختم على القلوب بطابع حبّ الدنيا[٢].

وفي واقعة الطفّ الأليمة، يوم العاشر من محرّم الحرام سنة (٦١) هـجرية في كربلاء، لمّـا عبّأ عمر بن سعد أصحابه لمحاربة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام وأحاطوا به من كلّ جانب حتّى جعلوه في مثل الحلقة، فخرج عليه السلام حتّى أتى الناس فاستنصتهم فأبوا أن ينصتوا حتّى قال لهم: ويلكم، ما عليكم أن تنصتوا إليّ فتسمعوا قولي، وإنّما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، وكلّكم عاصٍ لأمري غير مستمع قولي، فقد ملئت بطونكم من الحرام وطبع على قلوبكم)[٣].

وهذا يعني بوضوح أنّ من ملأ بطنه من لقمة الحرام، فإنّه يطبع على قلبه، فلا يستمع إلى كلام الحقّ، وإلى من أراد هدايته وإرشاده إلى صوابه، فلا يعقل بعد ذلك شيئاً، نتيجة اجترائه على الله عزّ وجلّ، وعمله بالمعاصي وانتهاك الحُرم الإلهية، فيكون طمّاعاً حريصاً بحبّ الدنيا، فيتكبّر ويتجبّر ويتعدّى على حدود الله، ويعتدي على الآخرين فيكفر بالله وبنعمه، ولا يعلم، وهذه جملة من صفات القلب الغافل كما تشير إليها الآيات والروايات الشريفة.

---

(١) كنز العمّال: الخبر ١٠٢١٣.

(٢) البحار ٧٧: ١٨٢.

(٣) البحار ٤٥: ٨.

١٧
القلب المختوم

﴿ أفَرَأيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلَهَهُ هَوَاهُ وَأضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2].

في الآية الأُولى نسب ختم القلوب والسمع إلى الكفّار أنفسهم، ولكن في الآية الثانية نسب إلى الله سبحانه، وهذا يعني أنّ الحجاب تارةً بيد الإنسان وذلك من خلال أفعاله، وأُخرى حجاب إلهي نتيجة أعماله، والكفر كالإيمان كلّي مشكّك قابل للشدّة والضعف، ولهما مراتب ومراحل وآثار مختلفة ومتفاوتة.

فمن يتّخذ إلهه هواه وهو يعلم بأنّ له إله خالق السماوات والأرض، فإنّ الله أضلّه على علم وختم على سمعه، فلا يسمع كلام الحقّ، وعلى قلبه فلا يعقل الحقّ، وجعل على بصره غشاوة فلا يرى الحقّ، فمن يهديه حينئذٍ من بعد الله، أفلا تذكّرون ؟ إلّا أنّ الذكرى إنّما تنفع المؤمنين، أمّا من كان له قلب مختوم عن درك المعارف والحقائق كيف يتذكّر ويتفكّر ويتعقّل ؟ بل لمثل هؤلاء خزي في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

---

(١) الجاثية : ٢٣.

(٢) البقرة : ٧.

ثمّ لا تنافي بين الضلالة عن الطريق والعلم به، فإنّه ربما يعلم أيّ طريق هو الصراط المستقيم، وأيّ سبيل هو سبيل الله سبحانه، إلّا أنّه بسوء اختياره، ومن أثر الذنوب والمعاصي ختم قلبه وغشي بصره وصمّ سمعه، فيختار طريق الحرام والضلال عسى أن يشبع غرائزه ويصل إلى شهواته وملاذّه.

ومن حجب قلبه فإنّه يكفر بربّه ويتّخذ من دون الله أوثاناً ويتبع ويطيع هواه، فيا ترى أما تعجب من هذا الذي اتّخذ إلهه هواه؟! ويختم على قلبه بأن يطبع على الكفر كما قال عزّ وجلّ:

﴿ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إلَّا قَلِيلاً ﴾[1].

(١) النساء: ١٥٥.

١٨
القلب القاسي

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾[1].

من الكبائر والصفات الذميمة نقض العهد والميثاق، فمن يفعل ذلك بسوء اختياره، فإنّ الله يلعنه ويبعده عن رحمته، ويجعل له قلباً قاسياً كالحجارة أو أشدّ، فيحرّف الكلم عن مواضعه، ويرتكب البشائع والقبائح، وذلك نتيجة كفره، فلا يخضع أمام الحقّ، ولا يخشع قلبه.

وربما سبحانه يعاتب المؤمنين الذين تظهر القساوة عليهم، فإنّ المؤمن ربما يقسو قلبه ويجمد عينه ويفقد الخشوع والخضوع، وإذا طال به الأمر، فإنّه يخرج عن العبودية، فلا يتأثّر بذكر الله ويرتكب المحرّمات والمناهي كما في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[2].

فمن ينقض ميثاق الله بأن لا يعبد إلّا الله، فإنّه يهون عليه تحريف كلام الله،

---

(١) المائدة: ١٣.

(٢) الحديد: ١٦.

ومن لم يخشع لذكر الله سبحانه، فإنّه من قسوة قلبه، فيفسق عن أمر ربّه، ويتجرّأ على ارتكاب المعاصي، فيخرج عن ربقة الإيمان، فله الخزي في الدنيا، وله في الآخرة عذاب أليم.

﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[1].

يقول الإمام الباقر عليه السلام: إنّ لله عقوبات في القلوب والأبدان: ضنك في المعيشة، ووهن في العبادة، وما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: قلب الكافر أقسى من الحجر.

وفي نهج البلاغة، عن أمير المؤمنين عليه السلام: فالقلوب قاسية عن حظّها، لاهية عن رشدها، سالكة في غير مضمارها، كأن المعني سواها، كأنّ الرشد في إحراز دنياها[2].

ومن وصاياه لابنه الحسن عليه السلام: إنّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيءٍ قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبّك.

فالتربية السليمة والصحيحة لها دور فعّال وجبّار في سلامة القلب، ولا بدّ أن تكون قبل بلوغ الحلم، وفيما كان حدثاً وشابّاً ومراهقاً، فإنّ قلب الحدث كالأرض الخالية قابلة لكلّ زرع، فمن يزرع الجميل يحصد جميلاً، وأمّا ما خبث فلا يخرج منه إلّا نكداً، ومن يزرع القبيح يستحيل أن يكون حصاده جميلاً وحسناً.

وهناك عوامل توجب قساوة القلوب من أبرزها وأهمّها نقض الميثاق، كما في

---

(١) الزمر: ٢٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٣.

قوله تعالى :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾[١].

فهذا الجعل الإلهي إنّما هو نتيجة عمل الإنسان، فإنّه باختياره نقض الميثاق فلعنه الله وأبعده عن رحمته، وجعل قلبه قاسياً، وكلّ ملعون وبعيد عن رحمة الله يكون قلبه قاسياً، فإذا ورد في الخبر الشريف : ملعون ملعون ملعون من صلّى صلاة الصبح ولم تكن نجمة في السماء ـ أي يصلّي قريب طلوع الشمس ـ فإنّه يكون مثل هذا المصلّي بعيداً عن رحمة الله، فإنّه في عاقبة الأمر يقسو قلبه، هذا لمن لم يكن مستخفّاً بالصلاة، ولا يصلّيها في أوّل أوقاتها، فكيف من كفر بنعم الله في ترك صلاته ؟ ! !

قال الله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[٢].

فمن أُوتي إليه الكتاب الكريم من الله سبحانه لهدايته وسعادته، إلّا أنّه تركه وراء ظهره وطال عليه الأمد، فإنّه يقسو قلبه، ويفسق عن أمر ربّه لا محالة، إلّا من شملته العناية الإلهية، لما يحمل من صفة حميدة أو مكرمة أخلاقية، فإنّه يتوب ويصلح أمره.

يقول أمير المؤمنين عليّ عليه‌السلام : ما جفّت الدموع إلّا لقسوة القلوب،

---

(١) المائدة : ١٣.

(٢) الحديد : ١٦.

وما قست القلوب إلّا لكثرة الذنوب.

فهناك ارتباط وعلاقة وثيقة وتلازم بين جفّ الدموع وقسوة القلب، وبين قسوة القلب وكثرة الذنوب من دون توبة.

فإنّ التوبة النصوحة تمحي الذنوب، والحسنات يذهبن السيّئات، وكما ورد في أدعية مسجد الكوفة: «اللهمّ أنت أنت وأنا أنا، أنت العوّاد بالمغفرة وأنا العوّاد بالذنوب، وأنت المتفضّل بالحلم وأنّا العوّاد بالجهل»[١].

قال الإمام الكاظم عليه السلام: فيما ناجى الله تعالى به موسى عليه السلام: يا موسى، لا تطوّل في الدنيا أملك، فيقسو قلبك، والقاسي القلب منّي بعيد[٢].

فطول الأمل والتسويف يقسي القلب، ومن قسى قلبه ابتعد عن رحمة ربّه، فإنّ رحمة ربّك لقريبة من المحسنين.

ويقول المسيح عيسى بن مريم: إنّ الدابّة إذا لم تركب ولم تمتهن وتستعمل، لتصعب ويتغيّر خلقها، وكذلك القلوب إذا لم ترقّق بذكر الموت، ويتبعها دؤوب العبادة تقسو وتغلظ[٣].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنّ كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسو القلب، إنّ أبعد الناس من الله القلب القاسي[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: ثلاث يقسين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب

---

(١) مفاتيح الجنان: ٣٩٤.

(٢) الكافي ٢: ٣٢٩.

(٣) البحار ٤: ٣٠٩.

(٤) البحار ٧١: ٢٨١.

السلطان.

وقال ﷺ: لا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلبوكم.

وقال ﷺ: ترك العبادة يقسي القلب، ترك الذكر يميت النفس.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: من يأمل أن يعيش غداً فإنّه يأمل أن يعيش أبداً، ومن يأمل أن يعيش أبداً يقسو قلبه ويرغب في دنياه.

وقال عليه السلام: كثرة المال مفسدة للدين مقساة للقلب.

وقال عليه السلام: النظر إلى البخيل يقسي القلب.

قال الإمام الصادق عليه السلام: أنهاكم أن تطرحوا التراب على ذوي الأرحام ـ عند دفنهم ـ، فإنّ ذلك يورث القسوة، ومن قسا قلبه بَعُد من ربّه عزّ وجلّ[1].

فالمؤمن رحيم قلبه، قد شغله همّ الآخرة عن هموم الدنيا، فزهد فيها، وليس له همّ إلّا همّ واحد، وهو همّ الآخرة ورضى الله مولاه سبحانه.

قال النبيّ الأكرم: الدنيا لكم، والعقبى لكم، والمولى لكم.

قال صاحب بحر المعارف الشيخ عبد الصمد الهمداني: فإن قلت إنّا نأخذ بقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾[2]، فأتنعّم بما أباحه الله من المأكل والملابس اللذيذة والمراكب الفاخرة والدور العامرة، وأقوم بالواجبات وإخراج الحقوق، ولا يمنعني ذلك من الاستباق إلى الجنّة مع السابقين، فجوابك: هيهات هيهات، إنّ هذا المال حمق وغرور، لأنّ المتوغّل في فضول الدنيا لا ينفكّ عن الحرض المهلك الواقع في الشبهات، ومن

---

(١) الروايات من ميزان الحكمة ٨: ٢٤٠.

(٢) الأعراف: ٣٢.

تورّط في الشبهات هلكة لا محالة، ولو سلم من الحرص والزلّة بالسلامة والفظاظة وقسوة القلب والتكبّر، كيف وهو تعالى يقول: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾[1]، وقال ﷺ: إيّاكم وفضول المطعم، فإنّه يسمّ القلب بالقسوة، وكما أنّ الخائض في الماء يجد بللاً لا محالة، كذلك صاحب الدنيا يجد في قلبه ريناً وقسوة لا محالة، ويخرج من قلبه حلاوة العبادة والدعاء[2].

في وصيّة النبيّ لعليّ عليه السلام، قال: يا عليّ، ثلاثة يقسين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان[3].

---

(١) العلق: ٦ ـ ٧.

(٢) بحر المعارف: ٥٣٦.

(٣) الوسائل ١٢: ٢٣٤.

١٩

القلب المنحرف (الزائغ)

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُـؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَـيْكُمْ فَـلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُـلُوبَهُمْ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ ﴾[١].

تدلّنا الآية الشريفة إلى أنّ اليهود لما عندهم من العناد واللجاجة قـد آذوا نبيّهم موسى كليم الله حتّى آل الأمر بهم إلى انحراف قلوبهم وزيـغها، وهـذا شأن كلّ من يؤذي النبيّ، وبهذا أراد الله أن ينهى المؤمنين أن لا يؤذوا نـبيّهم الأكـرم محمّد ﷺ كما ورد ذلك في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾[٢].

وكما في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَـنُوا لا تَكُـونُوا كَـالَّذِينَ آذَوْا مُـوسَى فَـبَرَّأَهُ اللهُ مِـمَّا قَالُوا ﴾[٣].

فنهى الله المؤمنين أن لا يؤذوا النبيّ لا بقولهم ولا بعملهم، فإنّه يؤدّي ذلك إلى انحراف قلوبهم وزيغها عن الاستقامة والصراط المستقيم، ومن ثمّ يميلوا من الحقّ إلى الباطل، ولـمّـا زاغ القلب فإنّ مثل هذا القلب يحرم من الرحمة الإلهية، ولا يصيب

---

(١) الصفّ : ٥.

(٢) الأحزاب : ٥٧.

(٣) الأحزاب : ٦٩.

الهداية الربّانية فأزاغ الله قلوبهم نتيجة أعمالهم من الإيذاء والفسق والفجور، فجزاء فسقهم أزاغ الله قلوبهم، ولعنهم في الدنيا والآخرة، وحرمهم من شمول رحمته ولطفه وهدايته، فإنّما أضلّهم الله بفعلهم وانحرافهم:

﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقِينَ ﴾[١].

فإنّ الله لا يضلّ أحداً ابتداءً، فإنّ ذلك قبيح والله منزّه عن القبائح، إنّما ضلال الله لمن ارتكب الفسوق والذنوب بسوء اختياره، فزاغ عن طريق الحقّ وخرج ومال إلى طريق الباطل، فأضلّه الله وأخزاه في الدنيا، وله في الآخرة عذاب عظيم.

وهناك علائم أُخرى لمن زاغ قلبه كما في قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾[٢].

فإنّ كتاب الله الكريم لحكمة ربّانية فيه الآيات المحكمة والآيات المتشابهة، فالمؤمن إنّما يسأل أهل الذكر في ما لا يعلم، ويرجع إلى الراسخين في العلم، ويأخذ بالمحكمات، ويرجع إليها الآيات المتشابهات، ويعتقد أنّ الكلّ من عند الله، أمّا من له قلب زائغ ومنحرف، فإنّه يبتغي الفتنة وإشعال نار الحرب والشقاق بين المؤمنين، فيتبع ما تشابه من الآيات الكريمة ويؤوّلها من أجل مصالحه الشخصية وابتغاء الفتنة، وإنّما يفعل ذلك لأنّه لم يطمئنّ قلبه، ولم يرسخ في العلم، ولم يثبت على العمل الصالح.

---

(١) البقرة: ٢٦.

(٢) آل عمران: ٧.

وأمّا من آمن واطمأنّ قلبه، وكان من الراسخين في العلم النافع والعمل الصالح، وهداه الله، فإنّه يدعو ربّه :

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ ﴾(١).

فمن يتبع المتشابه في العمل بأن لا يرجعه إلى المحكم، فإنّ الله قد ذمّ ذلك، وأمّا من أرجع المتشابه إلى المحكم، فإنّه يكون من المحكم، ولا يعلم تأويله إلّا الراسخون في العلم، فيدعون الله بأن لا تزاغ قلوبهم، فإنّهم علموا أنّ القلب إثر الغفلة ربما ينحرف عن الصواب والحقّ، وإنّما يملك الضرّ والنفع هو الله سبحانه وتعالى، وإليه تصير الأُمور، فيخافون أنّه بعد رسوخهم في العلم ربما تنحرف قلوبهم وتزيغ عن الحقّ.

فمن عوامل انحراف القلب وزيغه إيذاء النبيّ كيف ما كان وبأيّ نحو قولاً وعملاً في حياته وبعد مماته، فيه وفي أهل بيته كما قال النبيّ الأكرم في حقّ فاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام : «فاطمة بضعةٌ منّي من آذاها فقد آذاني»، (رواه الفريقان). ثمّ من انحرف في الظاهر فقد انحرف في الباطن، ومن زاغ قلبه، فإنّه يعيش القلق والاضطراب، فيحرّف الكلم عن مواضعها، ويؤوّل الآيات المتشابهات كيف ما شاء. وأمّا من رسخ في العلم والإيمان فإنّهم يدعون ربّهم :

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ ﴾(٢).

---

(١) و (٢) آل عمران : ٨.

٢٠
القلب المتشتّت

﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾[١].

لقد كان بني النضير من اليهود يسكنون قلاعاً وحصوناً في أطراف المدينة المنوّرة، ومع المنافقين حينما كانوا يواجهون المسلمين في الحروب والمعارك كان الله يلقي في قلوبهم الرعب، فيخافون من المسلمين ولا يقاتلونهم جميعاً، إلّا في قرىً محصّنة، أو كانوا يقاتلونهم من وراء الجدران خوفاً، وإنّما كان لهم الشجاعة والبأس فيما بينهم، وربما يحسبهم من يشاهدهم أنّهم متّحدون، إلّا أنّ ظاهرهم كذلك، إلّا أنّ قلوبهم متشتّتة لأنّهم قوم لا يعقلون، فإنّ العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، فكان عليهم أن يؤمنوا بخاتم النبيّين كما كان عليهم أن يتّحدوا، فإنّ من قلّ عقله لا يتّحد مع أخيه، والأُمّة التي تفقد عقلها الاجتماعي فإنّها تصاب بالفشل والانحطاط والتمزّق والتشتّت والاختلاف والاضمحلال، ومن كان له قلب متشتّت، فإنّ ذلك من علائم النفاق والخوف والرعب.

---

(١) الحشر : ١٤.

٢١
القلب المريض

إنّ الله أشار في آيات عديدة إلى القلب المريض، ولكلّ معنى خاصّ، وهو كما يلي:

١ ـ ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[1].

هذه الآية تشير إلى سيرة المنافقين، فإنّهم يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان بالله وبيوم القيامة، ليخدعوا بذلك المسلمين ويمكروا بهم، ولكن غفلوا أنّ المكر السيّء لا يحيق إلّا بأهله، وما يخدعون إلّا أنفسهم، وإنّما مثلهم كالأعمى في الظلام لا يميّز بين الخطأ والصواب والصحيح والسقيم والحقّ والباطل والصلاح والطلاح، وإذا أراد أن يسرج ضوءاً فسرعان ما يأتيه الريح، فيتيه في الظلمات مرّةً أُخرى.

فهؤلاء في قلوبهم مرض وزادهم الله مرضاً فوق مرضهم في الدنيا، كما لهم في الآخرة عذاب عظيم وأليم، لأنّهم كانوا يكذّبون الرسل في قلوبهم.

فإنّهم وإن أظهروا الإسلام وتحصّنوا بكلمة الشهادتين، وحقن دمهم وما لهم، وجاز نكاحهم، وورثوا المسلمين المؤمنين، إلّا أنّهم حين موتهم يسلبهم الله النور، فيقعوا في ظلمتين: ظلمة قلوبهم وظلمة أعمالهم.

---

(١) البقرة: ١٠.

ومن يتظاهر بالإيمان ولـمّا يؤمن قلبه فإنّ قلبه مريض، وزاده الله مـرضاً، وله عذاب أليم.

٢ ـ ﴿ وَإِذْ يَـقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾[1].

المقصود من الذين في قلوبهم مرض هم ضعفاء المؤمنين فهم غير المنافقين، فهؤلاء أيضاً يبطنوا كفرهم ويظهروا الإسلام، ولـمّا وعدهم الله ورسـوله بـالفتح والنصر وغلبة الإسلام على بلاد قيصر وكسرى (الروم وإيران) كـان المـنافقون وضعفاء الإيمان الذين في قلوبهم مرض، يقولون ما وعدنا الله ورسوله، إلّا أن يغرّنا ويضحك علينا ويعبث بحياتنا.

٣ ـ ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَـيَطْمَعَ الَّـذِي فِـي قَـلْبِهِ مَـرَضٌ وَقُـلْنَ قَـوْلاً مَعْرُوفاً ﴾[2].

إنّ الله مدح نساء النبيّ وبيّن علوّ مقامهن لتقواهـن، لا لانـتسابهن بـالنبيّ الأكرم ﷺ ثمّ أمرهن أن لا يخضعن في الكلام بأن يتكلّمن بدلال وصـوت نـاعم ولطيف، فإنّ ذلك يوجب أن يطمع من كان قلبه مـريضاً فـيميل إلى الشهـوات، ويبتلى بتخيّلات شيطانية، فيقع في الذنوب والمعاصي، فإنّ من كان قـلبه مـريضاً ليس فيه قوّة إيمان يردعه عن الآثام، فإنّه سرعان ما ينحرف عن الصواب، ويتيه

---

(١) الأحزاب: ١٢.

(٢) الأحزاب: ٣٢.

في وادي الضلال. ثمّ أمر الله نساء النبيّ أن يتكلّمن بكلام معروف، بأن يدلّ على المقصود فقط من دون دلال وظرافة.

٤ ـ ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً ﴾[1].

الانتهاء بمعنى الامتناع، والمرجفون من الإرجاف بمعنى إشاعة الباطل وجعل الناس في قلق واضطراب ورجفة، والإغراء بمعنى حثّ شخص على عمل.

والله سبحانه يخاطب نبيّه الأكرم ﷺ في المنافقين والذين في قلوبهم مرض من ضعفاء المؤمنين، أنّهم لو لم يمتنعوا عن الإشاعة والفساد والفتنة في المدينة لنأمرك أن تخرجهم من المدينة وتحاربهم، وهذا من الإنذار الإلهي لمن كان منافقاً، ويشيع بين المسلمين ما يقلقهم ليعيشوا في اضطراب ومن دون أمن وأمان، حتّى تصفو لهم الأجواء في تطبيق نواياهم وخططهم الخبيثة، وتحطيم معنويات المسلمين، وتهديم بنيانهم، وتمزيق صفّهم، وتفتيت عضدهم، وتفريق شملهم، وإلقاء العداوة بينهم والبغضاء والاختلاف والتحزّبات، وفكّ وحدتهم واعتصامهم بحبل الله.

٥ ـ ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[2].

من الناس من آمن بالله واليوم الآخر، وبرء قلبه من الأمراض والأسقام

---

(١) الأحزاب : ٦٠.

(٢) التوبة : ١٢٥.

وزاده الله يقيناً وتقوى وهدىً، فعاش سعيداً، ومات سعيداً، ويبعث يوم القيامة سعيداً. ومن الناس من في قلبه مرض ورجس وقذارة، فزادهم الله رجساً إلى رجسهم ونجاستهم، وماتوا وهم كافرون، فلهم في الدنيا خزيٌّ وفي الآخرة عذابٌ أليم.

فمن شكّ في دينه واستحوذ عليه الشيطان، وتنجّس قلبه بالنفاق والأمراض الخلقيّة والنفسية، فإنّه في ضلال ورجس، ولولا التوبة والعمل الصالح، فإنّ الحسنات يذهبن السيّئات، لزادهم الله رجساً فوق رجس وضلالاً فوق ضلال:

﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

ولمّا كانت الآية الشريفة تقابل قوله تعالى: (الذين آمنوا) فإنّها تدلّ على أنّ الذي في قلبه مرض من لم يكن صاحب عقيدة سليمة وصحيحة وقلبه فيه الشكّ والإنكار ونتيجة ذلك الكفر والعصيان. فمن كان قلبه مؤمناً فإنّ القرآن الكريم والآيات الإلهية إنّما يكون له شفاء ورحمة، ومن كان قلبه مريضاً ومنافقاً وكافراً فإنّ القرآن لا يزيده إلّا خساراً، كما في قوله تعالى:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴾[2].

فعلى كلّ مؤمن أن يزيل الشكّ من قلبه، ويطلب اليقين من ربّه، لينتفع بآياته وقرآنه، وإلّا فإنّ الشكّ يتبعه الشكّ فيكون رجساً فوق رجس، حتّى ينتهي به

---

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) الإسراء: ٨٢.

الأمر إلى الكفر ﴿ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[١].

٦ ـ ﴿ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾[٢].

كلّ ما يضمره الإنسان في قلبه فإنّه يظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه، والله سبحانه يخاطب نبيّه الأكرم محمّد ﷺ في الذين في قلوبهم مرض، أنّه عندما يأمر الله بالجهاد وينزل سورة محكمة يذكر فيها القتال في سبيل الله، فإنّهم ينظرون إلى النبيّ الأعظم وكأنّما الطير يتخطّف على رؤوسهم، فإنّهم ينظرون إليه نظر المغشيّ عليه من الموت، كالمحتظر الذي ينظر إلى أطرافه بنظراته الأخيرة، وإنّما ظهر ذلك عليهم، لأنّهم كذبوا في قولهم وادّعائهم الإيمان، فهم من ضعفاء المؤمنين عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه أينما درّت معائشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديّانون:

﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[٣].

فهؤلاء ضعفاء الإيمان حينما لم تنزل سورة من القرآن يطالبون النبيّ بها، ولكن لمّا تنزل سورة محكمة من دون تأويل وشبهة، ويذكر فيها القتال والجهاد لحبّهم الدنيا والمال والأهل والراحة ولما في قلوبهم من المرض، يستولي عليهم الخوف، ومن شدّته كانوا ينظرون إلى النبيّ ﷺ كنظر المحتضر في حالة الموت.

---

(١) التوبة: ١٢٥.

(٢) محمّد ﷺ: ٢٠.

(٣) سبأ: ١٣.

فمن شكّ في دينه وانحرف إلى النفاق وانتهى إلى الكفر، إنّما يبتلى بأمراض قلبيّة وهي كالأمراض الجسدية، لها مراتب طولية وعرضية، قابلة للشدّة والضعف، والبُرء والشفاء، فبداية المرض الشكّ، فمن لم يتداركه باليقين برجوعه إلى أطباء القلب وهم الأنبياء وأوصيائهم ومن ثمّ ورثتهم العلماء الصالحين، فإنّه سوف يشتدّ مرضه ويزداد فيبتلى بمرض النفاق، فإذا لم يتب توبة نصوحاً ويرجع إلى الله وينيب إليه ويعمل الصالحات، فإنّه يزداد في مرضه فيبتلى بمرض الكفر والإثم والتكبّر والإجرام والتجاوز والحميّة الجاهلية والغيظ والغلظة والغمرة والانحراف واللهو واللعب والغبار والرين والغفلة والزيغ والقساوة فيطبع على قلبه، ويختم ويقفل بابه، وله في الدنيا خزيٌّ، وفي الآخرة عذاب أليم.

٧ـ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾[1].

الضغينة بمعنى البغض والعداوة والحقد الشديد، فمن ضعف إيمانه، فإنّه يبتلى بمرض القلب من الشكّ والنفاق، ومثل هذا المريض مهما يبالغ في إخفاء نفاقه ومرضه، فإنّه لا يحسب أن يمكنه ذلك، فإنّه يوماً ما، يخرج الله حقده على المؤمنين وبغضه وضغائنه، ويكشف أمره للمؤمنين ليحذروه ويتجنّبوه، فإنّ الإغراء بالجهل قبيح، والله منزّه عن القبائح، فلا يدع المنافق يموت بحسن السمعة وصدق اللسان، بل يعلن الله حاله، ويظهر سريرته للمؤمنين، حتّى يلعن في دنياه كما لعنه الله: (ألا لعنة الله على المنافقين).

وهذا من عدل الله بهم، ولطفه ورحمته بالمؤمنين، حتّى يتميّز الخبيث من

---

(١) محمّد ﷺ: ٢٩.

الطيّب، والمؤمن من الكافر، والمخلص من المرائي، والمتكبّر من المتواضع، والغثّ من السمين، والصالح من الطالح، والمسيء من المطيع.

هذا كلّه فيما لو لم يتب إلى الله ويرجع إليه، وإلّا فإنّ الله ستّار العيوب، وسبقت رحمته غضبه، وأظهر الجميل وستر القبيح، ولا يعتدي على أهل مملكته، ولم يأخذ أهل الأرض بألوان العذاب، فإنّ له ألف وواحد من الأسماء الحسنى، كلّها تدلّ على الرحمة، إلّا قليل يُعدّ بالأصابع كالمنتقم وشديد العقاب والقهّار، وهذه الأسماء في بواطنها أيضاً من الرحمة، فهو ربّ العالمين الكريم الحليم الرحمن الرحيم الرؤوف العطوف الشفيق واسع الرحمة.

٨ ـ ﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ الحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[١].

الإذعان بمعنى الانقياد والطاعة، والحقّ في الآية ظاهراً هو حكم النبيّ الأكرم ﷺ، والحيف بمعنى الجور والتجاوز.

فضعفاء الايمان إذا حكم لهم النبيّ ﷺ وكان بنفعهم ولمصلحتهم يأتوا إليه مذعنين ومنقادين ويطيعون أمره، وإذا لم يكن حكم النبيّ بصالحهم فإذا بهم ينقلبون على أعقابهم، ولا يرضون بحكم رسول الله ﷺ، فما لهم كيف يحكمون؟ فهل في قلوبهم مرض أم شكّوا وارتابوا في الدين؟ أم يخافون أنّ الله ورسوله يجور عليهم ـ والعياذ بالله ـ بل أُولئك هم الظالمون لأنفسهم بارتكابهم الذنوب من قبل ولم يتوبوا، فما أُولئك بالمؤمنين حقّاً وصدقاً.

---

(١) النور: ٤٩ ـ ٥٠.

٩ - ﴿ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً ﴾[١].

إنّ الله أخبر نبيّه بأنّ الموكّلين على نار جهنّم تسعة عشر من الملائكة الغلاظ، وبهذا يتيقّن أهل الكتاب بأنّ هذا القرآن الذي ينزل عليك إنّما هو من الله سبحانه، فإنّه يطابق لما عندهم من الكتاب، وبهذا يزداد المؤمنون إيماناً، ولكنّ الذين في قلوبهم مرض من ضعفاء المؤمنين والكافرين يقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً.

فالله سبحانه يصف نار جهنّم، وأنّه سيصلاه من كان عنيداً مستكبراً، يؤذي النبيّ في قوله: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ البَشَرِ ﴾[٢]، فيقول الله سبحانه: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾[٣].

فمن كان قلبه مريضاً: فإنّه يظهر الإيمان نفاقاً وهو من ضعفاء الإيمان، وربما يكون كافراً ويموت كافراً، فخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

---

(١) المدّثّر: ٣١.

(٢) المدّثّر: ٢٤ ـ ٢٥.

(٣) المدّثّر: ٢٦ ـ ٣١.

«ثمّ المرض نوعان: مرض قلوب ومرض أبدان.

أمّا مرض القلوب فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ مرض شُبَه وشكّ.

٢ ـ شهوة وغيّ.

٣ ـ غلّ.

وقد ورد جميعاً في القرآن الكريم، وإليك بيان ذلك:

أمّا مرض الشُبَه والشكّ: فهو أن يطمس على بصيرة العبد فيجعل لله ندّاً أو يشبهه بمثل، ويشكّ في قدرته تعالى، فيستعظم حياته بعد موته، ويشكّ في إمكانية البعث والقيامة والحساب والجزاء والثواب والعقاب، كلّ ذلك توسوس به نفسه في كيان قلبه، وهذا الصنف من الناس تحدّث الحقّ تعالى عنهم، وبيّن لنا حقيقة ما في قلوبهم من مرض، فقال سبحانه:

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ﴾[1].

أمّا مرض الشهوة والغيّ:

فنتحدّث أوّلاً عن مرض الشهوة: وهو أن يتلذّذ العبد في إشباع رغباته فلا يفرّق في ذلك بين حلال وحرام، بل قلبه مريض بما في يد غيره، لا يقنع بما عنده ولا يرضى بما قسّم ربّه. وهذا النوع تحدّث الحقّ تعالى عنهم وحذّر منهم فقال سبحانه: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾[2]، فهو مرض الزنا.

---

(١) البقرة: ١٠.

(٢) الأحزاب: ٣٢.

ثانياً: مرض الغيّ.

فهو ضياع الفروض والأركان، لعدم صدق الاعتقاد بأدائها، والانصراف إلى اللهو واتّباع الشهوات، وهذا النوع تحدّث الحقّ تعالى عنهم، فقال:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾[1].

أي بغيّهم في الحياة أعدّ الله لهم وادياً في جهنّم سمّاه وادي الغيّ، لا يدخله إلّا الغاوون. وقد تعجب حينما تعلم أنّ جهنّم نفسها تستعيذ منه كلّ يوم سبعين مرّة، تشكوا إلى الله أن يخفّف عنها من شدّة حرّه.

ثالثاً: مرض الغلّ، وهو الذي ينشأ منه الحسد والحقد.

وهما الآفتان اللتان أبادتا الإنسانية، وورثتا الكراهية والعداوة والبغضاء بين الأُمم. وقلب مريض بالغلّ لا يكون صاحبه مؤمناً أبداً، لأنّ المؤمنين شرطهم أن ينزع الغلّ من قلوبهم، فإذا نزع الغلّ من الصدور تتمّ الأُخوّة، وعند هذه المرحلة بيّن الحقّ تعالى هذا النوع فقال: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾[2] لأنّ الصدر المريض قلبه بالغلّ يتشعّب منه.

وجميع أمراض القلب يمكن براؤها من كلّ داء إلّا مرض الغلّ الذي يساوي: (حسد + حقد) في المعادلة. لأنّ الحسد هو تمنّي زوال نعمة الغير. أمّا الحقد: فهو استكثار النعمة على الغير... والنعم بيد المنعم لا يملك زوالها إلّا هو، خالق كلّ شيء، وهو على كلّ شيء وكيل. لذا يتعذّر شفاء ذلك القلب المغلول، إلّا إذا وقّر نور الايمان

---

(١) مريم: ٥٩.

(٢) الحجر: ٤٧.

فيه وانشرح الصدر به، عندها إذا ينزع الغلّ وتسود المحبّة وتتمّ الأُخوّة.

هذا بيان خلاصة أنواع مرض القلوب»(١).

وقد تعرّض الأئمة الأطهار لمعالجة أمراض القلوب وذكر أسبابها، نذكر منها ما يتلائم مع هذا المختصر.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في نهجه: إنّ من البلاء الفاقة، وأشدّ من ذلك مرض البدن، وأشدّ من ذلك مرض القلب، وإنّ من النعم سعة المال، وأفضل من ذلك صحّة البدن، وأفضل من ذلك تقوى القلوب.

وقال عليه السلام: ولو فكّروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة، لرجعو إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق، ولكنّ القلوب عليلة والبصائر مدخولة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إيّاكم والمراء والخصومة، فإنّهما يمرضان القلوب على الإخوان، وينبت عليهما النفاق.

وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب.

وقال عليه السلام: شرّ ما أُلقي في القلب الغلول.

وفي كتابٍ له لمالك الأشتر لمّا ولّاه على مصر: ولا تقولنّ: إنّي مؤمَّر آمر فأُطاع، فإنّ ذلك إدغال في القلب ومهلكة في الدين.

قال الإمام الصادق عليه السلام: ما من شيءٍ أفسد للقلب من خطيئته، إنّ القلب ليواقع الخطيئة فلا تزال به حتّى تغلب عليه، فيصير أعلاه أسفله(٢).

فبمثل هذا العوامل والأسباب يمرض القلب، ولا بدّ من مراجعة طبيب

---

(١) الطبّ في القرآن والسنّة؛ بقلم محمّد محمود عبد الله: ٨.

(٢) ميزان الحكمة ٨: ٢٤١.

الروح وهو النبيّ ﷺ الذي كان طبيباً دوّاراً بطبّه، ومن يحذو حذوه من أوصيائه عليهم السلام، ومن العلماء الصلحاء الذين هم ورثة الأنبياء، فهم أطباء الروح في المجتمع، وقد جاء في وصفتهم الطبّية ما يشفي القلب.

قال الله تعالى في محكم كتابه:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾[١].

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

وجاء في صفة النبيّ الأكرم طبيب نفوسنا وشافع ذنوبنا محمّد ﷺ: طبيب دوّار بطبّه قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه، من قلوب عُمي وآذان صُمّ، وألسنة بُكم، متتبّع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة... هكذا وصفه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في نهج البلاغة[٣].

وقال عليه السلام: اعلموا أنّكم إن اتّبعتم طالع المشرق سلك بكم مناهج الرسول ﷺ فتداويتم من العمى والصمم والبكم...

وقال عليه السلام: إنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا أبصاركم[٤].

فالقلب يمرض كما يمرض الجسد، وربما بعض الأمراض ـ والعياذ بالله ـ تؤدّي

---

(١) يونس: ٥٧.

(٢) الإسراء: ٨٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨.

(٤) ميزان الحكمة ٨: ٢٤٣.

إلى الموت ومفارقة الحياة، كذلك مرض القلب ربما ينتج موته لولا معالجته واستشفاءه.

فمن سهام الموت عشق الدنيا، فإنّ الحبّ المفرط كما يعمي ويصمّ، فإنّه ربما ينتهي بصاحبه إلى الموت.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : من عشق شيئاً أعشى بصره، وأمرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأُذن غير سميعة، قد خرقت الشهوات عقله وأماتت الدنيا قلبه.

وقال عليه السلام : من قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار.

وفي مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام : إلهي ألبستني الخطايا ثوب مذلّتي، وجلّلني التباعد منك لباس مسكنتي، وأمات قلبي عظيم جنايتي، فأحيِهِ بتوبةٍ منك يا أملي وبُغيتي...

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إيّاك وكثرة الضحك، فإنّه يميت القلب.

وقال صلى الله عليه وآله : ثلاث مجالستهم تميت القلب : مجالسة الأنذال، ومجالسة الأغنياء، والحديث مع النساء.

وقال : اربعٌ مفسدة للقلوب : الخلوة بالنساء، والاستماع منهن والأخذ برأيهن، ومجالسة الموتى، فقيل له : وما مجالسة الموتى ؟ قال : مجالسة كلّ ضالّ عن الايمان وجائر في الأحكام.

وقال : أربعٌ يمتن القلب : الذنب على الذنب، وكثرة مناقشة النساء ـ يعني محادثتهن ـ ومماراة الأحمق، تقول ويقول ولا يرجع إلى خير، ومجالسة الموتى. فقيل : يا رسول الله، وما الموتى ؟ قال : كلّ غنيّ مترف.

وإذا مات القلب فلا ييأس الإنسان، فإنّ هناك ما يحيي قلبه الميّت بإذن الله

سبحانه، كما تحيى الأرض الميّتة بالمطر وأشعّة الشمس.

فما يوجب حياة القلوب المواعظ والنصائح من أهلها.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : أحيي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة.

وقال عليه السلام : معاشرة ذوي الفضائل حياة القلوب.

وقال عليه السلام : اعلموا أنّه ليس من شيء إلّا ويكاد صاحبه يشبع منه ويملّه إلّا الحياة، فإنّه لا يجد في الموت راحة، وإنّما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميّت وبصر للعين العمياء وسمع للأذن الصمّاء.

وقال عليه السلام : إنّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن... وفيه ربيع القلب وينابيع العلم.

قال المسيح بن مريم عليه السلام : يا بني إسرائيل زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جثواً على الركب، فإنّ الله يحيي القلوب الميّتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل المطر.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تذاكر العلم بين عبادي ممّا يحيي عليه القلوب الميّتة إذا هم انتهوا فيه إلى أمري.

وقال لقمان لابنه : يا بني، جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإنّ الله عزّ وجلّ يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء.

قال الإمام الحسن عليه السلام : التفكّر حياة قلب البصير.

وقال عليه السلام : عليكم بالفكر، فإنّه حياة قلب البصير، ومفاتيح أبواب الحكمة.

وإذا كانت الذنوب والمعاصي وحبّ الدنيا والشهوات تهدم بنيان القلوب وتخرّب نضارتها، فإنّ عمارة القلوب أُمور :

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : لقاء أهل الخير عمارة القلب.

وقال عليه السلام : لقاء أهل المعرفة عمارة القلوب ومستفاد الحكمة.

وقال عليه السلام : عمارة القلوب في معاشرة ذوي العقول.

ومن وصاياه لابنه الحسن عليه السلام : أُوصيك بتقوى الله ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره.

وإذا كان القلب يخشن ويقسو ويمرض، فهناك ما يليّنه ويرقّقه ويجعله كالماء العذب الصافي.

قال الإمام الباقر عليه السلام : تعرّض لرقّة القلب بكثرة الذكر في الخلوات.

وقد شكى رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قساوة قلبه فقال : إذا أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم.

وقال : عوّدوا قلوبكم الرقّة، وأكثروا من التفكّر، والبكاء من خشية الله.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : أحيي قلبك بالموعظة... وذلّله بذكر الموت... وبصّره فجائع الدنيا، وحذّره صولة الدهر وفحش تقلّب الليالي والأيام، وأعرض عليه أخبار الماضين.

ورُئي عليه عليه السلام إزار خَلَق مرقوع، فقيل له في ذلك، فقال : يخشع له القلب، وتذلّ به النفس، ويقتدي به المؤمنون.

وهذا يعني أنّ الإنسان عليه أن يفعل هذه الأفعال متقرّباً بها إلى الله سبحانه ليخشع قلبه، ولا يطغى وتتجبّر نفسه وتتفرعن حتّى تدّعي الربوبية، وتنسى أنّ أوّلها نطفة وآخرها جيفة، وبينهما تحمل العذرة.

والقلب كالمرآة والذنوب غبار عليه تحجبه أن ينطبع فيه الحقائق وينعكس فيه أنوار الحكمة والعلم، فإذا غبّر القلب ووسخ إثر المعاصي والغفلات فهناك

ما يجلّيه ويمسح عنه الغبار والتلوّث.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : إنّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن... وما للقلب جلاء غيره.

وقال عليه السلام : إنّ الله سبحانه جعل الذكر جلاءً للقلوب تسمع به بعد الوقرة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : جلاء هذه القلوب ذكر الله وتلاوة القرآن.

وقال صلى الله عليه وآله : إنّ للقلوب صدأ كصدأ النجاس، فاجلوها بالاستغفار.

وقال صلى الله عليه وآله : كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن جلاء القلوب.

وإذا اسودّ القلب واظلمّ فناوه فاستعذ بالله من ظلمات القلوب ونوّره بالدعاء، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا مقلّب القلوب، يا طبيب القلوب، يا منوّر القلوب، يا أنيس القلوب.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : اليقين نور.

وقال عليه السلام : أحيي قلبك بالموعظة... ونوّره بالحكمة.

وقال عليه السلام : إنّ الإيمان يبدو لمظة في القلب، كلّما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة.

وإذا فسد القلب فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أمّا علامة الصالح فأربعة : يصفّي قلبه، ويصلح عمله، ويصلح كسبه، ويصلح أُموره كلّها.

وقال صلى الله عليه وآله : لا يستقيم إيمان عبد حتّى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه.

وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : أصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله.

وفي المناجاة عن الإمام زين العابدين عليه السلام : وسقمي لا يشفيه إلّا طبّك، ورين قلبي لا يجلوه إلّا عفوك.

وإذا ضعف القلب فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أصل قوّة القلب التوكّل على الله.

وقال: وقوّه باليقين.

قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ قوّة المؤمن في قلبه، ألا ترون أنّكم تجدونه ضعيف البدن نحيف الجسم وهو يقوم الليل ويصوم النهار.

فللقلب حالات وحالات:

قال الإمام الصادق عليه السلام: النظر في العواقب تلقيح القلوب.

وقال الأمير عليه السلام: بيان الرجل ينبئ عن قوّة جنانه.

وقال عليه السلام: إنّ للقلوب شواهد تجري الأنفس عن مدرجة أهل التفريط.

وقال عليه السلام: القلب بالتعلّل رهين.

وقال عليه السلام: إنّ للقلوب خواطر سوء والعقول تزجر عنها.

وقال المسيح عليه السلام: اجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوى، ولا تجعلوا مأوى للشهوات.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها[١].

قال الأمير عليّ عليه السلام: حرام على كلّ قلب معلول بالشهوة أن ينتفع بالحكمة[٢].

وقال عليه السلام: لا تسكن الحكمة قلباً مع شهوة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أصبح وأمسى والآخرة أكبر همّه جعل الله الغنى في

---

(١) الروايات من كتاب ميزان الحكمة ٨: ٢١٢ ـ ٢٥٢، فراجع.

(٢) ميزان الحكمة ١٠: ٣٨٥.

قلبه، وجمع له أمره ولم يخرج من الدنيا حتّى يستكمل رزقه، ومن أصبح وأمسى والدنيا أكبر همّه جعل الله الفقر بين عينيه، وشقّت عليه أمره ولم ينل من الدنيا إلّا قسّم له[١].

قال الأمير عليّ عليه السلام: سلوا القلب عن المودّات فإنّها شواهد لا تقبل الرُّشا[٢].

سئل عن الصادق عليه السلام: الرجل يقول: إنّي أودّك فكيف أعلم أنّه يودّني؟ قال: امتحن قلبك فإن كنت تودّه فإنّه يودّك.

وقال عليه السلام: انظر إلى قلبك فإن أنكر صاحبك فقد أحدث أحدكما.

قال الإمام الهادي عليه السلام: لا تطلب الصفا ممّن كدرت عليه، ولا النصح ممّن صرفت سوء ظنّك إليه، فإنّما قلب غيرك لك كقلبك له.

قال الإمام الباقر عليه السلام: اعرف المودّة لك في قلب أخيك بما له في قلبك.

ومن حالات القلب أنّه يكون بمنزلة المدينة الحصينة كما جاء في الخبر الشريف: عن شعيب الحدّاد، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول: إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، أو مدينة حصينة، قال عمرو: فقلت لشعيب: يا أبا الحسن، وأيّ شيء المدينة الحصينة؟ قال: فقال: سألت الصادق عليه السلام عنها فقال لي: القلب المجتمع.

«بيان: المراد بالقلب المجتمع، القلب الذي لا يتفرّق بمتابعة الشكوك والأهواء ولا يدخل فيه الأوهام الباطلة والشبهات المضلّة، والمقابلة بينه وبين الثالث إمّا

---

(١) بحار الأنوار ٧٧: ١٥١.

(٢) ميزان الحكمة ؟؟: ٤٩.

بمحض التعبير، أي إنّ شئت قل هكذا، وإن شئت هكذا، أو يكون المراد بالأوّل الفرد الكامل من المؤمنين، وبالثاني من دونهم في الكمال».

وللقلب ربيع، وربيعه هو التفقّه في القرآن الكريم، كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «وتعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث، وتفقّهوا فيه فإنّه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنّه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنّه أنفع القصص»[١].

والقلب كما يموت بالذنوب والمعاصي، ربما يموت بأُمور أُخرى، قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإنّ القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء[٢].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١١٠.

(٢) طبّ الإمام الصادق عليه السلام: ١٨.

الفصل التاسع

حقيقة القلوب في رحاب الروايات

عقدت هذا الفصل لمن أراد التحقيق حول القلب من خلال الروايات الشريفة، وكما هو واضح لأرباب التحقيق أنّ بحار الأنوار لشيخنا المجلسي ﷺ يعدّ من أكبر الموسوعات الروائية، ففي الرجوع إليه غنىً وكفاية. ومن هذا المنطلق سأذكر أهمّ الروايات التي وردت فيها كلمة القلب والقلوب ـ مع حذف المكرّرات ـ وذلك من خلال المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث بحار الأنوار بإشراف علي رضا برازش (المجلّد ٢٣ من صفحة ١٦٨٤١ إلى ١٦٨٩٩)، وقد وردت كلمة القلب ومشتقّاتها في أكثر من (٧٩٠٠) مورداً، فراجع، ولا يخفى أنّ رمز (ج) إشارة إلى المجلّد، و (ص) الصفحة، و (س) السطر، والله المستعان.

		ج	ص	س
١	ـ أشدّ من ذلك مرض القلب	٨	٨٨	١٨
٢	ـ العقل مسكنه القلب	١	٩٨	١٢
٣	ـ النور في القلب	١	٢١٩	١٩

		ج	ص	س
٤	ـ الخصومة في الدين ـ تشغل القلب	٢	١٢٨	٢
٥	ـ النكتة السوداء في القلب	٢	٢٠٦	١٤
٦	ـ القرآن ـ فيه ربيع القلب	٢	٣١٣	١
٧	ـ ما يحتمل هذا العقل ولا يقبله القلب	٣	١٥٧	١
٨	ـ فأدّت العين ذلك إلى القلب	٣	١٦٤	١٥
٩	ـ فأدّت الاذن ـ بمقالة الأنبياء إلى القلب	٣	١٦٥	١٩
١٠	ـ ليس ـ يفعل ـ شيئاً بغير اذن القلب	٣	١٦٩	٩
١١	ـ الغضب شيئان ـ أحدهما في القلب	٣	١٦٩	١٣
١٢	ـ كما تخرج المعرفة والتميز من القلب	٣	٢٢٤	٩
١٣	ـ بلغ في الخطاب شجاع القلب	٤	٣٠٤	١٢
١٤	ـ النيّة حاسّتها القلب	٥	٧٩	١٩
١٥	ـ الحقيقة ـ تصديق في القلب	٦	٢٧	١٤
١٦	ـ معناه : من كان في الدنيا أعمى القلب	٨	٩	١٢
١٧	ـ إقرار بعضهم باللسان دون القلب	٨	١٦٥	٣
١٨	ـ من كان حيّاً ـ يعني مؤمناً حيّ القلب	٩	٢٣٢	٣
١٩	ـ فقال ـ تحزن النفس، ويجزع القلب	١٠	٣٣	٢٠
٢٠	ـ صوم شعبان يذهب ـ بلابل القلب	١٠	٩١	٨
٢١	ـ الكُمثرى يجلو القلب	١٠	١١٠	١٣
٢٢	ـ الخلّ يكسر المرّة ويحيي القلب	١٠	١١٥	٥

		ج	ص	س
٢٣	ـ فيخبرهم بأشياء ـ من ـ ذكاء القلب	١٠	١٦٨	٨
٢٤	ـ الشغاف هو حجاب القلب	١٢	٢٥٣	١٥
٢٥	ـ قوله ـ فخذها بقوّة ـ أي قوّة القلب	١٣	٢١٤	١٢
٢٦	ـ يا موسى كن خلق الثبوت نقيّ القلب	١٣	٣٣١	٥
٢٧	ـ كن خلق الثياب جديد القلب	١٣	٣٣٢	٩
٢٨	ـ لا تنسني فإنّ نسياني يميت القلب	١٣	٣٤٤	٢
٢٩	ـ يا بني إنّ أشدّ العدم عدم القلب	١٣	٤٢١	١
٣٠	ـ أنفع الغنى غنى القلب	١٣	٤٢١	٢
٣١	ـ كان داود ـ قليل الشعر طاهر القلب	١٣	٤٥١	١٥
٣٢	ـ القسوة والرقّة من القلب	١٤	٤١١	٩
٣٣	ـ حبيبي أحمد ـ الطاهر القلب	١٤	٢٩٦	٨
٣٤	ـ شكا إلى الله ـ قسوة القلب	١٤	٤٦٠	٤
٣٥	ـ ردّ المقلبة إلى القلب	١٥	٣٥٢	١٨
٣٦	ـ حتّى لا يدخل لُبس على ضعيف القلب	١٦	١٢٩	١٤
٣٧	ـ الإثم ما تردّد في الصدر وجال في القلب	١٧	٢٢٩	١٠
٣٨	ـ وحي مشافهة ـ وهو الذي يقع في القلب	١٨	٢٥٤	١٢
٣٩	ـ ولو كنت فظاً غليظ القلب	٢٠	٦١	٩
٤٠	ـ شرّ العمى عمى القلب	٢١	٢١١	٥
٤١	ـ قام ثالث منافق مريض القلب	٢٢	١٤٨	١

		ج	ص	س
٤٢	ـ قال النبيّ ـ تدمع العين ويحزن القلب	٢٢	١٥٧	٩
٤٣	ـ أفليس في هذا الجوارح غنىً عن القلب	٢٣	٢٢٤	٣
٤٤	ـ وصفهم ـ بالعبادة والخشوع ورقّة القلب	٢٣	٢٢٤	٣
٤٥	ـ علمنا ـ نكت في القلب	٢٦	٦٠	٥
٤٦	ـ لا يزال محبّنا باكي العين حزين القلب	٢٧	١٩٨	١٠
٤٧	ـ فثمّ يكفني الله بكمال القلب	٣٢	١٣٠	٧
٤٨	ـ ما يصبر عليه إلّا كلّ قويّ القلب	٣٢	٤٠٣	٣
٤٩	ـ أنت الجلف المنافق الأغلف القلب	٣٣	٨٧	١٠
٥٠	ـ من ولدك جلف جاف منكوس القلب	٣٣	٥٢٧	٧
٥١	ـ عليه من البهاء ما يأخذ بمجامع القلب	٣٥	٥٣٩	٨
٥٢	ـ يقتدي به المؤمنون ويخشع له القلب	٤٠	٣٢٣	٨
٥٣	ـ يا عمران ـ إنّ لكلّ شيء موقعاً من القلب	٤٣	٢٦٩	١٣
٥٤	ـ فهو يتكلّم بما ليس في القلب	٤٤	٧٥	٣
٥٥	ـ فمن صامها ـ لقي الله ـ ممسوخ القلب	٤٥	٩٥	٣
٥٦	ـ يا محمّد العقل من القلب	٤٧	١٥	١٥
٥٧	ـ لئن كنت عيّ اللسان فما أنت بعيّ القلب	٤٧	٩١	١٤
٥٨	ـ وعارض فيك الشكّ أثبتك القلب	٤٨	١٠٧	٣
٥٩	ـ احتجّ بأنّ بدء النفاق ونشوئه في القلب	٥٢	٧٩	١٥
٦٠	ـ يقدمهم رجل أسود اللون والقلب	٥٢	٢٢٦	١٧

		ج	ص	س
٦١	ـ ماء نيل مصر يميت القلب	٦٠	٣٨	٩
٦٢	ـ إنّ في الجسد مضغة ـ ألا وهي القلب	٦١	٢٣	١٣
٦٣	ـ انكشف ذلك الطبق ـ فأضاء القلب	٦١	٣٧	٥
٦٤	ـ لها خاصيّتان ـ وانبعاثها من القلب	٦١	٨٥	٧
٦٥	ـ إذا فسدت فسد سائره وهي القلب	٦١	١٠٣	١٣
٦٦	ـ استنشق تلك الرائحة إلى القلب	٦١	٢٠٥	١
٦٧	ـ الغلظة في الكبد ـ والعقل مسكنه القلب	٦١	٣٠٤	١٨
٦٨	ـ أين باب العلم والفهم والحكمة ـ القلب	٦١	٣٣١	١٢
٦٩	ـ كلو الكمثرى فإنّه يجلو القلب	٦٢	١٧١	٢
٧٠	ـ الخلّ يحيي القلب	٦٢	٢٨٢	٥
٧١	ـ طعام الياس ـ يذكي القلب	٦٢	٢٨٤	٢٢
٧٢	ـ البصل ـ يشدّ القلب	٦٢	٢٨٥	١٣
٧٣	ـ العسل ـ يرعى القلب	٦٢	٢٩٥	١٤
٧٤	ـ البطّيخ فاكهة ـ مقدّسة القلب	٦٢	٢٩٦	٢٠
٧٥	ـ عليكم بالزبيب ـ فإنّه يحسن القلب	٦٢	٢٩٨	٣
٧٦	ـ فلك الجسد هو القلب	٦٢	٣٠٩	١٣
٧٧	ـ فيخبرهم ـ من ـ ذكاء القلب	٦٣	٧٦	٩
٧٨	ـ إنّ إبليس يلتقم القلب	٦٣	١٩٧	١٤
٧٩	ـ الدم يورث الكلب وقساوة القلب	٦٥	١٦٤	١

		ج	ص	س
٨٠	ـ الخمر تورث قساوة القلب	٦٥	١٦٦	١٤
٨١	ـ حبّة تقع في المعدة ـ أنارت القلب	٦٦	١٦٩	١٠
٨٢	ـ خذها يا أبا محمّد فإنّها تجمّ القلب	٦٦	١٦٧	١٢
٨٣	ـ عليكم بالسفرجل فإنّه يجلو القلب	٦٦	١٧٠	١٤
٨٤	ـ خذها وكلها فإنّها تذكي القلب	٦٦	١٦٩	١٨
٨٥	ـ يا جعفر كلّ السفرجل فإنّه يقوّي القلب	٦٦	١٧٠	١٤
٨٦	ـ كلوا السفرجل ـ ينبت المودّة في القلب	٦٦	١٧٦	٨
٨٧	ـ الكرفس ـ يورث الحفظ ويذكي القلب	٦٦	٢٤٠	١
٨٨	ـ عليكم بالعدس ـ فإنّه يرقّ القلب	٦٦	٢٥٧	١٨
٨٩	ـ العسل يقلّ البلغم ويجلو القلب	٦٦	٢٩٤	٤
٩٠	ـ فرض على اللسان التعبير عن القلب	٦٧	٢١	١٠
٩١	ـ (من كان حيّاً) أي مؤمناً حيّ القلب	٦٧	٤٥	٢٢
٩٢	ـ عين في الرأس وعين في القلب	٦٨	٣٦	١٤
٩٣	ـ عينان في الرأس وعينان في القلب	٦٨	٨٢	١
٩٤	ـ إنّ القسوة والرقّة من القلب	٦٨	٢٣٩	٣
٩٥	ـ الإسلام علانية ـ والإيمان في القلب	٦٨	٢٣٩	١٩
٩٦	ـ الإيمان ما استقرّ في القلب	٦٨	٢٥١	٢
٩٧	ـ الإيمان ما خلص في القلب	٦٩	٧٢	١٦
٩٨	ـ لجوارح الإنسان إماماً هو القلب	٦٩	٧٩	١١

	ج	ص	س
٩٩ ـ الإيمان يبدو لمظة في القلب	٦٩	١٩٦	١٥
١٠٠ ـ أشرق نور اليقين في القلب	٧٠	٢٣	١
١٠١ ـ حبّ الله ورثه القلب	٧٠	٢٥	٦
١٠٢ ـ اللمّة والهمّة والخطرة تقع في القلب	٧٠	٥٠	٩
١٠٣ ـ شرّ العمى عمى القلب	٧٠	٥١	٣
١٠٤ ـ أشدّ من ذلك مرض القلب	٧٠	٥١	٥
١٠٥ ـ من علامات الشقاء قسوة القلب	٧٠	٥٢	٥
١٠٦ ـ إنّ لله في عباده آنية وهو القلب	٧٠	٥٦	١
١٠٧ ـ الحكمة ـ ألا وهي في القلب	٧٠	٥٦	١
١٠٨ ـ في العزلة فراغ القلب	٧٠	١١٠	١٥
١٠٩ ـ صاحب النيّة الصادقة صاحب القلب	٧٠	٢١٠	٦
١١٠ ـ لا يغرّنك بكاؤهم ـ فإنّ التقوى في القلب	٧٠	٢٨٣	١١
١١١ ـ الخوف رقيب القلب	٧٠	٣٩٠	١٩
١١٢ ـ بموت النفس يكون حياة القلب	٧٠	٣٩١	٢
١١٣ ـ ثلاثة مجالستهم تميت القلب	٧١	٩	٣
١١٤ ـ تفسير الرضا ـ سرور القلب	٧١	١٤٩	١١
١١٥ ـ كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسو القلب	٧١	٢٨١	١٦
١١٦ ـ الصمت ـ معه ـ زوال قسوة القلب	٧١	٢٨٤	٨
١١٧ ـ اللسان ـ صاحب خبر القلب	٧١	٢٨٥	١٤

	ج	ص	س
١١٨ ـ عيّ اللسان لا عيّ القلب	٧١	٢٨٩	٢٠
١١٩ ـ الفقه هو العلم الربّاني المستقرّ في القلب	٧١	٢٩٥	١
١٢٠ ـ الاستعاذة من فقر القلب	٧٢	٧	١٥
١٢١ ـ أفضل من صحّة البدن تقوى القلب	٧٢	٥٣	١٤
١٢٢ ـ الفقر فقر القلب	٧٢	٥٦	١٢
١٢٣ ـ علامة الشقاء جمود العين وقسوة القلب	٧٢	١٠٧	٧
١٢٤ ـ المختال الحسود الحقود القاسي القلب	٧٢	١١٠	٤
١٢٥ ـ لا يطمعن الحسود في راحة القلب	٧٢	١٩٠	٤
١٢٦ ـ جودة الثياب خيلاء القلب	٧٣	٢٠٧	٧
١٢٧ ـ الحسد أصله من عمى القلب	٧٣	٢٥٥	٧
١٢٨ ـ أربع يمتن القلب	٧٣	٣٤٩	١٣
١٢٩ ـ الذنب مقساة القلب	٧٣	٣٩٨	١٩
١٣٠ ـ أحسنوا ـ تغنموا بها صفاء القلب	٧٥	١٩٦	١٦
١٣١ ـ حبّ المال والجاه ينبتان النفاق في القلب	٧٥	٢٠٥	٢٠
١٣٢ ـ ذلك داء ـ يورث قساوة القلب	٧٥	٣٦٧	٤
١٣٣ ـ يا عليّ ثلاث يقسين القلب	٧٥	٣٧٠	١٧
١٣٤ ـ أربع يفسدن القلب	٧٥	٣٧٠	٢٠
١٣٥ ـ أربع ينبتن النفاق في القلب	٧٥	٣٧٠	٢٠
١٣٦ ـ إيّاك وكثرة الضحك فإنّه يميت القلب	٧٦	٥٩	٥

	ج	ص	س
١٣٧ ـ لا تمشّط ـ فإنّه يورث الضعف في القلب	٧٦	١١٥	١٠
١٣٨ ـ امتشط وأنت جالس فإنّه يقوّي القلب	٧٦	١١٥	١٠
١٣٩ ـ الريح الطيّبة تشدّ القلب	٧٦	١٤٠	١٢
١٤٠ ـ هموم الدنيا لا تخلو عن الظلمة في القلب	٧٦	٣٢٠	١٧
١٤١ ـ عليكم باللبان فإنّه يمسح الحزن عن القلب	٧٦	٣٢١	٤
١٤٢ ـ الملاهي تورث قساوة القلب	٧٦	٣٥٦	١٣
١٤٣ ـ ما ميراث الجوع ؟ قال ـ حفظ القلب	٧٧	٢٢	١٦
١٤٤ ـ دخل النور القلب انفسح القلب	٧٧	٨٣	١٩
١٤٥ ـ التصبّر على المكروه يعصم القلب	٧٧	٢٠٩	٦
١٤٦ ـ يا كميل إنّ اللسان يبوح من القلب	٧٧	٢٧٥	١٧
١٤٧ ـ النظر إلى البخيل يقسي القلب	٧٨	٥٣	٨
١٤٨ ـ اطلب راحة البدن بإجمام القلب	٧٨	١٦٤	٩
١٤٩ ـ إيّاك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب	٧٨	١٦٤	٩
١٥٠ ـ لا سلامة كسلامة القلب	٧٨	١٦٤	١٨
١٥١ ـ ما ضرب ـ بعقوبة أعظم من قساوة القلب	٧٨	١٧٦	١٠
١٥٢ ـ الإيمان ثابت في القلب	٧٨	١٨٦	١٦
١٥٣ ـ العقل والهوى يصطرعان في القلب	٧٨	٤٣٣	٩
١٥٤ ـ من لا يغار فإنّه منكوس القلب	٧٩	١١٥	٨
١٥٥ ـ في ذلك ـ يخشع له القلب	٧٩	٣١٢	١١

	ج	ص	س
١٥٦ ـ ثمّ سنّ على أُمّتي المضمضة لتنقي القلب	٨٠	٢٢٩	١٨
١٥٧ ـ إن قضى بينكما ولد يكون أعمى القلب	٨٠	٢٠٩	١٥
١٥٨ ـ فقدن منهن واحدة لم يزل مشغول القلب	٨١	١٧١	١٦
١٥٩ ـ الشهادة لا تجوز إلّا بمعرفة من القلب	٨٤	١٣٢	١١
١٦٠ ـ أقبل على الله بجميع القلب	٨٤	٢٠٥	١٦
١٦١ ـ لا صلاة إلّا بإسباغ ـ وإفراغ القلب	٨٤	٢٤٣	٤
١٦٢ ـ أدب الصلاة حضور القلب	٨٤	٢٤٦	١١
١٦٣ ـ في رفع اليدين ـ إقبال القلب	٨٤	٣٦٣	٤
١٦٤ ـ الحمد لله الذي ـ لم يتركني عميان القلب	٨٦	٢٨٢	١٤
١٦٥ ـ اللهمّ وأستغفرك لكلّ ذنب يميت القلب	٨٧	٣٣٤	٣
١٦٦ ـ هذا القرآن ـ فيه ربيع القلب	٩٢	٢٤	١٤
١٦٧ ـ ليجعل الجوارح الإنسان إماماً ـ هو القلب	٩٣	٥٥	٧
١٦٨ ـ الذكر مقسوم على السرّ ـ والقلب	٩٣	١٥٨	١٨
١٦٩ ـ لسانك لا تحرّكه إلّا بإشارة القلب	٩٣	١٥٨	١٤
١٧٠ ـ الذكر ذكران ـ ذكر خالص يوافقه القلب	٩٣	١٥٩	١
١٧١ ـ إنّ أبعد الناس من الله القاسي القلب	٩٣	١٦٤	١٦
١٧٢ ـ إلهي ينام كلّ ذي عين ـ وأنا وجل القلب	٩٤	١٤٠	١٨
١٧٣ ـ رقية لوجع القلب	٩٥	١٠٢	٤
١٧٤ ـ الصوم ـ فيه صفاء القلب	٩٦	٢٥٤	١١

	ج	ص	س
١٧٥ ـ الإفطار على الماء يغسل ذنوب القلب	٩٦	٢٩٤	٣
١٧٦ ـ فإنّه آية إجابة هذا الدعاء حرقة القلب	٩٧	٢١	٣
١٧٧ ـ لم يمت قلبه يوم يموت القلب	٩٨	٤١٥	٧
١٧٨ ـ علّة الحجّ ـ ترك قساوة القلب	٩٩	٣٢	٢٠
١٧٩ ـ فإنّ المقام بمكّة يقسي القلب	٩٩	٨١	١٢
١٨٠ ـ إن قضى بينكما ولد يكون أعمى القلب	١٠٣	٢٨٢	٥
١٨١ ـ يكون طيّب النكهة من الفم رحيم القلب	١٠٣	٢٨٣	١
١٨٢ ـ المسكة هي القلب	١٠٤	٣٦	١٤
١٨٣ ـ اطلبوا الولد فإنّه ريحانة القلب	١٠٤	٨٤	٢٠
١٨٤ ـ إنّ الله ـ خلق القلب أخضر	١٠	٢٠٢	٢
١٨٥ ـ فإنّ القلب إذا أُكره عُمي	٧١	٢١٧	١٦
١٨٦ ـ إنّ القلب إذا صفا ضاقت به الأرض	٧٣	٥٦	٩
١٨٧ ـ فإنّ القلب إذا همّ بالنظر فتح	٦١	٢٤٩	٢١
١٨٨ ـ يا عليّ ثلاث يقسين القلب استماع اللهو	٧٧	٤٦	٧
١٨٩ ـ إذا ورثه القلب ـ أسرع إليه اللطف	٣٦	٤٠٣	٢٠
١٩٠ ـ يا من بيده صلاح القلب أصلحه لي	٩٨	٢٣	١٤
١٩١ ـ يا مولاي ـ لا يقنع القلب إلّا بمجاورتك	١٠١	٢٤٩	١٠
١٩٢ ـ يعرف القلب الأشياء كلّها بالدلالات	٣	١٥٣	١٧
١٩٣ ـ فرض الله ـ على القلب ـ الإقرار والمعرفة	٦٩	٢٤	١٩

	ج	ص	س
١٩٤ ـ فإنّ التلقين حياة القلب البصير	٧٨	١١٢	١٦
١٩٥ ـ بحياة القلب البلوغ إلى الاستقامة	٧٠	٣٩١	٢
١٩٦ ـ يا مداوي القلب الجريح	٨٦	٦٨	١٤
١٩٧ ـ اغفر ـ لهذا القلب الجزوع	٩٧	٢٢٩	٤
١٩٨ ـ إنّ التلبين يجلو القلب الحزين	٦٦	٩٦	١٢
١٩٩ ـ أربع يمتن القلب : الذنب على الذنب	١٠٣	٢٤٢	٨
٢٠٠ ـ القلب الذي سلم من حبّ الدنيا	٧	١٥٢	١٢
٢٠١ ـ القلب الذي ليس فيه اليقين ـ يفسد عليه	١٠١	١٢٦	٢١
٢٠٢ ـ إن تعلم أنّ القلب الذي هو معدن العقل	٦١	٥٦	٢٢
٢٠٣ ـ القلب السليم ـ الذي ليس فيه أحد سواه	٧٠	٥٤	٦
٢٠٤ ـ صاحب ـ القلب الشاكر ـ الشكور	١٦	١٠٧	٤
٢٠٥ ـ ذكر القلب الصدق والصفا	٩٣	١٥٤	٤
٢٠٦ ـ إنّ الله ـ أعطى المؤمن ـ القلب الصريح	٦٧	٣٠٣	٣
٢٠٧ ـ من القلب الطمأنينة بذكره وذكرهم	٦٧	٣٠٣	٤
٢٠٨ ـ علم في القلب ـ العلم النافع	٢	٣٣	١٤
٢٠٩ ـ لا يعطي الله القلب الغافل شيئاً	٨٤	٢٠٥	٢٢
٢١٠ ـ أبعد الناس من الله القلب القاسي	٧١	٢٨١	١٦
٢١١ ـ الصدف على القلب ـ الكذب	١٠٣	٢٠٦	١٥
٢١٢ ـ لا يخالف ـ القلب اللسان	٧١	١١	٨

	ج	ص	س
٢١٣ ـ يا من يعلم ـ سرائر القلب المكنون	٨٦	٣١٥	٢
٢١٤ ـ نظر القلب إلى ذلك وجدها متّصلة بالسماء	٣	١٦٣	١٢
٢١٥ ـ خير ما دار في القلب اليقين	٢	٥٤	١١
٢١٦ ـ دلّت القلب أنّ لها صانعاً	٣	١٦٣	٧
٢١٧ ـ فعرف القلب ـ أنّ مدبّر الأشياء ـ الله	٣	١٦٥	٤
٢١٨ ـ فعرف القلب ـ أنّ مدبّر الأُمور واحد	٦١	٥٩	١٦
٢١٩ ـ النور إذا وقع في القلب انشرح وانفسح	٧٧	٩٥	١٥
٢٢٠ ـ كان مطمئنّ القلب بالإيمان	٥	٧٩	٤
٢٢١ ـ حتّى يطهر ـ القلب بالتوبة	٨٠	٣٤٦	١٩
٢٢٢ ـ إذا همّ القلب بالشرّ استنشق بقلبه	٦١	٢٥٠	١
٢٢٣ ـ فضول المطعم فإنّه يسم القلب بالقسوة	٧٧	١٨٤	٩
٢٢٤ ـ تعلّق القلب بالموجود شرك	٧١	١٤٩	١٢
٢٢٥ ـ الفهم من القلب بجميع ذلك كلّه	٥٧	٥٢	٥
٢٢٦ ـ استجلب نور القلب بدوام الحزن	٧٨	١٦٤	٥
٢٢٧ ـ الطمع ـ يشوب القلب بشدّة الحرص	٧٢	١٩٩	١٤
٢٢٨ ـ فعرف القلب بعقله ـ الواحد العزيز	٣	١٦٥	١٤
٢٢٩ ـ تعرّض لرقّة القلب بكثرة الذكر	٧٨	١٦٤	٤
٢٣٠ ـ ذكر الموت ـ يقوى القلب بمواعد الله	٦	١٣٣	٨
٢٣١ ـ أمر القلب بيدك	٩٨	٣	٦

	ج	ص	س
٢٣٢ ـ يأتي على القلب تارات ـ الشكّ	٧٠	٥٩	١٠
٢٣٣ ـ القلب حرم الله	٧٠	٢٥	٢٣
٢٣٤ ـ كن ـ خاشع القلب حين تذكرني	١٤	٢٩٣	٢١
٢٣٥ ـ تفكّر القلب حين دلّته العين على ما عاينت	٦١	٥٧	١٧
٢٣٦ ـ إذا خبث القلب خبث الجسد	٧٠	٥٠	٢٠
٢٣٧ ـ إذا فسد القلب ذهب جميعاً حتّى لا يسمع	٣	١٦٩	١٣
٢٣٨ ـ في تفكّر خير من قيام ليلة والقلب ساهٍ	٧٧	٨٤	٢٢
٢٣٩ ـ استقامة القلب صدق الاعتذار	٩٣	١٥٤	١
٢٤٠ ـ إذا صلح القلب ـ صلح ذلك كلّه	٦١	٣٣١	١٢
٢٤١ ـ خلق الله القلب طاهراً صافياً	٧٦	١٣٤	٢٢
٢٤٢ ـ يستدلّ به القلب على الربّ	٣	١٦٥	١٣
٢٤٣ ـ النيّة تبدو من القلب على قدر ـ المعرفة	٧٠	٢١٠	١٤
٢٤٤ ـ النيّة إقبال القلب على ما قال وقصد	٦	٧٣	٣
٢٤٥ ـ أعمى القلب ـ عن ولاية أمير المؤمنين	٣٦	١٠١	١٦
٢٤٦ ـ فرض على القلب غير ما ـ على السمع	٦٩	٢٤	٨
٢٤٧ ـ يا من بيده سلامة القلب فاجعله سالماً لي	٩٨	٢٣	١٤
٢٤٨ ـ فمن عنى برؤية القلب فهو مصيب	٣٦	٤٠٦	١٣
٢٤٩ ـ بياض القلب في أربع خصال	٨	١٤٥	٤
٢٥٠ ـ خفض القلب في الاشتغال بغير الله	٧٠	٥٥	١١

	ج	ص	س
٢٥١ ـ فرفع القلب في ذكر الله	٧٠	٥٥	١٠
٢٥٢ ـ القلب قلب حيوان	٢	٥٧	٨
٢٥٣ ـ فلِمَ كان القلب كحبّ الصنوبر ؟	١٠	٢٠٥	٢٢
٢٥٤ ـ العقل في القلب كمثل السراج	١	٩٩	٩
٢٥٥ ـ فإنّ القلب لا يرقّ حتّى يخلص	٩٣	٣٤٥	٩
٢٥٦ ـ إنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح	٢٣	٨	٣
٢٥٧ ـ القلب ـ له موادّ من الحكمة	٧٠	٦٠	١٥
٢٥٨ ـ القلب لتجلجل في الجوف يطلب الحقّ	٦٩	٣١٧	١٩
٢٥٩ ـ إنّ القلب ليواقع الخطيئة	٧٠	٥٤	١٧
٢٦٠ ـ إنّ القلب مالك لجميع الحواسّ	٥	٨٠	٧
٢٦١ ـ قام منافق مريض القلب مبغض لله	٢٢	١٤٧	١٩
٢٦٢ ـ تميت القلب ـ مجالسة الأنذال	١٠٣	٢٤٢	٦
٢٦٣ ـ إنّ المعرفة ـ في القلب مخلوقة	٥	٣٠	٢٠
٢٦٤ ـ الله ـ جعل القلب مدبّراً للجسد	٣	١٦٩	١٠
٢٦٥ ـ عيّ اللسان لا عيّ القلب من الإيمان	٤٧	٦١	١٥
٢٦٦ ـ سنّ ـ المضمضة لتنقي القلب من الحرام	٩	٢٩٧	٩
٢٦٧ ـ من أراد ـ راحة القلب من الحسد	٧٨	٣٠٢	٤
٢٦٨ ـ لئلّا يقسو القلب من كثرة النظر	٦	٧٧	٧
٢٦٩ ـ لا يعرف راحة القلب من لم يجرعه الحلم	٧٨	٣٧٧	١٩

	ج	ص	س
٢٧٠ ـ ما يقع في القلب من وسوسة الشيطان	٩	٢٢٧	٤
٢٧١ ـ يا موسى ـ وقاسي القلب منّي بعيد	٧٧	٣١	١٢
٢٧٢ ـ رجل جاهل القلب ناسك	٢	١٠٦	٢٠
٢٧٣ ـ ينكت في القلب نكتاً	٢٦	١٩	٣
٢٧٤ ـ الحقيقة ـ تصديق في القلب	٦٨	٢٨١	١٢
٢٧٥ ـ الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن	٧٣	٩١	١٢
٢٧٦ ـ اللهمّ أصلح القلب والجسم	٩٥	١٧	٦
٢٧٧ ـ الحزم في القلب ـ والرحمة ـ في الكبد	٦١	٣٠٥	١
٢٧٨ ـ الغنى في القلب والفقر في القلب	٧٢	٦٨	١٤
٢٧٩ ـ الشكّ في القلب وإن صام وصلّى	٢	٢٠١	٢٣
٢٨٠ ـ ثبات الشيء في القلب وإن صلّى وصام	٦	١٧٧	١٧
٢٨١ ـ العين جاسوس القلب وبريد العقل	١٠٤	٤١	١٥
٢٨٢ ـ ارزقني نور القلب وتفهمه لما تحبّ	٩٨	٢٣	١١
٢٨٣ ـ الخصومة تشغل القلب وتورث النفاق	٧٨	٢٠٥	٥
٢٨٤ ـ فأضاء القلب وذكر الرجل ما نسي	٣٦	٤١٥	١٧
٢٨٥ ـ الرؤية ـ رؤية القلب ورؤية البصر	٤	٥٤	١٨
٢٨٦ ـ الجوع ـ طعام القلب وصحّة البدن	٦٦	٣٣٧	١٥
٢٨٧ ـ الإيمان ـ عقد في القلب وعمل بالأركان	٦٨	٢٥٦	٦
٢٨٨ ـ يدمع القلب ـ ولا نقول ما يسخط الربّ	٨٢	٩٠	٢٢

	ج	ص	س
٢٨٩ ـ العدس ـ يرقّ القلب ويدمع العين	٦٦	٢٥٩	١٠
٢٩٠ ـ الزبيب يشدّ القلب ويذهب بالمرض	٦٦	١٥٢	٦
٢٩١ ـ الكمثرى يجلو القلب ويسكن ـ الجوف	٦٦	١٦٨	١١
٢٩٢ ـ الأمل يسهي القلب ويكذب الوعد	٧٨	٣٥	١٢
٢٩٣ ـ الدم يقسي القلب	٦٥	١٦٦	١٤
٢٩٤ ـ القلب يتّكل على الكتابة	٢	١٥٢	١٠
٢٩٥ ـ القلب يحيي ويموت	٧٨	٢٧٨	١٢
٢٩٦ ـ إنّ القلب ـ يعاين ما ينزل في ليلة القدر	٩٧	٢٠	١٧
٢٩٧ ـ لضيق القلب ـ يقرأ سبعة عشر يوماً...	٩٥	١٣٦	١٦
٢٩٨ ـ يا كميل إنّ القلب يقوم بالغذاء	٧٧	٢٧٥	١٧
٢٩٩ ـ إنّ القلب ينقلب ـ ما لم يصب الحقّ	٥	٢٠٤	١٠
٣٠٠ ـ أفضل من ذلك تقوى القلوب	١	٨٨	١٩
٣٠١ ـ العلم حياة القلوب	١	١٦٦	٢٠
٣٠٢ ـ القرآن ـ ربيع القلوب	٢	٣٦	٢٢
٣٠٣ ـ لم يعمل ـ زلّت موعظته عن القلوب	٢	٣٩	١٢
٣٠٤ ـ المراء والخصومة ـ يمرضان القلوب	٢	١٣٩	٧
٣٠٥ ـ يا فضيل إنّ حديثنا يحيي القلوب	٢	١٤٤	٢٠
٣٠٦ ـ تحدّثوا فإنّ الحديث جلاء القلوب	٢	١٥٢	٢٢
٣٠٧ ـ لا يوجد له ـ الحلاوة والوقع من القلوب	٣	٦٤	٦

	ج	ص	س
٣٠٨ ـ لا تدركه أوهام القلوب	٤	٢٩	١٣
٣٠٩ ـ الإيمان بالغيب من عقد القلوب	٤	٥٣	٧
٣١٠ ـ الأبصار ـ هي الأبصار التي في القلوب	٤	٥٤	٢
٣١١ ـ الحمد لله ـ البعيد من حدس القلوب	٤	٢٩٤	١٠
٣١٢ ـ لا تحيط به الأبصار القلوب	٤	٣١٩	١٣
٣١٣ ـ أنزل الحقّ من السماء فاحتملته القلوب	٩	٢١٦	١٥
٣١٤ ـ فالماء هو الحقّ والأودية هي القلوب	٩	٢١٦	١٥
٣١٥ ـ محلّ الاستجابة قدس القلوب	١٢	٣٥٤	١٠
٣١٦ ـ فإنّ نسياني يقسي القلوب	١٣	٣٣٤	١٩
٣١٧ ـ اجتنبوا ـ تضاغن القلوب	١٤	٤٧٢	١٢
٣١٨ ـ يحيي القلوب الميّتة بنور الحكمة	١٤	٣٠٥	٦
٣١٩ ـ إلهي بك هامت القلوب الوالهة	٩٤	١٥١	١٧
٣٢٠ ـ برحمتك ـ انقادت به القلوب إلى طاعتك	٩٣	٢٦٧	١٠
٣٢١ ـ لا تهتدي القلوب إلى كنه عجائبه	٣	١٦٤	٥
٣٢٢ ـ القلوب إليك بالجميل تشير	١٠٢	١٧٣	٣
٣٢٣ ـ محرّم على القلوب أن تحتمله	٤	١٥٤	١٣
٣٢٤ ـ القلوب أوعية فخيرها أوعاها	١	١٨٨	٢٠
٣٢٥ ـ فأحيى القلوب بالهدى	١٠٢	٢٢٤	١
٣٢٦ ـ الله ـ رأته القلوب بحقائق الإيمان	٤	٢٦	٩

	ج	ص	س
٣٢٧ ـ حادثوا هذه القلوب بذكر الله	٣٣	٤٩٤	٦
٣٢٨ ـ فإنّه ـ يختم على القلوب بطابع حبّ الدنيا	٧٧	١٨٤	١١
٣٢٩ ـ بنا ألّف الله بين القلوب بعد الشرك	٣٢	٢٤٣	١٩
٣٣٠ ـ بنا أُلّف بين القلوب بعد الفتنة	٣٢	٢٤٣	١٩
٣٣١ ـ تمثّل في القلوب بغير مثال تحدّه الأهام	٩٤	٢٣١	١٥
٣٣٢ ـ لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب	٧٠	٧١	١٦
٣٣٣ ـ رأته القلوب بنور الإيمان	١٠	١٦٤	١٤
٣٣٤ ـ فقال رسول الله ـ إنّ هذه القلوب بيد الله	٢١	٣٧٠	٢٢
٣٣٥ ـ إنّ القلوب بين إصبعين من أصابع الله	٧٥	٤٨	١٢
٣٣٦ ـ القلوب ـ تخرقها الشهوات	١٤	٣٢٦	٢
٣٣٧ ـ القلوب ـ ترقّق بذكر الموت	١٤	٣٠٩	٨
٣٣٨ ـ القلوب تزيغ وتعود إلى عماها	١	١٣٩	١٨
٣٣٩ ـ إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد	٣٢	٣٤٩	٧
٣٤٠ ـ إنّ القلوب تملّ كما تملّ الأبدان	٧٧	١٦٧	٤
٣٤١ ـ إنّ القلوب تموت كالزروع	٧٠	٧١	١٦
٣٤٢ ـ يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك	٥٢	١٤٩	٣
٣٤٣ ـ بني إنّ القلوب جند مجنّدة تتلاحظ بالمودّة	٤٢	٢٥٣	١٥
٣٤٤ ـ حتّى تخرق أبصار القلوب حجب النور	٩٤	٩٩	٦
٣٤٥ ـ كونوا ـ جُدد القلوب ـ خلقان الثياب	٢	٣٨	١٠

	ج	ص	س
٣٤٦ ـ فلا ـ القلوب على احتجابه تنكر معرفته	٩٤	٢٣١	١٣
٣٤٧ ـ حلّت بين القلوب ـ على اختيارها	٩٤	١٥٤	٨
٣٤٨ ـ أعراب القلوب على أربعة أنواع	٧٠	٥٥	٩
٣٤٩ ـ جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها	٧٧	١٤٢	٥
٣٥٠ ـ خالق القلوب على فطرتها	٨٩	٣٣٥	١٣
٣٥١ ـ القلوب عليلة والأبصار مدخولة	٣	٢٦	٦
٣٥٢ ـ قناعة تملأ القلوب ـ غنىً	١٤	٤٦٩	٧
٣٥٣ ـ أمّا القلوب فتقطعونها ـ على حبّ الله	٩	٣٢٥	١٦
٣٥٤ ـ سبحانك ـ امتلأت القلوب فرقاً منك	٩٧	١٥١	١٧
٣٥٥ ـ القسوة وغلظ القلوب في الفدادين	٦٠	٢٣٣	٢٣
٣٥٦ ـ همدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها	٨٢	١٥٧	١٦
٣٥٧ ـ فإنّ أعمر القلوب قلوب الصالحين	٧٧	٤٤٣	١٩
٣٥٨ ـ العفو سرّ الله في القلوب قلوب خواصّه	٧١	٤٢٣	١٤
٣٥٩ ـ فطات القلوب لإشفاقها من الذنوب	٧٧	٤٤٢	٣
٣٦٠ ـ بك لاذت القلوب لأنّك غاية كلّ محبوب	٩٤	١١١	١١
٣٦١ ـ إنّ القلوب لترين	١	٢٠٣	١
٣٦٢ ـ لا تهتدي القلوب لصفتك	٩٥	٢٤٩	٦
٣٦٣ ـ القلوب ليس على كلّ حال تعمر	١٤	٣٠٧	١٧
٣٦٤ ـ أسلم القلوب ما طهر من الشبهات	٧٨	١٠٩	٨

	ج	ص	س
٣٦٥ ـ الله ـ لا يخطر على القلوب مبلغ جبروته	٤	٣٠١	٧
٣٦٦ ـ ستكونون جماعة شتّى ـ القلوب مختلفة	٣٤	٢٦١	٨
٣٦٧ ـ القلوب مرّة تصعب ـ ومرّة تسهل	٦	٤٢	٣
٣٦٨ ـ العلم حياة القلوب من الجهل	١	١٧١	١٣
٣٦٩ ـ وجلت القلوب من خشيته	٩٠	٤٧	١١
٣٧٠ ـ وجلت القلوب من خيفته	٨٥	٢٥٨	٢١
٣٧١ ـ بكاء العيون وخشية القلوب من رحمة الله	٩٣	٣٣٦	١٥
٣٧٢ ـ أمثالهم في القلوب موجودة	١	١٨٨	٧
٣٧٣ ـ أكنّة القلوب هي غلفها وأغطيتها	٥٧	١٥٣	٢
٣٧٤ ـ حلّت بين القلوب وأخذت بالنواصي	٩٨	٢٤١	١٧
٣٧٥ ـ لله عقوبات في القلوب والأبدان	٧٨	١٧٦	٩
٣٧٦ ـ إنّ الله ـ يقلّب القلوب والأبصار	٢٨	١٨٨	١
٣٧٧ ـ يا مقلّب القلوب والأبصار	١٠٠	٤٤٢	١٠
٣٧٨ ـ فتعيه القلوب وتعي عنه الآذان	٧١	٣٧٢	٥
٣٧٩ ـ الفكرة ضياء القلوب وفسحة الخلق	٧١	٣٢٦	٦
٣٨٠ ـ بمحمّد ـ تطمئنّ القلوب ـ وهو ذكر الله	٢٣	١٨٧	١٦
٣٨١ ـ أنت تعلم ضمائر القلوب يا علّام الغيوب	٩٣	٢٦٣	١٣
٣٨٢ ـ يا طبيب القلوب ـ يا منوّر القلوب	٩٤	٣٨٥	٢٢
٣٨٣ ـ ليس للحواسّ معرفة إلّا بالقلب	٣	١٥٩	١٤

	ج	ص	س
٣٨٤ ـ الإيمان هو معرفة بالقلب	١٠	٢٢٨	١٠
٣٨٥ ـ إنّ الشيطان يلمّ بالقلب	٧٠	٥٦	٥
٣٨٦ ـ ما التوبة النصوح ـ ندم بالقلب	٧٨	٧١	١٥
٣٨٧ ـ فادعني بالقلب النقي واللسان الصادق	١٣	٣٣٧	٥
٣٨٨ ـ لزق بالقلب داء ليس له دواء	٩٧	٣٣٤	٧
٣٨٩ ـ فيمرّ ـ بالقلب فيصير كأنّه زبر الحديد	٧٨	١٨٦	١
٣٩٠ ـ فرّ بالقلب من وساوس الشيطان	٨٥	١٠٨	١٩
٣٩١ ـ الإيمان بالقلب هو التسليم للربّ	٦٣	٢٣٥	١٦
٣٩٢ ـ السجود سبب التقرّب إليه بالقلب والسرّ	٨٥	١٣٦	١٢
٣٩٣ ـ القصد إلى الله ـ بالقلوب أبلغ	٧٠	٦٠	١١
٣٩٤ ـ الدنيا ـ لاطت بقلب الراغب	٩١	٣٠	٢٢
٣٩٥ ـ الدنيا ـ التبست بقلب الناظر	٧٢	٦٨	٥
٣٩٦ ـ لا يكون عمل إلّا بقلب تقي	١٤	٣١٦	٧
٣٩٧ ـ اللهمّ إنّي أتقرّب إليك بقلب خاضع	٨٩	٣٣٢	٢٣
٣٩٨ ـ فجامعها بقلب ساكن وعروق هادئة	٦١	٣٧	٩
٣٩٩ ـ إلّا من أتى بقلبٍ سليم	٧	١٥٢	٨
٤٠٠ ـ بقلبٍ سليم من كلّ ما سوى الله	١٢	٢٦	٨
٤٠١ ـ آمنت بالله بقلبٍ شاكر	٢١	٣٦	٧
٤٠٢ ـ ربّ أُناجيك بقلبٍ قد أوبقه جرمه	٩٨	٨٣	٢٢

	ج	ص	س
٤٠٣ ـ هم يبكون بقلبٍ محترق	١٥	٣٥٥	٢
٤٠٤ ـ فانقطع إلى الله بقلبٍ منيب	٧٣	٧٦	٣
٤٠٥ ـ الشأن أن تكون الصلاة بقلبٍ نقي	٧٧	٢٧٥	١٣
٤٠٦ ـ أتضرّع إليك بقلبٍ وجل خائف	٩٧	٢٧٠	٣
٤٠٧ ـ اخشع لي بقلبك	١٤	٢٩٩	٥
٤٠٨ ـ دار الفاسق عن دينك وابغضه بقلبك	٤٢	٢٠٣	١٠
٤٠٩ ـ يحسب لك منها ما أقبلت عليه منها بقلبك	٨٤	٢٠١	١٤
٤١٠ ـ إنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك	٨٤	٢٦٠	٩
٤١١ ـ إذا دعوت الله فاقبل بقلبك	٩٣	٣١٤	١٥
٤١٢ ـ فاقبل بقلبك ثمّ استيقن الإجابة	٩٣	٣٠٥	٤
٤١٣ ـ طف بقلبك مع الملائكة حول العرش	٩٩	١٢٤	١٩
٤١٤ ـ فاسمع بقلبك وانظر بعقلك	٩٦	٢٠٤	١٣
٤١٥ ـ اذكر الله بقلبك ولسانك	١٠١	٢٤٠	١
٤١٦ ـ تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك	٨٥	٢٨٤	١٦
٤١٧ ـ رأى رسول الله ـ ربّه ـ بقلبه	٤	٤٣	١٠
٤١٨ ـ من أحبّنا بقلبه	٨	١٤٨	١٧
٤١٩ ـ لا تكن كمن يعطي بلسانه ويكفر بقلبه	٢٢	٢٩١	١٥
٤٢٠ ـ فأعلى درجات الجنّة لمن أحبّنا بقلبه	٢٧	٩٣	١٤
٤٢١ ـ فإن لم يستطع بلسانه فجاهدهم بقلبه	٣٥	٢٠٢	٨
٤٢٢ ـ عشق العبادة فعانقها وأحبّها بقلبه	٧٠	٢٥٣	١٣

	ج	ص	س
٤٢٣ ـ أيّما عبد أنعم الله عليه فعرفها بقلبه	٧١	٣٢	٦
٤٢٤ ـ من عرف نعمة الله بقلبه استوجب المزيد	٧٨	٢٧٠	٦
٤٢٥ ـ أحبّ عليّاً بقلبه أعطاه ـ ثلث ثواب ـ الأمّة	٣٩	٢٨٨	١٣
٤٢٦ ـ حتّى ـ ينظر بقلبه إلى جلالي وعظمتي	٧٧	٢٨	١٤
٤٢٧ ـ سعى بقلبه إلى منازل الأبرار	٨	١٦٣	٧
٤٢٨ ـ إذا نظر إلى ربّه بقلبه جعله في نور ـ الحجب	٥٨	١٢	٨
٤٢٩ ـ من خشع له بقلبه ـ رأى نفسه مقصّراً	٧٢	٣٠٠	١٦
٤٣٠ ـ من تعلّق بقلبه شيء لم يخرجه شيء أبداً	٣٢	٣٧٦	١٠
٤٣١ ـ من ـ لم يندم بقلبه فقد استهزأ بنفسه	٧٨	٣٥٦	١٧
٤٣٢ ـ من أحبّنا بقلبه ـ فهو في الجنّة	١٠	١٠٧	١٣
٤٣٣ ـ من أبغضنا بقلبه ـ فهو في النار	٢٧	٨٩	٤
٤٣٤ ـ أنا شفيع ـ المحبّ لهم بقلبه ولسانه	١٠	٣٦٨	٢٣
٤٣٥ ـ يوالي بقلبه ولسانه أولياء الله	٢٤	٣٨٦	١٠
٤٣٦ ـ المعروف واجب ـ بقلبه ولسانه ويده	٧٤	٤١٨	١٧
٤٣٧ ـ ترك إنكار المنكر بقلبه ولسانه ويده	١٠٠	٩٤	٥
٤٣٨ ـ أحاطت هواجسه بقلبي يعاضد لي الهوى	٩٤	١٤٣	١٠
٤٣٩ ـ كلام النساء ـ أوقع بقلوب الرجال	٤٣	١٣١	٣
٤٤٠ ـ لا تدخلوا بيوتي ـ إلّا بقلوب خاضعة	٥٠	٣١٥	٢٣
٤٤١ ـ صوموا لله بقلوب خالصة صافية	١١	٢٨٣	١
٤٤٢ ـ لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلّا بقلوب طاهرة	٤١	١٦	١٢

	ج	ص	س
٤٤٣ ـ تكثر الصفوف بقلوب متباغضة	٦	٣٠٧	١٤
٤٤٤ ـ الجهاد بأيديكم ثمّ الجهاد بقلوبكم	١٠٠	٧٢	٢٠
٤٤٥ ـ أقبلوا عليَّ بقلوبكم ـ لست أُريد صوركم	٩٣	٣٧٣	١٤
٤٤٦ ـ أخذ الله بقلوبكم وقلوبنا إلى الحقّ	٣٢	٥٠	١٤
٤٤٧ ـ الإيمان ما ـ صدّقناه بقلوبنا	٧٠	١٨٢	٢٠
٤٤٨ ـ نستغفرك من كلّ ذنبٍ اكتسبناه بقلوبنا	١٠٠	١٧٥	٧
٤٤٩ ـ نظروا إلى الله ـ وإلى محبّته بقلوبهم	٧٨	١٨٥	١٨
٤٥٠ ـ توبوا إلى الله ـ يعطف بقلوبهم عليكم	٧٥	٣٤٨	٢٠
٤٥١ ـ فقلبي لك مسلم وأمري لك متّبع	١٠٠	٣١٩	٢٢
٤٥٢ ـ فقلوب المؤمنين تحنّ إلى ما خلقوا منه	٥	٢٣٩	٦
٤٥٣ ـ فقلوب شيعتنا من أبدان آل محمّد	٢٥	٨	١٦
٤٥٤ ـ فجبل من ـ طينتنا ـ فقلوبهم تحنّ إلينا	١٥	٢٣	٦
٤٥٥ ـ شيعتنا ـ فقلوبهم تهوى إلينا	٥	٢٣٥	٩
٤٥٦ ـ إنّ الحكمة نور كلّ قلب	١٤	٣١٦	٨
٤٥٧ ـ لا يستقيم حبّ الدنيا والآخرة في قلب	١٤	٣٢٨	١٣
٤٥٨ ـ لن يجتمع حبّنا وحبّ عدوّنا في قلب	٦٨	٣٨	١٦
٤٥٩ ـ إزالة الجبال أهون من إزالة قلب	٧٨	٢٤٠	٢
٤٦٠ ـ لا تجتمع الرهبة والرغبة في قلب	٨٤	٢٦٠	١٥
٤٦١ ـ لا تجمع الإيمان والخمر في قلب أبداً	٧٩	١٥٢	٤
٤٦٢ ـ الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم	٧٠	٤٢	١

	ج	ص	س
٤٦٣ ـ الغضب جمرة ـ تتوقّد في قلب ابن آدم	٧٣	٢٦٧	١٠
٤٦٤ ـ المودّة في قلب أخيك بما له في قلبك	٤٦	٢٩١	٤
٤٦٥ ـ لا يطبع على قلب إلّا بذنب	٣٢	٣٧٩	٤
٤٦٦ ـ ما من قلب إلّا وله أُذنان	٦٣	٢٠٥	١٥
٤٦٧ ـ قلب الأحمق في فمه	٧١	٣١٢	٤
٤٦٨ ـ العلم ـ قلب الإيمان	٢	٥٢	٦
٤٦٩ ـ التفكّر حياة قلب البصير	٧٨	١١٥	١٤
٤٧٠ ـ إنّما قلب الحدث كالأرض الخالية	٧٧	٢٠٢	١٢
٤٧١ ـ القرع ـ يسرّ قلب الحزين	٦٦	٢٢٥	١٤
٤٧٢ ـ هي في قلب الحكيم مثل النور	١٤	٣١٦	١٥
٤٧٣ ـ بعدي فتنة يموت فيها قلب الرجل	٣٣	٣٥٤	٢٣
٤٧٤ ـ قلب الشابّ أرقّ من قلب الشيخ	١٢	٢٨٠	٦
٤٧٥ ـ يزرع الحكمة ـ في قلب الصغير والكبير	١٢	٣٦٢	١٣
٤٧٦ ـ إنّ لكلّ شيء قلب وقلب القرآن يس	٩٢	٢٨٨	٢١
٤٧٧ ـ قلب منكوس وهو قلب الكافر	٧٣	٣١٣	٨
٤٧٨ ـ قلب الكافر أقسى من الحجر	٧٨	١٩١	٥
٤٧٩ ـ أنا علم الله وأنا قلب الله الواعي	٢٤	١٩٨	٣
٤٨٠ ـ أنا قلب الله وبابه الذي منه يؤتى	٣٩	٣٤٨	١٣
٤٨١ ـ الغنى والعزّ يجولان في قلب المؤمن	٧٨	١٨٦	٥
٤٨٢ ـ قلب المؤمن أجرد ـ فيه سراج يزهر	٧٠	٥٩	١٧

	ج	ص	س
٤٨٣ ـ قلب المؤمن حلو يحبّ الحلاوة	٦٢	٢٩٥	١١
٤٨٤ ـ إنّ قلب المؤمن عرش الرحمن	٥٨	٣٩	٣
٤٨٥ ـ لو استخرج قلب المؤمن لوجد فيه نوران	١٣	٤١٢	٧
٤٨٦ ـ اقشعرّ قلب المؤمن من خشية الله	٧٠	٣٩٤	٦
٤٨٧ ـ إنّ الله خلق قلب المؤمن نورانياً	٧٣	٣٢٧	٥
٤٨٨ ـ الحكمة لا تعمر في قلب المتكبّر	١	١٥٣	١١
٤٨٩ ـ الحكمة تعمر في قلب المتواضع	٧٨	٣١٢	٧
٤٩٠ ـ قلب المحبّ إلى الأحباب مجذوب	١٦	٢٩	١٢
٤٩١ ـ الكلام إظهار ما في قلب المرء	٧١	٢٨٥	٤
٤٩٢ ـ شرّ ما استشعر قلب المرء الحسد	٧٣	٢٥٦	١٩
٤٩٣ ـ إذا طاب قلب المرء طاب جسده	٧٠	٥٠	٢٠
٤٩٤ ـ لن يجتمع الحقّ والباطل في قلب امرئ	٩٣	٥٧	١٥
٤٩٥ ـ يا عليّ ـ ثبت حبّك في قلب امرئٍ مؤمن	٢٧	٧٧	٦
٤٩٦ ـ ثلاث لا يغلّ عليهم قلب امرئٍ مسلم	٢١	١٣٨	١٣
٤٩٧ ـ ما مرض قلب بأشدّ من القسوة	٦٦	٣٣٧	١٩
٤٩٨ ـ لا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر	٨	١٧١	١
٤٩٩ ـ يغفر ـ له ـ مغفرة لم يخطر على قلب بشر	٨٩	١٢٩	١٦
٥٠٠ ـ فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته	٤٣	٣٥١	٤
٥٠١ ـ ما كلّ ذي قلب بلبيب	٣٢	٤٣	١٣
٥٠٢ ـ إنّ الشيطان ليجثم على قلب بني آدم	٧٠	٤٩	١٥

	ج	ص	س
٥٠٣ ـ إنّ الله يحبّ كلّ قلب حزين	٧١	٣٨	١١
٥٠٤ ـ إلهي قلب حشوته من محبّتك في دار الدنيا	٩٤	١٠١	١٧
٥٠٥ ـ من كانت له أُذن واعية وقلب حفيظ	٣٤	١٥٧	١٥
٥٠٦ ـ كان لك قلب حيّ لكنت أخوف الناس	٧٨	٢٢٦	٨
٥٠٧ ـ فقارئ القرآن يحتاج إلى قلبٍ خاشع	٨٥	٤٣	١٥
٥٠٨ ـ يكتب على قلب ذلك الرجل بمداد من النور	٩٧	٢٠	١٩
٥٠٩ ـ لا يدخل قلب رجل الإيمان حتّى يحبّكم	٢٧	٨١	١٤
٥١٠ ـ لو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان لقتله	٢٢	٣٤٣	١٣
٥١١ ـ فطوبى لقلب سليم أطاع من يهديه	٦٩	٣١١	١٦
٥١٢ ـ لا يجتمع الشحّ والإيمان في قلب عبد	٧٣	٣٠٢	٧
٥١٣ ـ لا يظهر الله قلب عبد حتّى يسلّم لنا	٢٣	٣٠٨	١٣
٥١٤ ـ أعوذ من كلّ قلب عن معرفتك محبوس	٨٥	٢٢٨	١١
٥١٥ ـ لا يستجيب الدعاء من قلب غافل لاهٍ	٩٣	٣٢١	٩
٥١٦ ـ قلب غيرك لك كقلبك له	٧٤	١٨٢	١٦
٥١٧ ـ أسألك أن تسخّر لي قلب فلان بن فلان	٩٥	١٦٥	١٤
٥١٨ ـ كلّ قلب فيه شرك أو شكّ فهو ساقط	٧٠	٥٩	٢٠
٥١٩ ـ قلب فيه نكتة سوداء	٧٠	٥١	٩
٥٢٠ ـ قلّب قلبي من الهموم إلى الروح والدعة	٩٨	٣٤٧	٦
٥٢١ ـ أعوذ بك ـ من قلبٍ لا يخشع	٨٦	٢٤٩	١٦
٥٢٢ ـ المشكاة قلب محمّد ﷺ	٢٣	٣١١	٣

	ج	ص	س
٥٢٣ ـ إذا دعا الله ـ وقلب تخلص استجيب له	٩٣	٣٧٩	٧
٥٢٤ ـ قلب مطبق ـ لا يحمد	٢	١١٠	١٤
٥٢٥ ـ رقّة ورحمة يجعلها الله في قلب من يشاء	٨٢	١٠١	٦
٥٢٦ ـ لا استراح قلب من قاساكم	٣٤	٧٠	٧
٥٢٧ ـ العلم ـ نور يقع في قلب من يريد	١	٢٢٥	١٥
٥٢٨ ـ قلب منكوس لا يعثر على شيء من الخير	٧٠	٥١	٨
٥٢٩ ـ بئس العون على الدين قلب نخيب	٦٦	٣٣٥	١٠
٥٣٠ ـ لا يجتمع الفقه والغيّ في قلب واحد	١٤	٣١٦	٥
٥٣١ ـ ناجني بخشية من قلب وجل	٩٣	٣٠٥	٢٣
٥٣٢ ـ إنّ الله جعل قلب وليّه وكراً لإرادته	٢٦	٢٥٦	٨
٥٣٣ ـ الإيمان لا يثبت في قلب يهودي	٧٨	١٩٢	١٥
٥٣٤ ـ بأنّ حبيب الله أطهرهم قلباً	١٦	٦١	٤
٥٣٥ ـ يا عليّ أنت أشجع الناس قلباً	٣٧	٢٥٤	١٠
٥٣٦ ـ أنسك الناس أسلمهم قلباً	٧٤	٣٣٨	٢
٥٣٧ ـ لا يعذّب الله قلباً أسكنه القرآن	٩٢	١٨٤	٦
٥٣٨ ـ اللهمّ ارزقني قلباً تقيّاً نقيّاً	٩٧	٨٩	١١
٥٣٩ ـ اللهمّ ارزقني قلباً خاشعاً خاضعاً ضارعاً	٩٥	٢٥٨	١٣
٥٤٠ ـ اللهمّ ارزقني عزّاً باقياً وقلباً زكياً	١٠٢	١٧٢	٨
٥٤١ ـ أسألك اللهمّ قلباً سليماً	٩٨	٣٣٢	٥
٥٤٢ ـ اللهمّ ـ هب لي ـ قلباً سماوياً	٩٤	١٥٦	١٦

	ج	ص	س
٥٤٣ ـ اللهمّ أسألك لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً	٩٤	٢٣٧	١٧
٥٤٤ ـ اللهمّ اجعل لي قلباً طاهراً	٩٠	٥	٢١
٥٤٥ ـ إلهي إليك أشكو قلباً قاسياً	٩٤	١٤٣	١١
٥٤٦ ـ ارزقني قلباً ولساناً يتجاريان في ذمّ الدنيا	٧٨	١٣٥	١٧
٥٤٧ ـ أسألك قلباً وجلاً من مخافتك	٩٨	١٦	٦
٥٤٨ ـ لا يعذّب الله قلباً وعى القرآن	٩٢	١٧٨	١٤
٥٤٩ ـ اللهمّ اجعل لي قلباً يخشاك كأنّه يراك	٩٨	١٢٠	٣
٥٥٠ ـ إلهي هب لي قلباً يدنيه منك شوقه	٩٤	٩٨	١٦
٥٥١ ـ العلم ـ ما دلّك على صلاح قلبك	١	٢٢٠	٩
٥٥٢ ـ فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك	١	٢٢٣	٧
٥٥٣ ـ لا تطل في الدنيا أملك فيقسو قلبك	١٣	٣٣٢	٨
٥٥٤ ـ جدّد التوبة في قلبك	١٣	٤٢٦	١
٥٥٥ ـ ليتّقِ الله قلبك	١٤	٤٩٠	١٠
٥٥٦ ـ فما أعظم الرين على قلبك	٣٣	٨٧	٤
٥٥٧ ـ لسانك دليل على ما في قلبك	٣٣	١٤٠	١٠
٥٥٨ ـ أعرني سمعك وفرّغ لي قلبك	٥١	٦٩	١٢
٥٥٩ ـ اخون لسانك لعمارة قلبك	٧٠	١١٠	١١
٥٦٠ ـ أحيي قلبك بالموعظة وموّته بالزهد	٧٧	٢١٩	١٦
٥٦١ ـ أُوصيك بتقوى الله وعمارة قلبك بذكره	٧٧	٢٠١	١٠
٥٦٢ ـ لا تعلّق قلبك برضى الله ومدحهم	١٣	٤٣٣	١٢

	ج	ص	س
٥٦٣ ـ اغسل قلبك بماء الحزن	٩٣	١٥٨	١٧
٥٦٤ ـ الدنيا ـ لا تشغل قلبك بها	١٣	٤١٢	١٤
٥٦٥ ـ لا يسلم لك قلبك حتّى تحبّ للمؤمنين	٧٨	٨	٢٠
٥٦٦ ـ لا تدعنّ ـ في قلبك حقداً ـ إلّا نزعته	٧	٧٣	٥
٥٦٧ ـ تفرّغ لعبادتي أملأ قلبك خوفاً منّي	١٣	٣٥٧	٤
٥٦٨ ـ وإلّا تفرغ لعبادتي أملأ قلبك شغلاً	٧٠	٢٥٢	١٧
٥٦٩ ـ فأمّا الناصب فلا يرقنّ قلبك عليه	٩٦	٧٢	٨
٥٧٠ ـ أخلِ قلبك عن كلّ شاغل يحجبك	٨٣	٣٧٤	٥
٥٧١ ـ لا ترِ الناس أنّك تخشى الله وقلبك فاجر	١٣	٤١٨	٣
٥٧٢ ـ إنّك تخشى الله فيكرموك وقلبك فاجر	٧٧	٨٣	٢٢
٥٧٣ ـ كلّما ـ استحلاه قلبك فاجعله لله	٧٧	١٠٨	١٥
٥٧٤ ـ امتحن قلبك فإن كنت تودّه فإنّه يودّك	٧٤	١٨٢	٥
٥٧٥ ـ إذا وجل قلبك ـ فدونك دونك	٩٣	٣٤٤	١٠
٥٧٦ ـ إذا شاورت من يصدّقه قلبك فلا تخالفه	٧٥	١٠٣	١٥
٥٧٧ ـ يا ابن آدم أصبح قلبك قاسياً	٧٠	٣٨٢	٢
٥٧٨ ـ فاختم على قلبك كما تختم على ذهبك	٧٨	٤٥١	١٧
٥٧٩ ـ وسمّاه طهوراً ـ وطهّر قلبك للتقوى	٨٠	٣٤٠	١٤
٥٨٠ ـ إذا أردت الحجّ فجرّد قلبك لله	٩٩	١٢٤	٧
٥٨١ ـ العقل ـ حفظ قلبك ما استودعته	٧٨	١١٢	١٨
٥٨٢ ـ انزع ـ قلبك من الميل إلى من سواي	١٣	٦٥	١٦

	ج	ص	س
٥٨٣ ـ إنّ الحقّ معك ـ وفي قلبك وبين عينيك	٣٨	٢٤٨	٧
٥٨٤ ـ فانظر فيما تغذّى قلبك وجسمك	٧٧	٢٧٥	١٨
٥٨٥ ـ اعلم أنّ قلبك وعاء	١	٢٢٧	١
٥٨٦ ـ أخلص قلبك يكفك القليل من العمل	٧٣	١٧٥	١٠
٥٨٧ ـ أحسستهم من أحد في قلبك شيئاً فاحذروه	٤٢	٢٥٤	١
٥٨٨ ـ علامة الصالح ـ يصفّي قلبه	١	١٢٠	١٩
٥٨٩ ـ لسان العاقل وراء قلبه	١	١٥٩	١٤
٥٩٠ ـ من زهد أثبت الله الحكمة في قلبه	٢	٣٣	١٦
٥٩١ ـ أحبّ الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه	٢	٣٦	٧
٥٩٢ ـ أمرنا لا يتحمّله إلّا مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان	٢	١٩١	٢١
٥٩٣ ـ أعجب ما في الإنسان قلبه	٥	٥٦	٢٠
٥٩٤ ـ فتح له العينين اللتين في قلبه	٥	١١٣	٥
٥٩٥ ـ إذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامع قلبه	٥	٢٠٤	١
٥٩٦ ـ قول الله يحول بين المرء وقلبه	٥	٣٠٢	٣
٥٩٧ ـ يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه	١٠	٢٣٣	١
٥٩٨ ـ عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح قلبه	١٣	٢٩٥	٩
٥٩٩ ـ من أقرّ بالحساب لم يفرح قلبه	١٣	٣١٢	١٠
٦٠٠ ـ خبيث اللسان ـ يختم على قلبه	١٣	٤٣٠	١٧
٦٠١ ـ زنى بها في قلبه	١٤	٣١٧	٢٢
٦٠٢ ـ محبّي عليّ عليه السلام نظف قلبه	٢١	٢٢٧	٤

	ج	ص	س
٦٠٣ ـ من أراد الله به خسراً طبع على قلبه	٢٢	٧١	٦
٦٠٤ ـ لا يحبّنا عبد وتيولّانا حتّى يطهّر الله قلبه	٢٣	٣٠٨	١٣
٦٠٥ ـ الإمام ـ تنام عينيه ولا ينام قلبه	٢٥	١٤٠	١٣
٦٠٦ ـ من أحبّ علياً عليه السلام أثبت الله الحكمة في قلبه	٢٧	١١٥	٢
٦٠٧ ـ من والى علياً عليه السلام يربط الله على قلبه	٣٦	١٧٦	١٩
٦٠٨ ـ فطوبى لمن رسخ حبّنا أهل البيت في قلبه	٣٩	٣٥٣	٢
٦٠٩ ـ قدحت في سويداء قلبه	٤٢	١٦٦	٩
٦١٠ ـ ليس من شيعتنا من خلا ثمّ لم يرع قلبه	٤٨	٤٥	٦
٦١١ ـ من أكل اللحم أربعين صباحاً قسا قلبه	٦٢	٢٩٤	٢
٦١٢ ـ من أكل رمّانة حتّى يتمّها نوّر الله قلبه	٦٢	٢٩٧	١٧
٦١٣ ـ من أكل الرمّانة على الريق أنارت قلبه	٦٦	١٦١	١٠
٦١٤ ـ يلقي الإلهام في قلبه	٦٦	٤٧٨	٥
٦١٥ ـ المؤمن ـ عزّ القرآن في قلبه	٦٧	٢٩٩	٤
٦١٦ ـ المؤمن لو ـ نشر ثمّ قتل لم يتغيّر قلبه	٦٧	٣٠٤	٢
٦١٧ ـ المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه	٦٧	٣٦٥	٨
٦١٨ ـ شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه	٦٨	١٦٤	٤
٦١٩ ـ من اعتدى لم تؤمن بوائقه ولم يسلم قلبه	٦٨	٣٨٤	٢٠
٦٢٠ ـ من دخل الكعبة آمن قلبه	٧٠	٢٣	٩
٦٢١ ـ فعاين ربّه في قلبه	٧٠	٢٥	١١
٦٢٢ ـ من قلّ ورعه مات قلبه	٧١	٢٨٦	١٤

	ج	ص	س
٦٢٣ ـ فم الحكيم في قلبه	٧١	٣١٢	٤
٦٢٤ ـ فمن ألهمه الله الخير وأسكنه في قلبه	٧٢	١٧٠	١٨
٦٢٥ ـ يجد الرجل حلاوة الإيمان في قلبه	٧٣	٤٩	١٨
٦٢٦ ـ إذا ناجاه أثبت الله النور في قلبه	٧٣	١٢٠	٩
٦٢٧ ـ لمن رقص على سويداء قلبه	٧٣	١٣١	١١
٦٢٨ ـ تغلب النقاط السود على جميع قلبه	٧٣	٣٢٧	٨
٦٢٩ ـ إذا أراد خيراً جعل له واعظاً من قلبه	٧٣	٣٢٧	١٨
٦٣٠ ـ فمن أقبل على المعاصي اسودّ قلبه	٧٣	٣٢٨	١٣
٦٣١ ـ فإذا اتّهمه انماث الإيمان في قلبه	٧٤	٢٤٨	٩
٦٣٢ ـ خمش وجه إبليس وقرح قلبه	٧٤	٣٠١	٢١
٦٣٣ ـ يمسح رأسه ـ اليتيم ـ يلين قلبه	٧٥	٥	١٠
٦٣٤ ـ لا يستقيم إيمان عبد حتّى يستقيم قلبه	٧٥	٢٦٢	٢
٦٣٥ ـ ما زهد ـ إلّا أثبت الله الحكمة في قلبه	٧٧	٨٢	١٣
٦٣٦ ـ والآخرة أكبر همّه جعل الله الغنى في قلبه	٧٧	١٥٣	٢٠
٦٣٧ ـ من قلّ دينه مات قلبه	٧٧	٢٣٧	١١
٦٣٨ ـ من قلّ ورعه مات قلبه	٧٧	٢٣٩	٢
٦٣٩ ـ فزهر مصباح الهدى في قلبه	٧٧	٤٤٤	١
٦٤٠ ـ معاند لأهل الحقّ ينقدح الشكّ في قلبه	٧٨	٧٦	١٤
٦٤١ ـ ابتلى بالكبر والجبرية فقسا قلبه	٧٨	٢٢٣	١
٦٤٢ ـ طوبى لمن جعل بصره في قلبه	٧٨	٢٨٤	٢

	ج	ص	س
٦٤٣ ـ أحبّ الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه	٧٨	٣١٥	٣
٦٤٤ ـ أختم على قلبه وأُخرى ذكري من قلبه	٨٦	٣٢٥	١١
٦٤٥ ـ من ترك الجمعة ـ طبع الله على قلبه	٨٩	١٦٣	٢١
٦٤٦ ـ من أحيى ليلة العيد لم يمت قلبه	٩١	١٣٢	٣
٦٤٧ ـ اللهمّ من أرادنا بسوء ـ اشغل عنّا قلبه	٩٤	٣٨٠	١٤
٦٤٨ ـ من أكل الحلال أربعين يوماً نوّر الله قلبه	١٠٣	١٦	١١
٦٤٩ ـ أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه	١٠٤	٣٨	٦
٦٥٠ ـ إذا كان مخلصاً لله قلبه أخاف منه كلّ	٦٧	٣٠٥	٤
٦٥١ ـ من أضلّه الله وأعمى قلبه استوخم الحقّ	١٠	٢١٠	٣
٦٥٢ ـ فالشيطان جاثم على أُذن قلبه الأيسر	٦٣	١٤١	١٦
٦٥٣ ـ له على الله أن يغرب في قلبه الباطل	٢٧	١٢٣	٧
٦٥٤ ـ كان يداوي قلبه بالتفكّر	١٣	٤١٠	٩
٦٥٥ ـ من تعلّق قلبه بالدنيا تعلّق بثلاث	٧٣	٢٤	٢١
٦٥٦ ـ رجل معلّق قلبه بحبّ المساجد	١٠٣	١٥١	١٩
٦٥٧ ـ قلبه بذكر الله معمور	٧٨	٧٣	٧
٦٥٨ ـ اسلك في قلبه بركاتي	٢٦	٣١٠	١٦
٦٥٩ ـ من قسا قلبه بَعُد من ربّه	٨٢	٣٥	١٢
٦٦٠ ـ مات وفي قلبه بغض عليّ ـ فليمت يهودياً	٣٩	٣٠٥	٨
٦٦١ ـ من أُشرب قلبه حبّ غيرنا ـ الله عدوّه	٣٤	٣٦١	١٤
٦٦٢ ـ أمّا صاحب البدعة فقد أُشرب قلبه حبّها	٢	٢١٦	٦

	ج	ص	س
٦٦٣ ـ لا يدخل الجنّة من كان في قلبه حبّهما ـ الأوّل والثاني ـ	٢٧	٥٧	١١
٦٦٤ ـ أُخرج من قلبه حلاوة ذكري	٢	٣٢	١٣
٦٦٥ ـ لا أقبل الصلاة إلّا لمن ألزم قلبه خوفي	١٦	٣٦١	٣
٦٦٦ ـ من مات قلبه دخل النار	٧١	٢٨٦	١٤
٦٦٧ ـ يحشر يوم القيامة وقلبه ساكن مطمئن	٩٥	٣٥٦	١
٦٦٨ ـ أودع الله قلبه سرّه	٢٥	١٧٢	١٤
٦٦٩ ـ لا تخطر على قلبه شهوة شيء إلّا أتاه به	٦٧	٢٨٩	١٩
٦٧٠ ـ يكون قلبه طاهراً ـ وفي الصلاة زاكياً	٧٧	٣٠	١٠
٦٧١ ـ فمن أراد الله أن يطهّر قلبه عرّفه ولايتنا	٢٦	٢٩٤	١١
٦٧٢ ـ من أكله حشي قلبه علماً وحلماً وإيماناً	٦٦	٤٣١	١٤
٦٧٣ ـ جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه	٧٠	٢٤٣	١٨
٦٧٤ ـ لو سها قلبه عن الله ـ لمات شوقاً إليه	٣	١٤	٤
٦٧٥ ـ ينقّي قلبه عن كلّ ما أكره	٧٧	٢٨	١١
٦٧٦ ـ من صفات الداعي أن لا يكون قلبه غافلاً	٩٣	٣٥٢	١٣
٦٧٧ ـ أخرج الله عن قلبه غموم الدنيا وهمومها	٨٦	٢٣١	١٩
٦٧٨ ـ فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما	٦١	٢٥٠	١١
٦٧٩ ـ من أنارت قلبه فالشيطان بعيد منه	٦٦	١٦١	١٣
٦٨٠ ـ نكس قلبه فجعل أسفله أعلاه	١٠٠	٧٢	٢١
٦٨١ ـ فإذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم	٨٥	٤٣	١٦
٦٨٢ ـ للمنافق علامات : يخالف قلبه فعله	٧٢	٢٠٦	١٣

	ج	ص	س
٦٨٣ ـ طبع على قلبه فلا يسمع ولا يعقل	٢٣	٣٨٧	١٦
٦٨٤ ـ من أحبَّ أن يرقّ قلبه فليدم أكل البلس	٦٦	١٨٦	١٥
٦٨٥ ـ من تاب ولم يفتح قلبه ـ فليس بتائب	٦	٣٦	١
٦٨٦ ـ نظر الله ـ إلى قلبه فوجده أفضل القلوب	١٧	٣٠٩	٦
٦٨٧ ـ يكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة	٧٠	٣١٥	١٤
٦٨٨ ـ فتح عن قلبه ـ قفلاً	٢	٢	٢٤
٦٨٩ ـ لا يدخل الجنّة من كان في قلبه ـ كِبر	٧٣	١٩٩	١٤
٦٩٠ ـ تحيي قلبه كما يحيي الماء الأرض	١٤	٣١٦	١٤
٦٩١ ـ من كتبه الله في قلبه لا يستطيع أحد محوه	٢٣	٣٦٦	١٥
٦٩٢ ـ لو خشع قلبه لخشعت جوارحه	٨٤	٢٦٦	١٨
٦٩٣ ـ عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان	٢	٧١	١١
٦٩٤ ـ العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله	٣	١٤	٣
٦٩٥ ـ طبع الله على قلبه وآثر دنياه على آخرته	٣٣	٢٣٧	١٣
٦٩٦ ـ خديجة عليها السلام تولّع قلبها بحبّ النبيّ صلى الله عليه وآله	١٦	٢٣	١
٦٩٧ ـ اللهمّ طهّر جسمي وقلبي من كلّ آفة	١٠١	٢٠٧	٣
٦٩٨ ـ ارحمني رحمة تشفي بها قلبي من كلّ شبهة	٩٤	١٦١	١٤
٦٩٩ ـ تملأ قلبي من محبّة محمّد وآله الطاهرين	١٠٠	١٧٠	١٤

هذا غيض من فيض ما ورد في حقيقة القلوب على ضوء الأخبار الشريفة، ولا بأس أن أذكر ما جاء في (المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث بحار الأنوار) حول ما يتعلّق بخصوص القلب الذي نبحث فيه دون المشتقّات الأُخرى لمادّة (قلب)،

ونذكر عدد ما تكرّر لمن أراد التحقيق والمراجعة، فإنّ في الأخبار والأحاديث الشريفة كنوز ولآلئ ثمينة، ومشاعل وضّاءة تنير الدرب لمن أراد الحياة الطيّبة والعيش الرغيد وسعادة الدارين...

١	ـ القلب	تكرّر ٧٥١	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٤٢
٢	ـ القلبين	تكرّر ٣	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٤٧
٣	ـ القلوب	تكرّر ٦٢٤	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٤٧
٤	ـ بالقلب	تكرّر ٥٨	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٤
٥	ـ بالقلوب	تكرّر ٩	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٤
٦	ـ بقلب	تكرّر ٦١	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٤
٧	ـ بقلبك	تكرّر ٣٣	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٤
٨	ـ بقلبه	تكرّر ١٤٣	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٥
٩	ـ بقلبها	تكرّر ٥	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١٠	ـ بقلبهم	تكرّر ١	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١١	ـ بقلبي	تكرّر ٣٥	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١٢	ـ بقلوب	تكرّر ٢٨	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١٣	ـ بقلوبكم	تكرّر ١٥	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١٤	ـ بقلوبنا	تكرّر ١٤	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١٥	ـ بقلوبها	تكرّر ١	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١٦	ـ بقلوبهم	تكرّر ٣٥	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٦
١٧	ـ فالقلب	تكرّر ١	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٨
١٨	ـ فالقلوب	تكرّر ٣	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٨

١٩	ـ فبقلبه	تكرّر ٨	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٩
٢٠	ـ فقلب	تكرّر ٩	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٩
٢١	ـ فقلبه	تكرّر ٤	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٩
٢٢	ـ فقلبي	تكرّر ٩	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٩
٢٣	ـ فقلوب	تكرّر ٤	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٩
٢٤	ـ فقلوبهم	تكرّر ١٥	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٥٩
٢٥	ـ قلب	تكرّر ٤٩٨	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٦٠
٢٦	ـ قلباً	تكرّر ٩٤	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٦٣
٢٧	ـ قلبان	تكرّر ٤	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٦٤
٢٨	ـ قلبك	تكرّر ٣٥٤	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٦٤
٢٩	ـ قلبكم	تكرّر ١	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٦٧
٣٠	ـ قلبه	تكرّر ١٢١٥	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٦٧
٣١	ـ قلبها	تكرّر ٥٢	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٧٦
٣٢	ـ قلبهم	تكرّر ٥	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٧٦
٣٣	ـ قلبهما	تكرّر ٤	مرّات	ج ٢٣	ص ١٦٨٧٦
٣٤	ـ قلوبكم	تكرّر ١	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٧٦
٣٥	ـ قلبي	تكرّر ٨٥٧	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٧٦
٣٦	ـ قلبين	تكرّر ١٨	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٨٢
٣٧	ـ قلبيهما	تكرّر ١	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٨٢
٣٨	ـ قلوب	تكرّر ٤٢٢	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٨٢
٣٩	ـ قلوباً	تكرّر ٢١	مرّة	ج ٢٣	ص ١٦٨٨٥

٤٠ ـ قلوبكم تكرّر ٢٠٠ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٨٦

٤١ ـ قلوبكما تكرّر ٩ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٨٧

٤٢ ـ قلوبنا تكرّر ١٦١ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٨٧

٤٣ ـ قلوبها تكرّر ٤ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٨٨

٤٤ ـ قلوبهم تكرّر ٧٦٠ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٨٨

٤٥ ـ قلوبهما تكرّر ٧ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٤٦ ـ كقلبه تكرّر ٢ مرّتان ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٤٧ ـ كقلوب تكرّر ٤ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٤٨ ـ لقلب تكرّر ٦ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٤٩ ـ لقلبك تكرّر ٨ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٥٠ ـ لقلبكم تكرّر ٤ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٥١ ـ لقلبه تكرّر ١٣ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٥٢ ـ لقلبها تكرّر ١ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٥٣ ـ لقلبي تكرّر ١٠ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٤

٥٤ ـ لقلبين تكرّر ٢ مرّتان ج ٢٣ ص ١٦٨٩٥

٥٥ ـ لقلوب تكرّر ٨ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٥

٥٦ ـ لقلوبكم تكرّر ٣ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٥

٥٧ ـ لقلوبهم تكرّر ٥ مرّات ج ٢٣ ص ١٦٨٩٥

٥٨ ـ للقلب تكرّر ٣٥ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٩٥

٥٩ ـ للقلوب تكرّر ٣٢ مرّة ج ٢٣ ص ١٦٨٩٥

الفصل العاشر

القلب في رحاب الدعاء

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ ﴾[1].

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ ﴾[2].

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[3].

الدعاء هو القرآن الصاعد، وقد أشاد الإسلام بفضل الدعاء والداعين، وأهاب بالمسلمين أن لا يتركوا الدعاء على كلّ حال وفي جميع الأحوال، وأن ينقطعوا إلى الله سبحانه ويكونوا على اتّصال دائم معه، فإنّ أزمّة الأُمور طرّاً بيده، فلا بدّ من الارتباط الوثيق بين العبد ومولاه، بين الإنسان وربّه، وقد اهتمّ الرسول الأعظم محمّد ﷺ وكذلك عترته الطاهرة الأئمة المعصومين عليهم السلام

---

(١) الفرقان : ٧٧.

(٢) البقرة : ١٨٦.

(٣) المؤمن : ٦٠.

بالأدعية اهتماماً بالغاً، فإنّه مفتاح كلّ صلاح وفلاح وشفاء للقلوب وبلسماً للجراح، وتهذيباً للنفوس، ولولاه لما اعتنى الله بعبده، فهو سلاح الأنبياء وشفاء من كلّ داء، ولا ينال ما عند الله إلّا بالدعاء، وليس باب يكثر قرعه إلّا يوشك أن يفتح لصاحبه.

وبعد أن عرفنا أنّ القلوب منها قد ذمّها الله، ومنها قد مدحها وأعدّ لها النعيم، وعلى الإنسان أن يسعى في تحصيل القلب الممدوح والتخلّص من القلب المذموم، وممّا يوجب حصول ذلك هو الدعاء، ومن هذا المنطلق نجد في كثير من الأدعية والأذكار التي وردت عن الرسول الأكرم وأهل بيته الأطهار يطلبون من الله سلامة القلب وطهارته ونظارته.

وهذه جملة من الأدعية المأثورة، استخرجتها من مفاتيح الجنان لشيخنا الأجلّ الشيخ عباس القمّي ﷺ، فادعوا الله بها في الليل والنهار، فإنّه يجيب دعوة الداع، فهو القريب المجيب.

١ ـ (اللَّهُمَّ اَجْعَلْ لي في قَلْبي نوراً وَبَصَراً وَفَهْماً وَعِلْماً، إنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدير)[١].

٢ ـ (اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَع، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَع، وَمِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَع، وَمِنْ صَلاةٍ لا تُرْفَع، وَمِنْ دُعاءٍ لا يُسْمَع)[٢].

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٩.

(٢) المصدر: ٣٢.

٣ ـ (صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّد، وَاْجْعَلِ النُّورَ في بَصَري، وَالبَصيرَةَ في ديني، وَاليَقينَ في قَلْبي، وَالإخْلاصَ في عَمَلي، وَالسَّلامَةَ في نَفْسي، وَالسَّعَةَ في رِزْقي، وَالشُّكْرَ لَكَ أبَداً ما أبْقَيْتَني)[1].

٤ ـ (اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ القُلوبِ وَالأبْصار، ثَبِّتْ قَلْبي عَلى دينِكَ، وَلا تُزِغْ قَلْبي بَعْدَ إذْ هَدَيْتَني، وَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إنَّكَ أنْتَ الوَهّابُ، وَأجِرْني مِنَ النّارِ بِرَحْمَتِكَ)[2].

٥ ـ (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهَبْ لي الغَداةَ رِضاكَ، وَأسْكِنْ قَلْبي خَوْفَكَ، وَاْقْطَعْهُ عَمَّنْ سِواكَ، حَتّى لا أرْجو وَلا أخافَ إلّا إيّاكَ)[3].

٦ ـ (صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاْجْعَلِ النُّورَ في بَصَري، وَاليَقينَ في قَلْبي، وَذِكْرَكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ عَلى لِساني، وَعَمَلاً صالِحاً فَارْزُقْني)[4].

٧ ـ (إلٰهي قَلْبي مَحْجوبٌ وَنَفْسي مَعْيوبٌ وَعَقْلي مَغْلوبٌ وَهَوائي غالِبٌ

---

(١) مفاتيح الجنان : ٣٨.

(٢) المصدر : ٤٢.

(٣) المصدر : ٦٠.

(٤) المصدر : ٧٩.

وَطاعَتي قَليلٌ وَمَعْصِيَتي كَثيرٌ وَلِساني مُقِرٌّ بِالذُنوبِ، فَكَيْفَ حيلَتي يا سَتّارَ العُيوبِ وَيا عَلّامَ الغُيوبِ وَيا كاشِفَ الكُروبِ ٱغْفِرْ ذنوبي كُلَّها بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ يا غَفّارُ يا غَفّارُ يا غَفّارُ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمين)[1].

٨ ـ (يا إِلٰهي وَسَيِّدي وَرَبِّي أَتُراكَ مُعَذِّبي بِنارِكَ بَعْدَ تَوْحيدِكَ وَبَعْدَ ما ٱنْطَوىٰ عَلَيْهِ قَلْبي مِنْ مَعْرِفَتِكَ وَلَهِجَ بِهِ لِساني مِنْ ذِكْرِكَ وَٱعْتَقَدَهُ ضَميري مِنْ حُبِّكَ... أَتُسَلِّطُ النّارَ عَلىٰ وُجوهٍ خَرَّتْ لِعَظَمَتِكَ ساجِدَة... وَعَلىٰ قُلوبٍ ٱعْتَرَفَتْ بِإِلٰهِيَّتِكَ مُحَقِّقَة... وَٱجْعَلْ لِساني بِذِكْرِكَ لَهِجاً وَقَلْبي بِحُبِّكَ مُتَيَّماً...)[2].

٩ ـ (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ العَظيمِ الأَعْظَمِ... وَخَشَعَتْ لَهُ الأَصْواتُ وَوَجِلَتْ لَهُ القُلوبُ مِنْ مَخافَتِك...)[3].

١٠ ـ (يا مُقَلِّبَ القُلوبِ يا طَبيبَ القُلوبِ يا مُنَوِّرَ القُلوبِ يا أَنيسَ القُلوب...)[4].

١١ ـ (وَٱرْزُقْني مِنْ نُورِ ٱسْمِكَ هَيْبَةً وَسَطْوَةً تَنْقادُ لِيَ القُلوبُ وَالأَرْواحُ...

---

(١) مفاتيح الجنان: ١١١.

(٢) المصدر: ١١٥.

(٣) المصدر: ١٢٨.

(٤) المصدر: ١٦٣.

أَيِّدْ ظاهِري في تَحْصيلِ مَراضيكَ وَنَوِّرْ قَلْبي وَسِرِّي بِالاطِّلاعِ عَلىٰ مَناهِجِ مَساعيكَ)[١].

١٢ ـ (إلٰهي أَلْبَسَتْني الخَطايا ثَوْبَ مَذَلَّتي... وَأَماتَ قَلْبي عَظيمُ جِنايَتي فَأَحْيِهِ بِتَوْبَةٍ مِنْكَ يا أَمَلي...)[٢].

١٣ ـ (إلٰهي كَيْفَ أَشْكو نَفْساً بِالسُّوءِ أَمَّارَةٌ... إلٰهي أَشْكو إلَيْكَ عَدُوّاً يُضِلُّني وَشَيْطاناً يُغْويني وَيُزَيِّنُ لي حُبَّ الدُّنْيا وَيَحولُ بَيْني وَبَيْنَ الطَّاعَةِ وَالزُّلْفىٰ، إلٰهي إلَيْكَ أَشْكو قَلْباً قاسِياً مَعَ الوَسْواسِ مُتَقَلِّباً وَبِالرَّيْنِ وَالطَّبْعِ مُتَلَبِّساً...)[٣].

١٤ ـ (وَٱكْشِفْ عَنْ قُلوبِنا أَغْشِيَةَ المِرْيَةِ وَالحِجابِ وَأَزْهِقِ الباطِلَ عَنْ ضَمائِرِنا)[٤].

١٥ ـ (إلٰهي فَاجْعَلْنا مِمَّنْ ٱصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ وَوِلايَتِكَ... وَهَيَّمْتَ قَلْبَهُ لإرادَتِكَ وَٱجْتَبَيْتَهُ لِمُشاهَدَتِكَ... وَقُلوبُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحَبَّتِكَ وَأَفْئِدَتُهُمْ مُنْخَلِعَةٌ مِنْ مَهابَتِك).

---

(١) مفاتيح الجنان : ١٩٨.

(٢) المصدر : ٢١٧.

(٣) المصدر : ٢١٩.

(٤) المصدر : ٢٢٦.

١٦ ـ (يا مَنْ أنْوارُ قُدْسِهِ لأبْصارِ مُحِبِّيهِ رائِقَة، وَسُبُحاتُ وَجْهِهِ لِقُلوبِ عارِفيهِ شائِقَة، يا مُنىٰ قُلوبِ المُشْتاقينَ، وَيا غايَةَ آمالِ المُحِبِّين)[١].

١٧ ـ (وَرَيْنُ قَلْبي لا يَجْلوهُ إلّا عَفْوُكَ)[٢].

١٨ ـ (إلٰهي فَاجْعَلْنا مِنَ الَّذينَ تَرَسَّخَتْ أشْجارُ الشَّوْقِ إلَيْكَ في حَدائِقِ صُدورِهِمْ وَأخَذَتْ لَوْعَةُ مَحَبَّتِكَ بِمَجامِعِ قُلوبِهِم... إلٰهي ما ألَذَّ خَواطِرَ الإلْهامِ بِذِكْرِكَ عَلى القُلوبِ...)[٣].

١٩ ـ (إلٰهي بِكَ هامَتِ القُلوبُ الوالِهَة، وَعَلىٰ مَعْرِفَتِكَ جُمِعَتْ العُقولُ المُتَبايِنَة، فَلا تَطْمَئِنُّ القُلوبُ إلّا بِذِكْراكَ، وَلا تَسْكُنُ النُّفوسُ إلّا عِنْدَ رُؤْياكَ)[٤].

٢٠ ـ (وَأخْرِجْ حُبَّ الدُّنْيا مِنْ قُلوبِنا، كَما فَعَلْتَ بِالصّالِحينَ مِنْ صَفْوَتِكَ)[٥].

---

(١) مفاتيح الجنان : ٢٣٠.

(٢) المصدر : ٢٣٢.

(٣) المصدر : ٢٣٣.

(٤) المصدر : ٢٣٥.

(٥) المصدر : ٢٣٧.

٢١ ـ (يا مَنْ... وَجِلَتِ القُلوبُ مِنْ خِيفَتِهِ...)[١].

٢٢ ـ (أنْ تَجْعَلَ أعْمالَنا في هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَفي سائِرِ اللَّيالي مَقْبولَة، وَذُنوبَنا مَغْفورَة، وَحَسَناتُنا مَشْكُورَة، وَسَيِّئاتِنا مَسْتورة، وَقُلوبَنا بِحُسْنِ القَوْلِ مَسْرورَة، وَأرْزاقَنا مِنْ لَدُنْكَ بِاليُسْرِ مَدْرورَة... اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلِ اليَقينَ في قَلْبي وَالنُّورَ في بَصَري وَالنَّصيحَةَ في صَدْري، وَذِكْرَكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ عَلىٰ لِساني وَرِزْقاً واسَعاً غَيْرَ مَمْنونٍ وَلا مَحْظورٍ فَارْزُقْني وَبارِكْ لي فيما رَزَقْتَني)[٢].

٢٣ ـ (وَقَدْ ناجاكَ بِعَزْمِ الإرادَةِ قَلْبي)[٣].

٢٤ ـ (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاعْمُرْ قَلْبي بِطاعَتِكَ وَلا تُخْزِني بِمَعْصِيَتِك)[٤].

٢٥ ـ (فَشَكَرْتُكَ بِإدْخالي في كَرَمِكَ وَلِتَطْهيرِ قَلْبي مِنْ أوْساخِ الغَفْلَةِ عَنْكَ... إلٰهي هَبْ لي قَلْباً يُدْنيهُ مِنْكَ شَوْقُهُ وَلِساناً يَرْفَعُ إلَيْكَ صِدْقُهُ... إلٰهي هَبْ لِي كَمالَ

---

(١) مفاتيح الجنان : ٢٧٢.

(٢) المصدر : ٢٧٤.

(٣) المصدر : ٢٧٧.

(٤) المصدر : ٢٨٢.

الانْقِطاعِ إِلَيْكَ، وَأَنِرْ أَبْصارَ قُلوبِنا بِضِياءِ نَظَرِها إِلَيْكَ حَتّىٰ تَخْرُقَ أَبْصارَ القُلوبِ حُجُبَ النُّورِ فَتَصِلُ إِلىٰ مَعْدَنِ العَظَمَةِ وَتَصيرُ أَرْواحُنا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدْسِكَ)[١].

٢٦ ـ (اللَّهُمَّ ارْزُقْني قَلْباً تَقِيّاً نَقِيّاً وَمِنَ الشِّرْكِ بَريئاً لا كافِراً وَلا شَقِيّاً)[٢].

٢٧ ـ (اللَّهُمَّ ما كانَ في قَلْبي مِنْ شَكٍّ أَوْ ريبَةٍ أَوْ جُحودٍ أَوْ قُنوطٍ أَوْ فَرَحٍ أَوْ بَذَخٍ أَوْ بَطَرٍ أَوْ خُيَلاءٍ أَوْ رِياءٍ أَوْ سُمْعَةٍ أَوْ شِقاقٍ أَوْ نِفاقٍ أَوْ كُفْرٍ أَوْ فُسوقٍ أَوْ عِصْيانٍ أَوْ عَظَمَةٍ أَوْ شَيْءٍ لا تُحِبُّ فَأَسْأَلُكَ يا رَبِّ أَنْ تُبَدِّلَني مَكانَهُ إِيماناً بِوَعْدِكَ وَوَفاءً بِعَهْدِكَ وَرِضاً بِقَضائِكَ وَزُهْداً في الدُّنْيا وَرَغْبَةً في ما عِنْدِكَ وَأَثَرَةً وَطُمَأْنينَةً وَتَوْبَةً نَصوحاً، أَسْأَلُكَ ذٰلِكَ يا رَبَّ العالَمين)[٣].

٢٨ ـ (رَبِّ أُناجيكَ بِقَلْبٍ قَدْ أَوْبَقَهُ جُرْمُهُ... إِنَّ قَوْماً آمَنوا بِأَلْسِنَتِهِمْ لِيَحْقِنوا بِهِ دِماءَهُمْ فَأَدْرَكوا ما أَمَّلوا وَإِنَّا آمَنَّا بِكَ بِأَلْسِنَتِنا وَقُلوبِنا لِتَعْفو عَنَّا فَأَدْرِكْنا ما أَمَّلْنا وَثَبِّتْ رَجاءَكَ في صُدورِنا وَلا تُزِغْ قُلوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا، وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ، فَوَعِزَّتِكَ لَوِ انْتَهَرْتَني ما بَرِحْتُ مِنْ بابِكَ وَلا كَفَفْتُ عَنْ تَمَلُّقِكَ لِما أُلْهِمَ قَلْبي يا سَيِّدي مِنْ مَعْرِفَةٍ بِكَرَمِكَ وَسِعَةِ رَحْمَتِكَ... إِلٰهي لَوْ أَمَرْتَ بي إِلىٰ النَّارِ وَحُلْتَ بي وَبَيْنَ الأَبْرارِ ما قَطَعْتُ رَجائي مِنْكَ وَما صَرَفْتُ تَأْميلي لِلْعَفْوِ عَنْكَ وَلا خَرَجَ حُبُّكَ مِنْ قَلْبي، أَنا لا أَنْسىٰ أَياديكَ عِنْدي... سَيِّدي أَخْرِجْ حُبَّ الدُّنْيا

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٨٦.

(٢) المصدر: ٣٠٥.

(٣) المصدر: ٣١٠.

مِنْ قَلْبي وَٱجْمَعْ بَيْني وَبَيْنَ المُصْطَفىٰ وَآلِهِ... فَلَكَ الحَمْدُ عَلىٰ ما نَـقَّيْتَ مِـنَ الشِّرْكِ قَلْبي... يا مَوْلايَ بِذِكْرِكَ عاشَ قَلْبي وَبِمُناجاتِكَ بَرَّدْتَ أَلَمَ الخَوْفِ عَنِّي... وَأَقِرَّ عَيْني وَفَرِّحْ قَلْبي[١]... اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَمْلأَ قَلْبي حُـبَّاً لَكَ وَخَشْـيَةً مِـنْكَ وَتَـصْديقاً بِكِتابِكَ وَإِيماناً بِكَ وَفَرَقاً مِنْكَ وَشَوْقاً إِلَيْكَ يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرامِ... وَأَبْرِئْ قَلْبي مِنَ الرِّياءِ وَالشَّكِّ وَالسُّمْعَةِ في دينِكَ حَتَّى يَكونَ عَمَلي خالِصاً لَكَ... وَأَعـوذُ بِكَ مِـنْ نَفْسٍ لا تَقْنَعُ وَبَطْنٍ لا يَشْبَعُ وَقَلْبٍ لا يَخْشَعُ وَدُعاءٍ لا يُسْمَعُ وَعَمَلٍ لا يَنْفَعُ... أَسْأَلُكَ إِيماناً تُباشِرُ بِهِ قَلْبي وَيَقيناً حَتَّىٰ أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصيبَني إِلّا ما كَتَبْتَ لي وَرَضِّني مِـنَ العَيْشِ بِما قَسَمْتَ لي يا أَرْحَمَ الرّاحِمين)[٢].

٢٩ ـ (اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبي مِنَ النِّفاقِ وَعَمَلي مِنَ الرِّياءِ وَلِسـاني مِـنَ الكَـذِبِ وَعَيْني مِنَ الخِيانَةِ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفي الصُّدورُ... اللَّهُمَّ صَلِّ عَـلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَٱرْزُقْني اليَقينَ وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ وَأَثْبِتْ رَجاءَكَ في قَلْبي وَٱقْـطَعْ رَجائي عَمَّنْ سِواكَ حَتَّىٰ لا أَرْجو غَيْرَكَ وَلا أَثِقُ إِلّا بِكَ... اللَّهُمَّ ٱمْلأْ قَلْبي حُبَّاً لَكَ وَخَشْيَةً مِنْكَ وَتَصْديقاً لَكَ وَإِيماناً بِكَ...)[٣].

٣٠ ـ (سُبْحانَ مَنْ يَعْلَمُ جَوارِحَ القُلوبِ)[٤].

---

(١) الفرح لو كان من الله فهو جميل وحسن، وأمّا إذا كان للدنيا ومن الدنيا فقد ورد الذمّ فيه وأنّ المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه وأنّه دائم الحزن.

(٢) مفاتيح الجنان: ٣٥٨.

(٣) المصدر: ٣٦٣.

(٤) المصدر: ٣٦٤.

٣١ ـ (أنْ تَهَبِ لي يَقيناً تُباشِرُ بِهِ قَلْبي وَإيْماناً لا يَشوبُهُ شَكٌّ وَرِضىً بِما قَسَمْتَ لي وَآتِني في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِني عَذابَ النّارِ)[1].

٣٢ ـ (اللَّهُمَّ نَبِّهْني فيهِ لِبَرَكاتِ أسْحارِهِ وَنَوِّرْ فيهِ قَلْبي بِضِياءِ أنْوارِهِ وَخُذْ بِكُلِّ أعضائي إلى اتِّباعِ آثارِهِ بِنورِكَ يا مُنَوِّرَ قُلوبِ العارِفين)[2].

٣٣ ـ (يا مُنْزِلَ السَّكينَةِ في قُلوبِ المُؤْمِنين).

٣٤ ـ (اللَّهُمَّ اغْسِلْني فيهِ مِنَ الذُّنوبِ وَطَهِّرْني فيهِ مِنَ العُيوبِ وَامْتَحِنْ قَلْبي فيهِ بِتَقْوى القُلوبِ يا مُقيلَ عَثَراتِ المُذْنِبين)[3].

٣٥ ـ (اللَّهُمَّ غَشِّني فيهِ بِالرَّحْمَةِ وَارْزُقْني فيهِ التَّوْفيقَ وَالعِصْمَةَ وَطَهِّرْ قَلْبي مِنْ غَياهِبِ التُّهْمَةِ يا رَحيماً بِعِبادِهِ المُؤْمِنين)[4].

٣٦ ـ (أنْزِلْ يَقينَكَ في صَدْري وَرَجاءَكَ في قَلْبي حَتّى لا أرْجو غَيْرَكَ)[5].

---

(١) مفاتيح الجنان : ٣٧١.

(٢) المصدر : ٤٣٧.

(٣) المصدر : ٤٣٨.

(٤) المصدر : ٤٣٩.

(٥) المصدر : ٤٦٦.

٣٧ ـ (اللَّهُمَّ ٱجْعَل غِنايَ في نَفْسي وَاليَقينَ في قَلْبي وَالإخْلاصَ في عَمَلي وَالنُّورَ في بَصَري وَالبَصيرَةَ في ديني)[١].

٣٨ ـ (أنْتَ الذي أشْرَقْتَ الأنْوارَ في قُلوبِ أوْلِيائِكَ حَتَّىٰ عَرَفوكَ وَوَحَّدوكَ وَأنْتَ الَّذي أزَلْتَ الأغْيارَ عَنْ قُلوبِ أحِبَّائِكَ حَتَّىٰ لَمْ يُحِبُّوا سَواكَ وَلَمْ يَلْجَأوا إلىٰ غَيْرِكَ)[٢].

٣٩ ـ (اللَّهُمَّ طَهِّرْني وَطَهِّرْ لي قَلْبي وَٱشْرَحْ لي صَدْري وَأجْرِ عَلىٰ لِساني مِدْحَتَكَ وَالثَّناءَ عَلَيْكَ فَإنَّهُ لا قُوَّةَ إلّا بِكَ)[٣].

٤٠ ـ (وَمَكِّنِ اليَقينَ في قَلْبي وَٱجْعَلْهُ أوْثَقَ الأشْياءِ في نَفْسي وَٱغْلِبْهُ عَلىٰ رَأيي وَعَزْمي وَٱجْعَلِ الإرْشادَ في عَمَلي وَالتَّسْليمَ لأمْرِكَ مِهادي وَسَنَدي وَالرِّضا بِقَضائِكَ وَقَدَرِكَ أقْصىٰ عَزْمي وَنِهايَتي وَأبْعَدَ هَمِّي وَغايَتي حَتَّىٰ لا أتَّقي أحَداً مِنْ خَلْقِكَ بِديني وَلا أطْلُبُ بِهِ غَيْرَ آخِرَتي وَٱجْعَلْ خَيْرَ العَواقِبِ عاقِبَتي)[٤].

٤١ ـ في دعاء عالية المضامين في زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام : (وَتُـثَبِّتَني

---

(١) مفاتيح الجنان : ٤٨٠.

(٢) المصدر : ٤٩٧.

(٣) المصدر : ٩٠٩.

(٤) المصدر : ١٠٧١.

عَلىٰ طاعَتِكَ وَطاعَةِ رَسولِكَ وَذُرِّيَّتِهِ النُّجَباءِ السُّعَداءِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَرَحْمَتِكَ وَسَلامِكَ وَبَرَكاتِكَ وَتُحْيِيني ما أَحْيَيْتَني عَلىٰ طاعَتِهِمْ وَتُميتَني إذا أَمَتَّني عَلىٰ طاعَتِهِمْ وَأَنْ لا تَمْحو مِنْ قَلْبي مَوَدَّتَهُمْ وَمَحَبَّتَهُمْ وَبُغْضَ أَعْدائِهِمْ وَمُرافَقَةَ أَوْلِيائِهِمْ وَبِرِّهِمْ... وَتَجْعَلَ دَمْعي غَزيراً في طاعَتِكَ وَعبْرَتي جارِيَةً في ما يُقَرِّبُني مِنْكَ وَقَلْبي عَطوفاً عَلىٰ أَوْلِيائِكَ وَتَصونَني في هٰذِهِ الدُّنْيا مِنَ العاهاتِ وَالآفاتِ وَالأَمْراضِ الشَّديدَةِ وَالأَسْقامِ المُزْمِنَةِ وَجميعِ أَنْواعِ البَلاءِ وَالحَوادِثِ وَتَصْرِفَ قَلْبي عَنِ الحَرامِ وَتُبَغِّضْ إِلَيَّ مَعاصيكَ وَتُحَبِّبَ إِلَيَّ الحَلالَ وَتَفْتَحَ لي أَبْوابَهُ... وَتَجْعَلْني رَحيبَ الصَّدْرِ واسِعَ الحالِ حَسَنَ الخُلْقِ بَعيداً مِنَ البُخْلِ وَالمَنْعِ وَالنِّفاقِ وَالكَذِبِ وَالبُهْتِ وَقَوْلَ الزُّورِ وَتُرَسِّخَ في قَلْبي مَحَبَّةَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَشيعَتَهُمْ)[١].

أجل هذا غيض من فيض الأدعية المأثورة عن النبيّ الأكرم محمّد ﷺ وعترته الأطهار عليهم السلام سائلاً المولى القدير أن يهب لنا قلباً كما يحبّ ويرضى ويسعدنا وذرّياتنا وإيّاكم وشيعة محمّد وآل محمد عليهم السلام في الدارين، وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٠٧٦.

الخاتمة

بعض بحوث القلب ومصادرها

لقد استخرجنا هذه البحوث ومصادرها لمن أراد التحقيق والزيادة من كتاب (موسوعة المواضيع في المصادر الإسلامية) الجزء الأوّل، الصفحة ٣٧٢ بقلم السيّد علي عاشور.

الموضوع	المصدر	الجزء	الصفحة
آيات القلب	القرآن الكريم	الملاحق	١٠٢
القلب الإنساني وحقيقته	شرح الكافي	١	٣٥٧ ـ ٥٠٥
حقيقة القلب	البحار	١	١٠٩ ـ ٩٧
حقيقة القلب	مرآة العقول	٩	٣٧٧
بيان في حقيقة القلب	البحار	٧٠	٣٨
بيان في حقيقة القلب	البحار	٧٥	٢٠٨
في أنّ حقيقة القلب خفيّة	البحار	٧٠	٣٤
باب القلب	البحار	٧٠	٢٧
باب القلب	ميزان الحكمة	٨	٢١٢

الموضوع	المصدر	الجزء	الصفحة
بيان القلب	مفاتيح الغيب		٨٥ـ ١٩١
بيان القلب	مفاتيح الغيب		٤٩٥
القلب	نهج البلاغة	ح ٥٠	٤٧٧
القلب	نهج البلاغة	ح ١٠٨	٤٨٧
القلب	نهج البلاغة	كتاب ٣١	٣٩٣
باب رح عجائب القلب	المحجّة البيضاء	٥	٣
شرح عجائب القلب	الإحياء	٣	٥
فصل في أنّ القلب هو المخاطب والمعاقب	كتاب النفس والروح		٥١
أعجب ما في الإنسان قلبه	ميزان الحكمة	٨	٢١٧
صلة القلب في الذماغ	تفسير الميزان	٢	٢٢٤
معاني القلب	مرآة العقول	١	٥٤
معاني القلب	الإحياء	٣	٦
معاني القلب	مرآة العقول	٩	٣٧٩
معنى القلب	المحجّة البيضاء	٥	٤
معنى القلب	كتاب النفس والروح		٧٨
معنى القلب	الأسفار	٨	٣٢١
معنى القلب	مرآة العقول	١١	٢٥٠
معنى القلب في القرآن	مرآة العقول	٩	٣٨١
معنى القلب في القرآن	تفسير الميزان	٢	٢٢٣

الموضوع	المصدر	الجزء	الصفحة
معنى القلب في القرآن	ميزان الحكمة	٨	٢١٣
أقسام القلوب الخمسة	سرح العيون		٧٦٦
أقسام القلوب الأربعة	الأربعون		٤٦٨
أقسام القلوب	مرآة العقول	١١	٢٧٨
أقسام القلوب العابدة لله	تفسير ملا	٥	٢٣٥
أقسام القلوب العابدة للشيطان	تفسير ملا	٥	٢٣٥
أقسام القلوب	مفاتيح الغيب		٥٣٤
أقسام القلوب	جامع السعادات	٣	٢٥٠
أقسام القلوب	تفسير ملا	٤	٣٦٨
أقسام القلب	الإحياء	٥	٢٢٢
أصناف القلوب	ميزان الحكمة	٨	٢١٩
أصناف القلوب	الإحياء	٣	٨
مراتب القلب والصدر	تفسير ملا	٤	٣٦٨
خواطر القلب	البحار	٧	٣٨
حالات القلوب	الأربعون		٤٧١
ظاهر القلب وباطنه	تفسير ملا	٤	٣٧١
الفرق بين القلب والعقل	شرح الفصوص		١٧٨
الفرق بين القلب والنفس والروح والعقل	البحار	٧٠	٣٥
الفرق بين القلب والنفس والروح والعقل	الإحياء	٣	٧

الموضوع	المصدر	الجزء	الصفحة
الفرق بين القلب والنفس والروح والعقل	مرآة العقول	٢	٢٦٦
الفرق بين القلب والنفس والروح والعقل	مرآة العقول	٩	٣٧٩
الفرق بين القلب والنفس والروح	تفسير الميزان	٢	٢٢٤
الفرق بين القلب والذهن	البحار	٧٥	٢٠٨
الفرق بين القلب والروح والعقل	المحجّة البيضاء	٥	٣ ـ ٢٦
عمل القلب	تفسير ملا	٧	٣٤٠
قلب المؤمن	الأربعون		٤٧٥
القلب السليم	القلب السليم	١	١٢ ـ ٢٩
سلامة القلب	ميزان الحكمة	٨	٢٢١
صفة ذو القلب السليم	نهج البلاغة	خطبة ٢١٤	٣٣١
نور القلب	ميزان الحكمة	١٠	٢٣٤
نور القلب وظلمه	التوحيد (ص)		٤١٥
ما ينوّر القلب	ميزان الحكمة	٨	٢٤٨
تنوّر القلب بحقيقة الإيمان	ولاية الإنسان		١٢٦
باب نور القلب	ميزان الحكمة	١٠	٢٣٤
سبب نور القلب	الإحياء	٣	٢٩
عمى القلب	ميزان الحكمة	٨	٢٣٤
سبب ظلمة القلب	الإحياء	٣	٢٩
سبب ظلمة القلب	تفسير ملا	٥	١٤٢

الموضوع	المصدر	الجزء	الصفحة
حجاب القلب	ميزان الحكمة	٨	٢٣٥
حجاب القلب	التوحيد (م)		٣٧
باب قسوة القلب	مرآة العقول	١	٢٩٣
باب قسوة القلب	ميزان الحكمة	٨	٢٣٧
باب قسوة القلب	الوسائل	١١	٣٣٦
باب قسوة القلب	الكافي	٢	٣٢٩
قسوة القلب	القلب السليم	٢	١٣
قصّة في إزالة قسوة القلب	القلب السليم	٢	٧٢
مرض القلب	نهج البلاغة	ح ٣٨٨	٥٤٤
الخصال المميتة للقلوب	الإحياء	٣	٤٠
تجاذب القلب بين الشيطان والملك	البحار	٧٠	٣٩
تجاذب القلب بين الشيطان والملك	مرآة العقول	٩	٣٨٣
بيان تجاذب القلب بين الملك والشيطان	تفسير ملا	٥	٢٢١
كيفية التجاذب بين الملك والشيطان	تفسير ملا	٥	٢٢٩
تجاذب الشيطان والإلهام على القلب	الإحياء	٣	٢٩
أقسام القلوب في التجاذب	تفسير ملا	٥	٢٣٥
مداخل الشيطان على القلب	الإحياء	٣	٣٣
بيان تسلّط الشيطان على القلب	الإحياء	٣	٢٨
اختلاف قلوب الأولياء	شرح دعاء السحر		٤١

الموضوع	المصدر	الجزء	الصفحة
إكراه القلب على العبادة	نهج البلاغة	ح ١٩٣	٥٠٣
إكراه القلب على العبادة	نهج البلاغة	ح ٣١٢	٥٣٠
إكراه القلب على العبادة	نهج البلاغة	ح ١٩٧	٥٠٤
طريق تحصيل حضور القلب	الآداب المعنوية		٨٨
الترغيب على حضور القلب	الآداب المعنوية		٨٠
بيان في حضور القلب	الآداب المعنوية		٧١
حضور القلب	الأربعون		٣٨٥
حضور القلب	جامع السعادات	٣	٣٢٥
حضور القلب	المحجّة البيضاء	٢	٣٧٣
جنود القلب	الإحياء	٣	٨
باب سهو القلب	الكافي	٢	٤٢٠
باب سهو القلب	مرآة العقول	١١	٢٥٠
إصلاح القلب	المراقبات		٧
وجوه المشابهة بين القلب وعرش الرحمن	تفسير ملا	٦	٣٩

الفهرس

مقدّمة ٥

الفصل الأوّل ـ القلب لغةً واصطلاحاً ١١

الفصل الثاني ـ القلب في رحاب القرآن الكريم ٢١

الفصل الثالث ـ المرشد القلبي ٣٧

الفصل الرابع ـ العلم القلبي ٤١

الفصل الخامس ـ كيف يحول الله بين المرء وقلبه ؟ ٥٣

الفصل السادس ـ النيّة من أهمّ الأعمال القلبية ٥٧

الفصل السابع ـ القلوب الممدوحة في القرآن الكريم ٧١

١ ـ القلب الطاهر ٧١

٢ ـ القلب الأليف ٨١

٣ ـ القلب الخائف ٨٨

٤ ـ القلب المطمئن ٩٦

٥ ـ القلب الخاشع ١٠٠

٦ ـ القلب المتّقي ١٠٣

٧ ـ القلب العاقل ١٠٩
الشكل الدائري للعقل والعقلاء ١١٢
٨ ـ القلب الرؤوف ١١٣
٩ ـ القلب السليم ١١٥
١٠ ـ القلب المنيب ١١٩
١١ ـ القلب المؤمن ١٢٤
١٢ ـ القلب المهتدي ١٢٦
الفصل الثامن ـ القلوب المذمومة في القرآن الكريم ١٢٩
١ ـ القلب الآثم ١٣٠
٢ ـ القلب المتكبّر ١٣٢
٣ ـ القلب المجرم ١٣٣
٤ ـ القلب المعتدي ١٣٥
٥ ـ القلب المقفّل ١٣٧
٦ ـ القلب المتعصّب ١٤٠
٧ ـ القلب الغيظ ١٤١
٨ ـ القلب المنافق ١٤٢
٩ ـ القلب المقطوع ١٤٦
١٠ ـ القلب الغليظ ١٤٧
١١ ـ القلب الغامر (الغافل) ١٤٩
١٢ ـ القلب الكافر ١٥١
١٣ ـ القلب المنكر ١٥٦

١٤ ـ القلب اللّاهي ١٥٧
١٥ ـ القلب الأغبر ١٥٨
١٦ ـ القلب الغافل (المطبوع) ١٦٠
١٧ ـ القلب المختوم ١٦٣
١٨ ـ القلب القاسي ١٦٥
١٩ ـ القلب المنحرف (الزائغ) ١٧١
٢٠ ـ القلب المتشتّت ١٧٤
٢١ ـ القلب المريض ١٧٥
الفصل التاسع ـ حقيقة القلوب في رحاب الروايات ١٩٥
الفصل العاشر ـ القلب في رحاب الدعاء ٢٣٥
الخاتمة ـ بعض بحوث القلب ومصادرها ٢٤٧
الفهرس ٢٥٣